خطب الجمع والأعياد

أُلقيت على منبر خير العباد صلى الله عليه وسلم

أعدها وألقاها

عبد الله بن محمد بن زاحم

رئيس محاكم منطقة المدينة المنورة

وإمام وخطيب المسجد النبوي الشريف

المجلد الرابع

في الحج والبيوع والأطعمة

علق عليه وخرج آياته وأحاديثه

عبد القادر بن حبيب الله

أحد علماء المدينة

دار المنار

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

حقوق الطبع محفوظة

فى الحج والبيوع والأطعمة

دار المنار
للطبع والنشر والتوزيع
٩ ش الباب الأخضر - الحسين
القاهرة - ت : ٥٩١٥٠٨٥

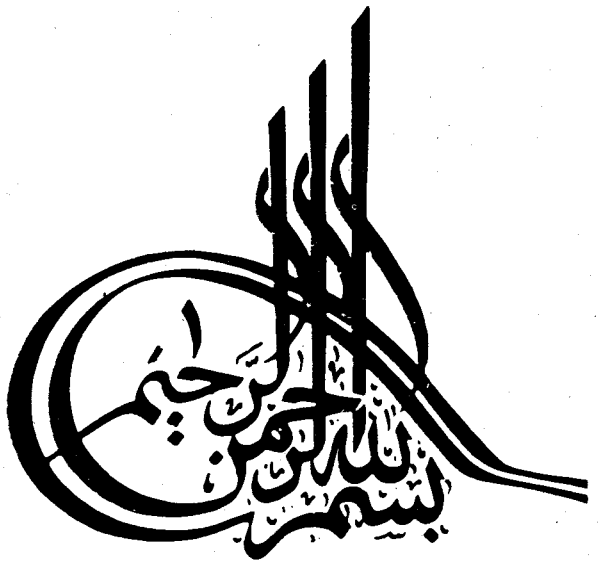

خطب الجمع والأعياد

بسم الله الرحمن الرحيم

التعريف والترجمة لسماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن زاحم رئيس محاكم منطقة المدينة المنوَّرة ، وإمام وخطيب المسجد النبوى وفقه الله تعالى للخير

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد .

فقد أخذت هذه الترجمة لسماحة الشيخ من مصادر قريبة منه ، وهى موثقة ومدللة إن شاء الله تعالى ، والذى جمع وألَّف رسالة قيمة بعنوان « فضل العلم والقضاء » ، والتى شرَّفنى بتخريج آياتها القرآنية والأحاديث النبوية على صاحبها الصلاة والسلام ، والأقوال السَّلَفية من الصحابة والتابعين ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، فأقول وبالله التوفيق والسداد والإعانة :

● **أما نسبه** : فهو عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب بن عثمان بن محمد ابن عبد الله بن زاحم بن محمد بن حسن بن سلطان بن زاحم ، من آل فضل المرازيق البقوم من الأزد محمد بن حسن ، وُلِدَ له ابنان ، أحدهما زاحم ، وهو جد آل زاحم ، والثانى عوجان وهو جد آل عوجان ، ومنهم الشيخ الجليل محمد بن عبد الله عوجان المعروف فى بلدة الزبير ، وتفرَّع عن عوجان : غدير ، جد آل غدير ، وفايز : جد آل سويد ، وآل على [1] .

---

(١) علماء نجد : للشيخ عبد الله البسام : ٢/ ٥٨٨ ، ٣/ ٨٧٨ ، ٨٩٩

والأزد من ذرية سبأ كما رواه الإمام أحمد رحمه الله تعالى بإسناده عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، وكذا الطبرانى فى الكبير ، وفى إسناده عبد الله بن لهيعة وهو ضعيف ، وله شواهد يُقَوِّى بعضها بعضاً ذكره الإمام ابن كثير فى تفسيره (١) ، والهيثمى فى مجمع الزوائد لفظ الحديث : أن رجلاً سأل النبىَّ ﷺ عن سبأ : ما هو ، أرجل أم امرأة ، أم أرض ؟ قال صلى الله عليه وسلم : « بل هو رجل ، ولّد عشرة ، فسكن اليمن منهم ستة ، وسكن الشام منهم أربعة ، فأما اليمانيون : فمذحج ، وكندة ، والأزد ، والأشعريون ، وأنمار ، وحمْيَر ، غير ما قلها ، وأما الشامية : فلخم ، وجذام ، وعاملة ، وغسان » (٢) .

وكان الأزد يسكنون مأرب ، الواقع شمال صنعاء بمسافة مئتى كيلو ، فلما ضُرِب سد مأرب وحصل سيل العرم المذكور فى سورة سبأ تفرَّقت القبائل ، فنزل عشيرة بن الأزد فى وادى اسمه باقم يقع بين نجران وبين صعدة ؛ فقيل : سموا باسمه البقوم ، ثم انتقل البقوم من ذلك الوادى ، ونزلوا وادى تربة الواقع فى حدود نجد بما يلى جبال السراة جهة رنيه ، وتفرَّع عنهم بطنان كبيران هما : آل محمد ، وآل زارع ، وتحت كل منهما أفخاذ ، وعشائر كثيرة (٣) ، ثم نزح زاحم الأول من تربة إلى القصب من مدة تزيد على سبعة

---

(١) تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى : ٥/٥٣٩ ، وقال فى إسناده : ابن لهيعة وفيه ضعف ، ثم ورد له شاهد آخر وهو قوى الإسناد ، وهو من حديث فروة بن مسيك رضى الله عنه ، ثم قال : وإسناده حسن .

(٢) مجمع الزوائد : للإمام أبى بكر الهيثمى : ٧/٩٤ ، هكذا قال ، ثم قال : وعن يزيد بن حصين السلمى رضى الله عنه ، ثم ذكر نحو هذا اللفظ ، ثم قال : رواه الطبرانى فى الكبير ورجاله رجال الصحيح غير شيخ الطبرانى على بن الحسن بن صالح الصائغ ، ولم أعرفه ، أورد له الإمام ابن كثير فى تفسيره شواهد كثيرة ، وقد ثبت هذا المعنى إن شاء الله تعالى ، وقد ذكره القرطبى فى تفسيره .

(٣) علماء نجد : للشيخ عبد الله البسام : ٢/٥٨٨ ، ٣/٨٧٨ ، ٨٩٩

قرون ، لأن الدرجة الثالثة عشرة من ذريته أعمارهم الآن ما بين الخمسين إلى الستين [١] ، فإذا أعطينا كل جد ستين سنة فنضربه فى ثلاثة عشر (٦٠ × ١٣) فسيكون (٧٨٠) سبعمائة وثمانين سنة ، وكان آل زاحم يتداولون أمارة القصب [٢] ، حتى غلبهم عليها السبايرة ، ثم استعادوها .

● **موقع بلدة القصب** : وبلدة القصب من بلدان الوشم فى قلب نجد ، تبعد عن شقراء شرقاً حوالى ثلاثين كيلو شرق النفود ، وتقع شمال الرياض بمسافة مائة وستين كيلو تقريباً .

● **ماذا تنتج القصب ؟** : والقصب مشهورة بإنتاج الملح المائى ، ومن أثارها القديمة : الزاهرية ، والدبكية ، والرقيبية ، والسيارى ، وصيران ، وحميدان الشويعر .

● **مولد الشيخ** : ولد الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب بن زاحم فى بلدة القصب عام ١٣٥٠ هـ ، وهو من الدرجة الثالثة عشرة بالنسبة للجد الأول زاحم ، وكان أبوه الشيخ محمد بن عبد الوهاب حافظاً للقرآن الكريم ، وإماماً لمسجد فى البلدة ، فتوسم فى ابنه عبد الله خيراً ، لحرصه على الطلب والتحصيل وجدَّ فى تعليمه ، فأدخله فى الكُتَّاب عند الشيخ عبد العزيز بن محمد المحارب ، ثم عند المقرئ الشيخ عبد العزيز بن عوجان ، وحفَّظه أبوه

---

(١) وقد ورد الحديث بهذا المعنى وفيه : « أعمار أمتى ما بين الستين إلى السبعين » رواه الترمذى فى « الزهد » برقم (٢٣٣١) ، وقال : « حديث حسن غريب من حديث أبى هريرة رضى الله عنه من حديث أبى صالح عن أبى هريرة ، وقد روى من غير وجه عن أبى هريرة رضى الله عنه » .

قلت : نعم أخرجه ابن ماجه فى السنن برقم (٤٢٣٦) ، وإسناده حسن لذاته وهو من طريق أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعاً بهذا اللفظ ، وأيضاً الترمذى برقم (١٥٥٠) .

(٢) علماء نجد : للشيخ عبد الله البسام : ٣/ ٨٩٩

القرآن الكريم من قصار المفصل ، حتى وصل إلى « سورة طه » ، ثم توفى والده العظيم الشيخ محمد بن عبد الوهاب عام ١٣٦٢ هـ ، فأكمل الشيخ عبد الله حفظ القرآن الكريم فيما بعد .

● **نزوحه عن القصب** : لما توفى والده الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى رحل الشيخ عبد الله إلى عمه فى الرياض ، ليزداد علماً ، ومعرفة ، وكان عمه الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى رئيساً لمحكمة الرياض ، ويساعده الشيخ محمد الخيَّال رحمه الله ، ثم جاء الإمام الجليل الشيخ عبد العزيز بن صالح رحمه الله إليها فيما بعد .

وفى عام ١٣٦٣ هـ أمر الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله تعالى بأن يتولى الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب بن زاحم رئاسة محكمة المدينة المنوَّرة والدوائر الشرعية بها ، فتوجَّه الشيخ الكبير عبد الله بن عبد الوهاب من الرياض إلى المدينة المنوَّرة ، عن طريق مكة المكرَّمة فى شهر شوَّال عام ١٣٦٣ هـ ، ومساعداه الشيخ محمد الخيال والشيخ عبد العزيز ابن صالح ، والسكرتير الخاص به الشيخ عبد الرحمن الحصين ، وأبناء أخيه عبد الوهاب وعبد العزيز وعبد الله ، والحاشية ، وبعد انتهاء مناسك الحج توجهوا إلى المدينة المنوَّرة فوصلوها فى أول شهر محرَّم الحرام فى بداية عام ١٣٦٤ هـ ، والتحق الشيخ عبد الله - صاحب الترجمة - بالمدرسة المحمدية الابتدائية التى كانت عند باب المجيدى ، وكانت دروسها قوية ، وكان يديرها الشيخ عبد الكريم السنارى رحمه الله تعالى ومساعده عبيد ترجمان خازمان ، وكانت لهما هيبة ووقار ، ونظرا للظروف المالية ترك الشيخ عبد الله - صاحب الترجمة - المدرسة ، والتحق بالوظيفة ، وصار يدرس دراسة جديدة عند المشائخ منهم عمه الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب ابن زاحم رحمه الله ، والشيخ محمد الخيال رحمه الله تعالى فى البيت ،

وعند الشيخ عبد العزيز بن صالح رحمه الله بعد الفجر فى المسجد النبوى الشريف ، وعند الشيخ عبد الوحمن الإفريقى فى المسجد النبوى الشريف ، وفى مدرسة دار الحديث .

ولما وصل العالِم الجليل الشيخ محمد الأمين الشنقيطى المدينة النبوية الشريفة من بلاده توسط له رئيس المحكمة والدوائر الشرعية بالمدينة الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب بن زاحم رحمه الله تعالى لدى المسئولين فى الدولة - وفقهم الله تعالى - بمنحه الإقامة ، فأُعطى وسُمِحَ له بالتدريس فى المسجد النبوى الشريف ، فأخذ عنه صاحب الترجمة فى تفسير القرآن الكريم وعلومه ، ومَن قال غير ذلك فقد وهم وأخطأ لأن الذى توسط للشيخ محمد هو الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب بن زاحم ، ثم رغب الشيخ عبد الله بن محمد بن زاحم - صاحب هذه الترجمة - فى المزيد من العلم والثقافة ، فأراد الالتحاق بدار التوحيد فى الطائف ، إلا أنه لما سمع بأن معهداً علمياً سيُفتح فى الرياض عام ١٣٧٠ هـ برئاسة سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وإدارة أخيه الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم رحمه الله ، وأن الشيخين - الشيخ عبد الرحمن الإفريقى ، والشيخ محمد الأمين الشنقيطى - سيدرسان فيه فانتظره .

وفى عام ١٣٧١ هـ توجَّه للرياض للدراسة واستقال من الوظيفة ، وأحس بمس الغربة والوحدة إلا أنه صبر وثابر واحتسب ، فأعانه الله تعالى ويسَّرَ أمره ، ثم عُيِّن الشيخ عبد الله بن زاحم - صاحب الترجمة - إماماً لمسجد الإمام عبد الرحمن الفيصل المعروف بمسجد الحسى الواقع فى البطحاء بجوار البنك الأهلى بتاريخ ١٣٧٦/١١/٨ هـ ، وكان المسجد يحتاج إلى درج ومحل للماء ، فراجع المسئولين فأُصلحت .

● **العلماء الذين استفاد منهم** : ومن العلماء الأجلاء الذين درس عليهم فى المعاهد والكليات واستفاد منهم :

١ - سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز .

٢ - الشيخ عبد الرزاق العفيفى .

٣ - الشيخ محمد الأمين الشنقيطى .

٤ - الشيخ عبد الرحمن الإفريقى .

٥ - الشيخ محمد المختار الشنقيطى .

٦ - الشيخ حمد الجاسر (أطال الله فى حياته) .

٧ - الشيخ عبد العزيز بن رشيد .

٨ - الشيخ عبد الرحمن بن عودان .

٩ - الشيخ عبد اللطيف سرحان . . . وغيرهم .

ثم تخرَّج الشيخ عبد الله - صاحب الترجمة - من كلية الشريعة ، ونال الشهادة العالية عام ١٣٧٨ هـ ، وسُجِّلت برقم (٥١) ، وكان يقضى العطلة الصيفية فى المدينة المنوَّرة ، ويتزوَّد من علمائها ، وبعد التخرج طلبه سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، وأصرَّ على تعيينه مساعداً لرئيس محكمة حائل ، فاعتذر وبقى شهران فى الرياض وهو يعتذر ، فلم يقبل منه ، وبتاريخ ١١/ ٤/ ١٣٧٩ هـ عُيِّن الشيخ عبد الله بن محمد بن زاحم - صاحب الترجمة - مساعداً لرئيس محكمة حائل بالقرار رقم (١٢٥) ، وكان رئيسها الشيخ عبد الله بن صالح الخلفى ، فلما انحرفت صحة الشيخ الخلفى وأُحيل للتقاعد رحمه الله عُيِّن الشيخ عبد الله بن محمد بن زاحم رئيساً للمحكمة بالقرار رقم (١٣٧) فى ٤/ ٤/ ١٣٨٠ هـ ، فعمل على رفع مستوى المحكمة فطالب لها بمحكمة مستعجلة ، وكتابة عدل ، ومدير بيت المال ، وزيادة قضاة

وكتبة ومستخدمين ، واقترح فتح ثلاث عشرة محكمة فى الملحقات لبُعدها عن حائل وفتح بعضها وهو فى حائل .

وكان الشيخ عبد الله بن محمد بن زاحم يقضى إجازته فى المدينة المنوَّرة عند إخوانه وأُسرته ، ويحن إلى الرجوع إليها لمحبته المثالية الشديدة ، ورغبته الأكيدة للمدينة النبوية الشريفة وفى سكناها والمكث فيها إلى أن ينتقل إلى جوار ربه جَلَّ وعَلا لحديث عائشة رضى الله عنها الذى أخرجه الشيخان فى صحيحيهما وغيرهما من أهل السُّنَّة والمسانيد ؛ البخارى برقم (١٨٨٩) : فضائل المدينة بسياق طويل وفيه : وقال رسول الله ﷺ : « حبِّب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ، اللَّهُمَّ بارك لنا فى صاعنا وفى مُدِّنا » . . . . الحديث ، ونحوه مسلم فى الصحيح فى كتاب الحج ، حديث رقم (٤٨٠) ، وفيه زيادة : « اللَّهُمَّ حبِّب إلينا المدينة وصححها لنا » . ومن هذا قد تحققت أُمنيته الغالية فيما أحب .

وفى عام ١٣٩٠ هـ عاد إلى المدينة المنوَّرة ، وعمل فى محكمتها ، وكان رئيس محاكم المدينة المنوَّرة سماحة الشيخ عبد العزيز بن صالح ، ومساعده الشيخ عبد المجيد بن حسن ، فلما رُفِعَ الشيخ عبد المجيد إلى قاضى تمييز فى مجلس القضاء بالرياض ، عُيِّن الشيخ عبد الله - صاحب هذه الترجمة - مساعداً لرئيس محكمة المدينة حسب الأمر رقم (٥٦) فى ٢/ ١/ ١٣٩١ هـ .

وكما عُيِّن عضواً فى مجلس الأشراف على التدريس فى المسجد النبوى الشريف بالأمر الملكى رقم (٢٩٧٧٤/ ٢/ م) فى ٢٦/ ١٢/ ١٣٩٣ هـ ، ثم عيَّنه الرئيس العام لشئون المسجدين - المسجد الحرام ، والمسجد النبوى الشريف - الشيخ ناصر أحمد الراشد إماماً وخطيباً للمسجد النبوى بالقرار رقم (٣٨٤) فى ١/ ١٠/ ١٣٩٨ هـ ، ثم عيَّنه مجلس القضاء الأعلى قاضى

تمييز بتاريخ ١٣٩٧/١٢/١٢ هـ ، ولا يزال حتى الآن على هذه الوظيفة ، وبتاريخ ١٤٠١/٧/١ هـ أُجريت معادلة قضاة التمييز بالمرتبة الممتازة .

● **خدمات الشيخ عبد الله بن زاحم** : وإذا نظرنا إلى خدمات الشيخ عبد الله ابن زاحم - صاحب الترجمة - فإنه وفقه الله تعالى ابتدأ عمله الإدارى بتاريخ ١٣٦٤/١/١٧ هـ ، والأمر باعتبار الخدمة ١٨ سنة صدر بتاريخ ١٣٦٤/٣/١٦ هـ ، فالفرق شهران فلا يشمله الأمر ، وأفاد مكتب الديوان بالمدينة برقم (٤٥٢١) فى ١٤١١/٥/٢٥ هـ بأن الخدمة التى قبل ١٣٦٤/٣/١٦ هـ معتبرة لو كان السن أقل من ١٨ سنة ، فالخدمة الإدارية من ١٣٦٤/١/١٧ هـ حتى ١٣٧١/٣/٩ هـ ، فإذا هى سبع سنوات وشهر واحد وخمسة وعشرون يوماً ، وفى القضاء من ١٣٧٩/٤/١١ هـ حتى هذا التاريخ (١٤١٤/١٢/١٠ هـ) : خمسة وثلاثون سنة وثمانية أشهر ، والجميع اثنان وأربعون سنة وتسعة أشهر وخدمته فى الإمامة فى الرياض ١٣٧٦/١١/٨ هـ حتى ١٣٧٩/٤/١٩ هـ : سنتان وستة أشهر ، وفى المدينة من ١٣٩١/١/١ هـ حتى تاريخه هذا (١٤١٤/١٢/١٠ هـ) : أربعة وعشرون سنة إلا أيام ؛ فالجميع ست وعشرون سنة ونصف .

وهذه المعلومات أخذتها من ملف خدمات المترجم له ، ومن شجرة نسبه ، ومن معلوماتى والمراجع الأخرى ، وهى موثقة إن شاء الله .

● **مشائخه** : الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب بن زاحم ، الشيخ محمد الخيال ، الشيخ عبد العزيز بن صالح ، الشيخ عبد الرحمن الإفريقى ، الشيخ محمد الأمين الشنقيطى .

وفى الرياض : سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ، الشيخ عبد الرزاق العفيفى ، الشيخ عبد الله بن ناصر بن رشيد ، الشيخ عبد الرحمن بن عودان ،

الشيخ حمد الجاسر ، الشيخ محمد المختار الشنقيطى ، الشيخ عبد اللطيف سرحان .

● **مؤلفات الشيخ عبد الله بن محمد بن زاحم – وفقه الله تعالى للجد – آمين :**

١ – مجموعة خطب قَيِّمة نافعة جداً ، أعدها وألقاها على منبر المسجد النبوى الشريف منذ قدومه المدينة ، وقد وقعت فى خمسة مجلدات كبار ، وقد طُبع منها المجلد الأول : قسم الإيمان ، والثانى فى التفسير ، والباقى تحت الطبع (وسوف تُطبع قريباً تباعاً إن شاء الله تعالى فما بعد) .

٢ – موجز الكلام فى فضل المدينة ، وملخص توسعة المسجد النبوى الشريف ، وهى رسالة صغيرة طُبِعت عدة طبعات .

٣ – العلم والقضاء ، وهى هذه الرسالة التى أخرجت آياتها القرآنية والأحاديث النبوية والآثار السَّلَفية (تحت الطبع الآن) .

٤ – تراجم قضاة المدينة النبوية الشريفة من عام ٩٦٤ هـ حتى عام ١٤١٧ هـ (وهو تحت الجمع والتحرير) .

● **هواية الشيخ عبد الله بن محمد بن زاحم** : أما هوايته ورغبته فالمطالعة والتأليف ، فقد عرفته حريصاً أشد الحرص على مطالعة الكتب القَيِّمة النافعة ، والاستفادة منها على الدوام من كتب الحديث والتفسير والفقه وأُصولها ، كما شاهدت عند تحضيره وإعداده خُطَب الجُمَع والأعياد والاستسقاء والخسوف والكسوف ، واستدلاله واستشهاده واقتباسه من تلك الأدلة التى استدل بها على الأحكام الشرعية والآداب المرغبة والأخلاق النبيلة والعقائد الإسلامية الصحيحة المأخوذة من الكتاب والسُّنَّة وهى كثيرة جداً ، كما شاهدت ذلك عند تخريجى لخطبه القيمة التى نُشر منها المجلد الأول

الذى يتعلق بالإيمان والباقى تحت الطبع ، ومن هنا أدركت تماماً أنه - وفقه الله - كثير المطالعة والدراسة ، ولقد شاهدت مكتبته القيمة النافعة التى جمعت التراث الإسلامى الخالد العظيم ، وهى تقع فى غرفتين كبيرتين زيادة على ما عنده فى مجالسه العامة والخاصة من كتب كثيرة متنوعة ، ولقد أكثر النقل عن تفسير الإمام ابن كثير والقرطبى وابن الجوزى وغيرهم من أئمة التفسير ، وكذا الحديث النبوى الشريف ، فقد أكثر النقل عن أصحاب الكتب الستة مع شروحاتها ، وعلى رأسها فتح البارى ونيل الأوطار وشرح النووى على صحيح الإمام مسلم ، هكذا تجده يتشجع على نقل كلام الأئمة الفقهاء الكبار كالإمام ابن قدامة المقدسى الحنبلى صاحب المغنى وسائر كتبه ، فقد أكثر النقل عن المغنى فيما يتعلق بالمسائل الفقهية ، ثم يذهب إلى جميع كتب الفقه إذا كانت المسألة خلافية بين الفقهاء ، ثم يقارن بينها عن طريق الدليل الصحيح ، ثم يأخذ الصحيح مع الترجيح فى ضوء الدليل مع ترجمة ودعائه لجميع الفقهاء المعروفين بالصلاح والرشاد ، ومن السَّلَف والخَلَف رحمهم الله تعالى الذين كانوا على عقيدة السَّلَف الصالح رحمهم الله تعالى .

أما نقله للفتاوى إذا كانت القضية أو المسألة تتعلق بالفتيا ، فإنه أكثر النقل جداً من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى من القدماء ، ثم يثنيها من فتاوى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله تعالى ، وهكذا دأبه وشأنه دائماً وأبداً ، وفقه الله تعالى للخير .

● **أسلوب القضاء عند صاحب الترجمة** : فإنه وفقه الله تعالى - كما عرفت وتأكدت - يحتاط فى القضايا ويتريث فيها كثيراً ويضبطها تمام الضبط صغيرة كانت أو كبيرة ، وقد كانت عنده قضيتى فى السنوات الأخيرة مع رجل طبع كتابى ، ثم ادَّعى علىَّ بأنى أجزت لواحد من الناشرين قبل نفاد الطبعة الأولى ،

ولقد عرفت تماماً أن الشيخ المترجم له احتاط فى هذه القضية وضبط إفادتى بالوفاء والتمام ، ثم حوَّلها إلى وزارة الإعلام لكى تنظر فيها ، وقد سبق للإعلام النظر فيها ، وقد أنهاها فى الرياض بعد ما ترددت هذه القضية بين المدينة والرياض لأخذ إفادتى فيها ، لأن المدَّعى كان عمله فى الرياض وكان مخطئاً فيها ، ثم ادَّعى علىّ مرة أخرى هنا بالمدينة ، ثم قدّمت الأوراق الرسمية إلى سماحة الشيخ بإنهاء القضية فى الإعلام ، وكان المدَّعى فى وقت من الأوقات مرتبطاً بسماحة الشيخ لأنه كان مدرساً بالمسجد النبوى الشريف وكان قريباً منه جداً ، ومع ذلك لم يبال به وحوَّل الأوراق والدعوى إلى وزارة الإعلام بالرياض التى سبق لها النظر فيها ثم الحكم فى القضية ، ومن هنا تعرَّفت تماماً أن لا ظلم ولا استبداد ولا محاباة عنده ، وفقه الله تعالى وسدَّد خُطاه ، وهكذا نظام القضاء فى الإسلام . . كما جمع وحرَّر فى ذلك رسالته القيمة والنافعة باسم « فضل العلم والقضاء فى الإسلام » ، ثم بقى فى القضاء إلى يومنا هذا : خمسة وثلاثون سنة وثمانية أشهر ، وإن هذه المدة الطويلة فى هذه المهنة الشريفة أكسبت الشيخ مهارة وخبرة كبيرة مع علمه وزهده وورعه ، زاده الله تعالى براً وتوفيقاً وسداداً وخشية وخوفاً من ربه جَلَّ وعَلا .

● **أما خطبه المنبرية** : فإنه أعدها إعداداً جيداً بتلك الصور الرائعة التى تجدها فى المطبوع ، ثم النظر فى نصوصها الصحيحة المنقولة من الكتاب والسُّنَّة وإجماع الأُمة وكلام السَّلَف الصالح من أصحاب رسول الله ﷺ ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، ثم إلقاؤها وإسماعها كان أروع وأنفس ، سمعها العالَم الإسلامى منذ أمد بعيد عن طريق الإذاعة والبث التلفازى المباشر ، كما حصل لى الشرف بتخريجها وعما فيها من العلم المنقول كتاباً وسُنَّة ، وذلك

فى الجزء الأول المطبوع ، فقد تكلَّمت عنها وعن بعض ميزاتها وأساليبها الحكمية والبليغة ، فلا بد من مراجعة ذلك من المطبوع - الجزء الأول - وسوف تجد هذه الميزات المميزة إن شاء الله تعالى .

وصلَّى الله وسلَّم وبارك على عبده ورسوله محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

كتبه العبد الفقير إلى الله تعالى

عبد القادر بن حبيب الله السندى

نزيل المدينة المنوَّرة

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المجلد الرابع من الخطب

الحمد لله رب العالَمين . .

الحمد لله الذى جعلنا من أتباع نبيه الأمين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وأُصلِّى وأُسلِّم على عبده ورسوله الصادق الأمين .

اللَّهُمَّ صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان .

أما بعد . .

فأقدم لك - أخى القارئ - المجلد الرابع من « خطب الجُمَع والأعياد » التى ألقيتها على منبر مسجد رسول الله ﷺ ، وهو يشتمل على أربعة أبواب :

الباب الأول : فى الحج ، وفيه (٢٧) خطبة .

الباب الثانى : فى البيوع ، ويشتمل على (١٠) خطب .

الباب الثالث : فى الأطعمة ، ويشتمل على (٩) خطب .

الباب الرابع : فى الاجتماعيات ، ويشتمل على (١٣) خطبة .

أسأل الله أن يجعله عملاً خالصاً لوجهه، وأن ينفع بها مَن قرأها وسمعها إنه جَوَّاد كريم ، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

١٨/٧/١٤١٦ هـ .

المؤلف

عبد الله بن محمد بن زاحم

* * *

الباب الأول

الحـــج

ويشتمل على (٢٧) خطبة

بسم الله الرحمن الرحيم

١ - فضل عشر ذى الحجة [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله الكبير المتعال [٢] ، وهو القاهر فوق عباده [٣] ، وهو الحكيم الخبير [٤] .

وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له . . ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [٥] .

وأشهد أنَّ سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفوتُه من خلقه .

صلَّى الله عليه وسلَّم وعلى آله وأصحابه ، ومَن اقتفى أثره واتبع مِلَّته .

أما بعد . .

فإن طالبى وتُجَّار الأموال يلتمسون دائماً الأسواق الحيَّة لتسويق تجارتهم فيها ليحصل لهم فيها ربحُ أكثر ونفاقُ لأموالهم أوسع ، ولو طال بهم السفر ، ولو بَعدت عليهم الشقة .

---

(١) ألقيت يوم ٣/ ١٢/ ١٣٩٨ هـ .

(٢) إشارة إلى الآية ٩ من سورة الرعد .

(٣) إشارة إلى الآيتين ١٨ ، ٦١ من سورة الأنعام .

(٤) إشارة إلى الآيتين ١٨ ، ٧٣ من سورة الأنعام ، وسورة هود الآية رقم (١) ، وسورة سبأ الآية رقم (١) .

(٥) سورة الشورى : ١١

ولكن طالبى الجنَّة وتُجَّار الآخرة ، يتحرون الأيام المفضَّلة ويلتمسون ساعات الاستجابة يرجون تجارة لن تبور ، يرجون مضاعفة الحسنات ورفع الدرجات والقُرْب من رب السموات والأرض ، فهنيئاً لهم ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (١) .

وإنكم فى عشر ذى الحجة وهى أفضل أيام الدنيا ، العمل الصالح فيها مُحَبَّب إلى الله تبارك وتعالى .

فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من أيام العمل الصالح فيها أحبُ إلى الله عَزَّ وجَلَّ من هذه الأيام - يعنى أيام العشر - قالوا : يا رسول الله ؛ ولا الجهادُ فى سبيل الله ؟ قال : « ولا الجهادُ فى سبيل الله ، إلا رجل خرج بنفسه وبماله ثم لم يرجع من ذلك بشىء » (٢) .

الله أكبر . إنها فرصة ثمينة ، فأكثروا فيها من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير ، وضاعفوا الجهود فى الأعمال الصالحات ، فإنها تُضاعَف فى هذه العشر إلى سبعمائة ضعف .

الله أكبر الله أكبر ، لا إلَه إلا الله .

الله أكبر ، وسبحان الله ، والحمد لله ، ولا إلَه إلا الله .

الله أكبر كبيراً ، والحمد لله كثيراً ، وسبحان الله بُكْرة وأصيلا ، ولا إلَه إلا الله .

أيها المسلم . . إنك إذا نظرت إلى ما تقدَّمَ من حياتك وجدتَ فيها التقصير والإهمال والتفريط ، فانظر إلى تفريطك نظرة ندم وأسف ، ثم تذكَّر قول الله تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن

---

(١) سورة الشعراء : ٨٨ ، ٨٩

(٢) الترغيب : ٢/١٩٨ ، والبخارى مع الفتح : ٢/٤٥٧ ، المطبعة السَّلَفية بلفظ آخر ، وابن ماجه والترمذى وأبو داود والطبرانى .

رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُّ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (١).

أيها المسلم . . إنك فى هذه البقاع المقدَّسة فى مهابط الوحى ومواقع التنزيل ومواطئ أقدام محمد ﷺ ، عليك واجب لنفسك فأعتقها بالتوبة والرجوع إلى الله تعالى ، اقلع عن المعصية واندم على ما مضى من الأيام ، واعقد العزم الصادق على ألا تعود إليها أبداً ، وأوف بعهدك الذى تكرره كلما قرأت الفاتحة : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (٢) ، أوف بهذا العهد المؤكد ، فلا تعبدْ إلا الله تعالى ، ولا تستعن إلا بالله تعالى ، ولا تطلب المَدَد والقوت إلا من الله عَزَّ وجَلَّ ، ولا تطلب كشف الكربات ولا قضاء الحاجات إلا من خالقك ورازقك ، ولا تُقدِّم شيئاً من القرابين سواء أكانت نقوداً أو ذبائح إلا لله تعالى ، فهو سبحانه قاضى الحاجات ، وهو مجيب الدعوات ، ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٣) ، ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (٤).

(١) سورة الزمر : ٥٣ - ٥٩

(٢) سورة الفاتحة : ٥

(٣) سورة الأنعام : ١٧

(٤) سورة يونس : ١٠٧

واعلم أيها المسلم أن ربك يراكَ ويسمع دعاءَك ويعلمُ أفعالَك ، يعلم ما توسوس به نفسك وما يتردد فى ضميرك ، وما يخطر على ما بالك .

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ (١) .

فليس بينك وبين ربك أبواب ولا حُجَّاب ، فارفع يدك إليه وقل : يا ربى فيجيب : لَبَّيْك عبدى ، وقل : أستغفرك اللَّهُمَّ وأتوب إليك ، فيجيب دعاءك : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾(٢) تأمل أيها المسلم هذه الآية الكريمة ، تأمل هذه المعانى المُرغِّبة كيف تحمل الرفق والعطف والشفقة ، تصل إلى قلب المؤمن فتملؤه رغبة ونوراً وإيناساً برب الناس ، إنه أنيس المستوحشين ومأمن الخائفين . ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ (٣) ، ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ (٤) .

ما السموات والأرض فى كف الرحمن إلا كخردلة فى يد أحدكم . . ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٥) ، فعلِّق قلبك أيها المسلم بهذا الإلَه الحق فهو القادر على قضاء حاجتك ، وهو الذى بيده نفعك وضرك ،

---

(١) سورة ق : ١٦

(٢) سورة البقرة : ١٨٦

(٣) سورة طه : ٤٦

(٤) سورة المجادلة : ٧

(٥) سورة الزمر : ٦٧

وأما مَن سواه فهم عبيد لله فقراء إليه ، لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ، فلا تتبرك بالأحجار والحديد ، ولا بالأئمة ولا المؤذِّنين ، ولا بقبور الأولياء والصالحين ، وكن مسلماً حقاً فى جميع أعمالك وأقوالك وسلوكك ، وتَفَهَّم أُصُول دينك وقواعد إسلامك .

﴿ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ (١) .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، ﴿ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٢) واستغفروه إنه هو الغفور الرحيم (٣) .

* *

(١) سورة هود : ٩٠

(٢) سورة النور : ٣١

(٣) إشارة إلى الآية ٢٠ من سورة المزمل .

بسم الله الرحمن الرحيم

ماذا يلزم مَن أراد أن يُضَحِّي

(الخطبة الثانية)

الحمد لله على وافر النِعَم ، وأشكره وقد وعد بالزيادة لمن شكر .

وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إرغاماً لمن جحد به وكفر .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله سيدُ البَشَر . . صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه السادة الغرر .

أما بعد . .

فإنَّ أحسن الحديث كتابُ الله ، وخيرَ الهَدْى هَدْى نبينا محمد ﷺ ، وشرّ الأُمور محدثاتها ، وكل محدثة فى الدين بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار ، فتمسَّكوا بكتاب الله ، وبسُنَّة نبيه محمد ﷺ .

﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ (١) ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (٢) .

عباد الله . . مَن أراد أن يُضَحِّي فلا يأخذ فى هذه العشر من شعره ولا من ظفره ولا من بشرته شيئاً حتى يُضَحِّي ، وصَلُّوا على البشير النذير فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المنير : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ (٣)

اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّم وبارك وأنعم على عبدك ورسولك نبينا محمد صاحب المقام المحمود والحوض المورود ، وارض اللَّهُمَّ عن الخلفاء الراشدين : أبى بكر ،

---

(١) سورة آل عمران : ١٠٣

(٢) سورة الأنفال : ٤٦

(٣) سورة الأحزاب : ٥٦

وعمر ، وعثمان ، وعلىّ ، وعن بقية الصحابة أجمعين ، وزوجات نبيك أُمهات المؤمنين ، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، وارض عنا معهم بمَنِّك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللَّهُمَّ أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشِّرك والمشركين ، ودَمِّر أعداء الدين ، وانصر عبادك المؤمنين ، واحم حَوْزة الإسلام يا رب العالمين .

اللَّهُمَّ آمنا فى أوطاننا ، واحفظ إمامنا ، وأصلح ولاة أُمورنا ، واجعل ولاية المسلمين فى يد مَن آمن بك واتَّبع رضاك ، وآمن برسولك محمد ﷺ .

اللَّهُمَّ ارفع عنا الغلا والوبا ، والربا والزنا ، والمحن وسوء الفتن ، ما ظهر منها وما بطن ، عن بلدنا هذا خاصة ، وعن جميع بلاد المسلمين عامة يا رب العالمين .

اللَّهُمَّ اغفر لجميع المسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات .

اللَّهُمَّ فَرِّج هم المهمومين ، واقض الدَّيْن عن المدينين ، واشف مرضى المسلمين .

عباد الله . . ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (١) .

فاذكروا الله العظيم يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم ، ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (٢) .

* * *

(١) سورة النحل : ٩٠ - ٩١

(٢) سورة العنكبوت : ٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

٢ - بُنيت الكعبة من أجل التوحيد [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٢] . . أتم علينا نعمه ، وأكمل ديننا ، ورضى لنا الإسلام [٣] شِرْعة ومنهاجاً .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد . .

فإن الحج له أعمال مشروعة وأهداف سامية ، فليس رحلة استطلاعية ، ولا سياحة ترفيهية ، ولا عادات تقليدية ، وإنما هو اتصال برب العالَمين فى أشرف بقعة من العالَم فى مشاعر الله ، وإنما هو طاعة لقيوم السموات والأرضين عند بيته المطَّهر ، وهو برهان على انقياد العبد لربه والاستسلام لأمره ونهيه .

فينبغى للحاج أن يجرد قصده لله ، وأن يرتفع بإيمانه وتوحيده ، فمن أجل التوحيد بُنِىَ هذا البيت ، ومن أجله طُهِّرَ للطائفين والقائمين والرُّكَّع السجود [٤] ، ومن أجله بُعِث نبيُّنا محمدٌ ﷺ والنبيون من قبله ،

---

(١) ألقيت يوم ١١/١١/١٤٠٦ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى الآية ٣ من سورة المائدة .

(٤) إشارة إلى الآية ٢٦ من سورة الحج .

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ [١] فأهم مقاصد الحج تقوية الصلة بالله ، وتثبيت قواعد التوحيد : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [٢] .

وهؤلاء الحجاج هم عُمّار بيت الله فينبغى عليهم توحيد خالص لله ، وعبادة نقية صافية لا يشوبها شائبة ، فالحاج ما ترك أغلى شىء عنده من المال والولد والأهل إلا ليحقق مقاصد الحج .

وما جاء الحاج إلى هذه البقاع المقدَّسة إلا ليزداد قرباً من الله ، وليطبق شريعة الله فى مهابطها ، فقلبه يرف حول هذا البيت مستشعراً عظمة ربه ، وفِكره يحوم حول الذكريات التى مرَّت بهذا البيت ، وهذه المشاعر المقدَّسة ، فكلما أدَّى عملاً من أعمال الحج تذكرها .

يتذكر إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام حينما أتى بابنه الرضيع إسماعيل وأمه إلى واد غير ذى زرع [٣] فتركهما فى ذِمَّة الله ، وتحت رعايته وعنايته .

يتذكر إسماعيل وهو يتفحص عطشاً وأُمه تسعى بين الصفا والمروة طلباً للإغاثة حتى إذا أكملت سبعاً وأدركها اليأس وأشفقت على طفلها وهى وحيدة فى ذلك الوادى ، فإذا بعناية الله تُدركها وتُدرك طفلها ، فنبع الماء من تحت قدمى إسماعيل ، طعامُ طعم وشفاءُ سقم [٤] حتى إذا بلغ مع أبيه السعى

---

(١) سورة النحل : ٣٦

(٢) سورة الحج : ٢٦

(٣) إشارة إلى الآية ٣٧ من سورة إبراهيم .

(٤) إشارة إلى قوله صلى الله عليه وسلم : « زمزم ماء مبارك ، إنها طعام طعم ، وشفاء سقم » ، أورده الحافظ فى التلخيص : ٢/ ٢٦٩ ، وحسَّن إسناده من طرق عديدة . . .

وتذوق إبراهيم بر ابنه وأنس به وفرح به رأى فى المنام أنه يذبحه [١] ، ورؤيا الأنبياء حق [٢] ، فتلقى أمر ربه بالقبول والتسليم ، وهو يعرف من ابنه السمع والطاعة ، فلم يأخذه على غِرَّة ، ولم ينفذ الأمر على كُره ، بل أراد التنفيذ على اطمئنان واحتساب وتَقَرُّب إلى الله بأغلى شىء لديه ، فعرض الرؤيا على إسماعيل فكان كما وصفه ربه : ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [٣] ، فقد تلقى أمر الله بقلب مملوء بالإيمان والتقوى ، واستسلم لحكم الله بنفس راضية مطمئنة ، واستمد صبره من الله ، فلم يلتفت إلى البطولة والشجاعة ، ولا إلى التضحية والفداء ، ولا إلى الاندفاع والحماسة إلا لامتثال أمر الله تعالى ، فلما امتثلا الأمر وشرعا فى التنفيذ وعَيْن الله لم تغفل عنهما لحظة ، ورحمة الله لم تفارقهما طرفة عَيْن ، وعلم الله منهما تمام الاستسلام وكمال الطاعة ومطابقة القلب للجوارح ومطابقة السريرة للظاهر ، فداه ربه بذبح عظيم [٤] ، فكانت سُنَّة مُتبعة وشريعة من شرائع الحج ، فالأُضحية قُرْبة إلى الله بسفك دم الذبيحة ، وقُرْبة إلى الله إذا تصدَّق المُضَحِّى بلحمها على الفقراء والجيران والأقارب .

حينما يشاهد الحاج الكعبة يتذكر إبراهيم وإسماعيل وهما يرفعان القواعد من البيت فأسساه على التقوى والتوحيد ، يتذكر نداء إبراهيم عليه السلام : « يا أيها الناس إن الله قد اتخذ بيتاً فحجوه » [٥] .

---

(١) إشارة إلى الآية ١٠٢ من سورة الصافات .

(٢) هذا الأثر عزاه محقق شرح السُّنَّة : ٦/٤ إلى ابن أبى حاتم فى تفسيره ، وعلقه البخارى فى الصحيح : ٢٨٦/٢ ، ثم ذكر إسناده نقلاً عن الفتح مرفوعاً : « رؤيا الأنبياء فى المنام وحى » . وإسناده حسن ، والله أعلم .

(٣) سورة الصافات : ١٠١

(٤) إشارة إلى الآية ١٠٧ من سورة الصافات .

(٥) إشارة إلى الآية ٢٧ من سورة الحج .

يتذكر قصة الذبيح الآخر ، حينما نذر عبدُ المطلب ذبح العاشر من ولده ، فإذا هو عبد الله الذى أُودِعَ سراً من أسرار الكون ، فأبى الله إلا أن يفديه ، فأشار بعض القوم على عبد المطلب أن يضرب القداح وكلما ظهر على عبد الله زاد عشراً من الإبل - وكانت الدية من الإبل - فما زال عبد المطلب يزيد فى الفداء حتى بلغ مائة من الإبل (١) ، ثم انكشفت أسرار الحكمة فى هذا الفداء لعبد الله ، لتخرج من صلبه أطيبُ نطفة فى الوجود ، وليظهر إلى هذا الكون أطهرُ خلق الله ، ليُبَلِّغ عن الله رسالته ، وليكون محمد ﷺ رحمة للعالَمين ، وقائداً للغر المحجلين ، عبد الله ورسوله .

تذكر أيها المسلم تلك الأحداث التى مرَّت بها قِبْلَتُك ، فإنها مصادر تشريع مُنَبِّه على اليقين والإخلاص لله ، فاتق الله وتذكَّر عظمة رب البيت ورب محمد ﷺ ، واحفظ لخالقك حقه ، وأخلص العمل له ، واحذر كل الحذر أن تصرف شيئاً من حقه إلى سواه ، فإنه انحطاط من علياء الإيمان إلى حضيض الإشراك .

﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ (٢) .

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

أقول قولى هذا وأستغفر الله تعالى لى ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه إنه جَوَّاد كريم ، غفور رحيم .

* *

= وأما هذا الأثر فقد عزاه السيوطى فى الدر المنثور : ٦/ ٣٢ إلى ابن جرير الطبرى وابن المنذر فى تفسيريهما ، والحاكم فى المستدرك ، والبيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، وأورده ابن كثير فى التفسير : ٤/ ٦٣٢ نقلاً عن ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، وغير واحد من السَّلَف رحمهم الله .

(١) هذا الأثر ذكره ابن كثير فى البداية والنهاية نقلاً عن ابن إسحاق : ٢/ ٢٤٨ - ٢٤٩ ، وقد عقد عليه الباب قائلاً : « نذر عبد المطلب ذبح ولده » ، وقد مال ابن كثير (٢/ ٢٥١) إلى صحة وقوع هذا النذر وصحة هذا الأثر ، والله أعلم .

(٢) سورة الحج : ٣١

بسم الله الرحمن الرحيم

واجبات الإحرام

(الخطبة الثانية)

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه ، ومَن اتبع سبيله .

أما بعد . .

فقد قسَّم العلماء رحمهم الله تعالى أعمال الحج ثلاثة أقسام ، وهى : أركان ؛ وواجبات ، وسنن . فالركن لا يتم الحج إلا به ، والواجب يُجْبر بدم إذا تُرِك ، والسُّنَّة يُثاب فاعلها ولا يُعاقَب تاركها .

فأما الأركان فهى أربعة على المشهور : الإحرام وهو نية الدخول فى النُّسُك ، والوقوف بعرفة ، وطواف الإفاضة ، والسعى بين الصفا والمروة ، فمَن ترك واحداً منها لم يتم حجته .

وأما الواجبات فسبعة : الإحرام من الميقات لمن يمر عليه أما مَن كان دون الميقات فمن مكانه ، واجتناب محظورات الإحرام ، والوقوف بعرفة إلى غروب الشمس يوم التاسع من ذى الحجة ، والمبيت بمزدلفة إلى نصف الليل لمن مَرَّ عليها قبل ذلك ، ورمى الجمرات مرتبة ، والحَلْق أو التقصير ، وطواف الوداع .

وأما السُّنَن فهى ما عدا الأركان والواجبات من أعمال الحج .

أيها الحاج الكريم ؛ إن وجودك فى هذه البقاع المقدَّسة فرصة قد لا تجدها فى وقت آخر فاغتنمها ، أَرِقْ دموع الندم على أدران المعاصى تغسلها ، وتُبْ إلى الله من جميع الآثام تجده توَّاباً رحيماً ، واعْمُر وقتك بذكر الله وعبادته وتلاوة كتابه ، واجتنب كل ما يُشغلك عن ربك وطاعته .

وصلُّوا على البشير النذير . . . . . .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ (١)

* * *

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٣ - الحج ركن من أركان الإسلام

لمن استطاع إليه سبيلاً [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [٢] : . طَهَّرَ بيته للطائفين والعاكفين والرُّكَع السجود [٣] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، خَلَق فقدَّر ، وشَرَّع فيسَّر .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله خير مَن صلَّى وصام وطاف بالبيت الحرام .

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه نجوم الهُدَى ومصابيح الظلام ، ومَن تبعهم بإحسان ثم استقام .

أما بعد . .

فأُوصيكم وإياى بتقوى الله تعالى .

عباد الله ؛ إن حج بيت الله الحرام ركن من أركان الإسلام ، يجب على كل مسلم مُكَلَّف يستطيع إليه سبيلاً . قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى

---

(١) ألقيت يوم ٢/ ١٠/ ١٣٩٨ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى الآية ١٢٥ من سورة البقرة .

﴿ النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « بُنِيَ الإسلام على خمس : شهادة أنْ لا إلَه إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج بيت الله الحرام من استطاع إليه سبيلاً » (٢) .

الاستطاعة هى القدرة ، والسبيل هو المركب والنفقة ، فإذا مَلَكَ الإنسان من المال ما يكفيه لركوبه ونفقته من حين خروجه من بلاده حتى يرجع إليها ، فهو مستطيع يجب عليه الحج .

ومَن لا يجد كفايته فهو غير مستطيع ولا يجب عليه الحج ، ولا يلزم الإنسان أن يستدين مالاً ليحج به ، ولا أن يقترض ، ولا يحل له أن يسأل الناس أموالهم ليحج ، ولا أن يتكفف الناس . فإن المسلم مطلوب منه أن يكون عزيز النفس ، يترفع عن الابتذال والإهانة ، والدَّيْن ذُل ، والمسألة مسكنة وهوان ، لا يُكَلِّف الله نفساً إلا وسعها (٣) .

وينبغى لمن استطاع السبيل إلى الحج أن يبادر لأداء فريضة حجه ، ويقر بركن من أركان إسلامه ، فإنه بعد الاستطاعة وجب عليه الحج وصار دَيْناً عليه يلزمه أداؤه ، والإنسان لا يدرى ما يحصل له فى مستقبل حياته ، فهو فى هذه الدنيا غرض لسهامها ، وهدف لمصائبها ، إن أخطأه هذا أصابه هذا ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً ، وما تدرى نفس بأى أرضٍ تموت (٤) .

---

(١) سورة آل عمران : ٩٧

(٢) حديث صحيح رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما ، وأحمد فى مسنده ، والترمذى والنسائى فى سننهما ، وذكره السيوطى فى الجامع الصغير برقم (٣١٦٢) ورمز له بالصحة .

(٣) إشارة إلى الآية ٢٨٦ من سورة البقرة .

(٤) إشارة إلى الآية ٣٤ من سورة لقمان .

ويجب على مَن أراد الحج أن يختار النفقة الحلال ، فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً (١) ، ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٢) ، أما المال الحرام الذى اكتسبه صاحبه من طريق حرام - مثل : الربا ، والقمار ، والسرقة ، والغصب ، والخيانة ، والرشوة - فإنه كسب خبيث ، ومال حرام . والذنوب لا تطهر إلا بالعمل الطيب ، فلا يطهر الخبيث بالخبيث ، وإنما يطهر الخبيث بالطيب ، فلا يغسل الدم بالدم ولا البول بالبول ، وإنما تُغسل الخبائث بالماء الطَهور ، ولا يكون الحج مبروراً إلا إذا كانت نفقته حلالاً .

قال صلى الله عليه وسلم : « إنَّ الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (٣) . وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (٤) ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء : يا رب يا رب ، ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام ، فأنَّى يُستجاب له » (٥) .

أى كيف يُستجاب له ، وهو على هذه الحالة ؟ غذاؤه وشرابه وطعامه وكساؤه كله حرام ، هذا مع أن أسباب الاستجابة للدعاء متوفرة لديه ، فإن

---

(١) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، أخرجه مسلم : ٢/٧٠٣ بسياق طويل برقم (٦٥) خاص وعام (١٠١٥) .

(٢) سورة المائدة : ٢٧

(٣) سورة المؤمنون : ٥١

(٤) سورة البقرة : ١٧٢

(٥) وهو نفس حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، أخرجه مسلم فى الصحيح : ٢/٧٠٧ برقم (٦٥) خاص وعام (١٠١٥) ، وأحمد فى المسند : ٢/٤٣٦ من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

السفر ، وتواضع المنظر ، ومدَّ اليد إلى السماء ، والإلحاحَ فى الدعاء بصفة الربوبية ، كل واحد من هذه سبب لاستجابة الدعاء ، ولكن الحرام غلب هذه الأسباب ، فأنَّى يُستجابُ له ؟

فينبغى لمن أراد الحج أن يختار النفقة الحلال ، وأن يوسع على نفسه ومَن معه فى النفقة والمسكن دون إسراف وتبذير ، ودون إيذاء وتضييق على المسلمين .

ومن رحمة الله تبارك وتعالى بعباده لم يجعل الحج واجباً بالتكرار ، وإنما هو فى العمر مرةً واحدة فقط ، لأن الحج هو أشد أركان الإسلام كلفة ، فهو يحتاج إلى مالٍ وزاد والراحلة ، وفيه مشقة السفر ، والسفر قطعة من العذاب (١) ، وفيه مفارقةُ الأهل والأموال مدةً من الزمن ، وفيه تغيير نظام حياة الفرد فى اللِّباس والمسكن وتغيير الأجواء ، وفيه مشقة الزحام فى المواقف المطهَّرة ، فمن لطف الله تعالى يَسَّرَ على عباده ، فأوجب الحج فى العمر مرة واحدة من غير تكرار .

قال صلى الله عليه وسلم : « يا أيها الناس ؛ إنَّ الله كتب عليكم الحج فحجوا » ، فقام الأقرع بن حابس فقال : يا رسول الله ؛ أفى كل عام ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « لو قلتها لوجبت ، ولو وجبت لم تعملوا بها ولن تستطيعوا أن تعملوا بها ، الحج مرة ، فمَنْ زاد فهو تطوع » (٢) .

---

(١) إشارة إلى حديث أخرجه الشيخان فى صحيحيهما ، وذلك من حديث أبى هريرة رضى الله عنه : البخارى مع الفتح : ٣/ ٦٢٢ برقم (١٨٠٤) ، ومسلم فى الصحيح أيضاً : ٣/ ١٥٢٦ : الإمارة حديث رقم (١٧٩) خاص وعام (١٩٣٧) ، ولفظه : « السفر قطعة من العذاب . . . » الحديث .

(٢) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضى الله عنه : مسلم فى الصحيح : ٢/ ٩٧٥ برقم (٤١٢) خاص وعام (١٣٣٧) ، باب : فرض الحج فى العمر مرة . . . ، ورواه من حديث ابن عباس : الدارمى برقم (١٧٩٥) .

وقال صلى الله عليه وسلم لنسائه فى حَجَّته : « هذه ثم ظهور الحُصر » [١] أى إلزمن ظهور الحُصر ، ولا تخرجن من البيوت .

ولما كان الحج فيه من التعب والمشقة والنفقة ما الله به عليم ؛ كان ثوابه جزيلاً ، وفضله كبيراً . الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة [٢] ، ومَن حج فلم يرفث ولم يفسُق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أُمه [٣] .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [٤] .

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

اللَّهُمَّ أغننا بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك .

أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لى ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

* *

---

(١) جزء من حديث أخرجه أحمد فى المسند : ٦/ ٣٢٤ من حديث زينب بنت جحش رضى الله عنها .

(٢) البخارى ومسلم فى صحيحيهما من حديث أبى هريرة رضى الله عنه : البخارى : ٣/ ٤٧٦ ، ومسلم برقم (٣٤٩) .

(٣) البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه : البخارى : ٣/ ٣٠٢ ، ومسلم برقم (١٣٥٠) خاص .

(٤) سورة البقرة : ١٩٧

بسم الله الرحمن الرحيم

مَن أراد أن يحلف فليحلف بالله

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١) ، له الحمد والشكر ، وله الثناء الحسن

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له . . ﴿ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ (٢) .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . . ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ (٣) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه ومَن آمن به واتبع مِلَّته .

أما بعد . .

فإنَّ العبادات مبناها على الشرع والاتباع ، لا على الهوى والابتداع ، والإسلام مبنى على أصلين :

أحدهما : أن نعبد الله وحده لا شريك له .

والثانى : أن نعبد الله بما شرعه على لسان رسوله ﷺ .

فلا يُعبد سبحانه بالأهواء ، ولا باتباع الذين لا يعلمون ، ولا بتقليد المغضوب عليهم والضالين .

والواجب على المسلم أن يعبد الله بما شرعه رسوله ﷺ من واجب

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) سورة التوبة : ٣٣ ، والفتح : ٢٨ ، والصف : ٩

(٣) سورة النجم : ٣ - ٤

ومُستحَب ، فلا يجوز لأحد أن يُصَلِّى ولا أن يحج ولا أن يصوم إلا لله ، ولا يجوز لأحد أن يحلف إلا بالله ، فلا يجوز الحلف بحياة الإنسان ولا بحياة النبى ﷺ ، ولا بالأمانة ، فإنَّ النبىَّ الكريم نهى عن الحلف بغير الله .

ففى الصحيحين عن النبىِّ ﷺ أنه قال : « إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، فمَن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت » .

فالحلف بالله توحيد وعبادة ، والحلف بغير الله معصية لله ورسوله ﷺ .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، من كان حالفاً فليحلف بالله ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ ﴾ (١) .

ومَن حلف بالله على شىء ، فرأى غيرها خيراً منها ، فليُكَفِّر عن يمينه وليأت الذى هو خير .

وصلُّوا على النبى المصطفى ، فقد أمرنا الله بذلك فى كتابه الكريم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٢) .

* * *

(١) سورة البقرة : ٢٢٤

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٤ - إخلاص النية فى الحج لله (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٢) . . طَهَّرَ بيته للطائفين والعاكفين والرُّكَع السجود (٣) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، طَيِّبٌ لا يقبل إلا طيباً .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، خير مَن حَجَّ واعتمر .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه السادة الغرر ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم المستقر .

أما بعد . .

فقد كان العرب فى الجاهلية تقصد الحج للاجتماع والمناظرة والتفاضل والتناضل والتفاخر وقضاء الحاجة وحضور الأسواق . وكل ذلك ليس لله منه شىء ، ليس لله فيه طاعة ، ولا يُقصد بعمل ولا قُرْبة بمعتقد ، فأمر تعالى بالقصد إليه لأداء فرضه وقضاء حقه ، فقال تعالى : ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ (٤) ، فأبطل الإسلام أعمال الجاهلية ومقاصدها ، وجعل العمل لله وحده .

---

(١) ألقيت يوم ٢١/١١/١٤٠٧ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى الآية ٢٥ من سورة البقرة .

(٤) سورة البقرة : ١٩٦

فيجب على الحاج والمعتمر أن يبتعد عن أعمال الجاهلية ومقاصدها ، وأن يجعل نيته خالصة لله قاصداً التقرب إلى الله بعمله ، فإن الأعمال مبناها على النية والقصد .

روى البخارى رحمه الله فى صحيحه بسنده عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال وهو على المنبر : « سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئٍ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه » (١) ، فالعبادات كلها : أقوالها وأفعالها ، فرضها ونفلها ، قليلها وكثيرُها معتبرةٌ بالنيات .

والنية هى عزم القلب على فعل العبادة ابتغاء وجه الله فمحلها القلب ، وأى عبادة تخلو من عزم القلب على فعلها لله لا تُعتبر ، وأى عبادة قُصد بفعلها غيرُ الله فهى خداج غير معتبرة ، وإنما لكل امرئٍ ما نوى .

قال القرطبى فى تفسيره (٢) : لا خلاف بين العلماء فيمن شهد مناسك الحج وهو لا ينوى حجاً ولا عُمْرةً أن شهودها بغير نية ولا قصد غيرُ مغن عنه ، وأنَّ النية تجب فرضاً ، فمَن جاء إلى هذه البقاع المطهَّرة بنية النشْل والسرقة وأخذ أموال الناس بالباطل ، فليس له إلا الخزى والعار وإقامة حكم الله عليه ، ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٣) وإن أفلت واختفى عن العدالة فإنه لن يفلت من قبضة الله ولن يختفى عن السميع البصير ، ومَن جاء لقصد التشويش على الناس وإيذاء

---

(١) البخارى فى الصحيح : ٢١/١ ، كتاب « الإيمان » بلفظ مقارب - طبعة الحلبى .
(٢) القرطبى : ٣٦٩/٢
(٣) سورة المائدة : ٣٨ - ٣٩

المؤمنين وإشغالهم عن عبادة ربهم وإثارة قلقهم لم يحصل له إلا الفشل والمقت من الله والبغض من المؤمنين ودعاؤهم عليه فيقعد مذموماً مخذولاً .

ويُشترط فى صحة العمل واعتباره أن يكون موافقاً لهَدْى نبينا محمد ﷺ ، لقوله تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (١) ، ولقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث جابر عند مسلم : « لتأخذوا عنى مناسككم » (٢) ، فأىّ عمل يخالف هَدْى المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فهو مردود على صاحبه ، للحديث المتفق عليه عن أُم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « مَن أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » (٣) ، وفى رواية : « مَن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » (٤) .

﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ : قال ابن كثير : اتفق العلماء على أن الشروع فى الحج والعُمْرة ملزم ، سواءً قيل بوجوب العُمْرة أو باستحبابها كما هو قولان للعلماء ، فعلى هذا إذا كان المسلم قادماً للحج أو العُمْرة فى الطائرة ، فلما حاذى الميقات أحرم ظاناً أنه سيذهب إلى مكة ، فلما وصل إلى جدة وُجِّهَ إلى المدينة المنورة لزيارة مسجد رسول الله ﷺ والسلام عليه ، فلا يجوز له التحلل بل الإحرام لازم له لا ينحل بأى حال حتى يطوف بالكعبة المشرَّفة ويسعى بين الصفا والمروة ، ولا يقاس على الإحصار لوجود الفرق بين الحالين ، فالإحصار هو الحبس ومنع الوصول إلى الكعبة ، كما

---

(١) سورة الحشر : ٧

(٢) أبو داود : ٢/٤٩٦ ، جامع الأصول : ٤/٩٩ ، باب : رمى الجمار .

(٣) البخارى : ٣/٢٤١ عن عائشة .

(٤) البخارى : ٣/٩١ ، طبعة الحلبى ، وأحمد : ٦/١٤٦

مَنَعَ المشركون النبى ﷺ من الوصول إلى مكة وأحصروه فى الحديبية فى شهر ذى القعدة سنة ست من الهجرة (١) ، فأنزل الله عليه : ﴿ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾ (٢) .

وأما مَن وُجِّهَ إلى المدينة فلم يُحصر ولم يُمنع من الوصول إلى مكة ، وغاية ما فى الأمر أن الطريق طال عليه ، وبإمكانه أن يعمل الأسباب التى يتمكن بها من التوجه إلى مكة فيطوفُ ويسعى ويحل ، ثم يعود إلى المدينة .

ومن إتمام الحج والعُمْرة أن يُنْشئ السفر من بلده ويُهل من الميقات لا يريد إلا الحج أو العُمْرة دون أىٍّ مقصد آخر ، وأن يأتى بالأركان والواجبات والسنن ، وأن يجتنب المحرَّمات .

فأركان الحج أربعة هى : الإحرام ، والوقوف بعَرَفة ، وطواف الإفاضة ، والسعى بين الصفا والمروة .

وواجبات الحَج ستة : الإحرام من الميقات ، والبقاء بعرفة حتى تغرب الشمس يوم التاسع من ذى الحجة ، والمبيت بمزدلفة إلى نصف الليل ، والمبيت بمِنَى أيام التشريق ، ورمى الجمرات مرتبات ، والحلقُ أو التقصير .

أما طواف الوداع فقال بوجوبه كثير من العلماء وهو مستقل عن الحج . وما عدا الواجبات والأركان فهى سنن .

وأركان العُمْرة ثلاثة : الإحرام ، والطواف ، والسعى . ولها واجبان : الإحرام من الميقات ، والحلق أو التقصير . .

فالأركان لا يتم النُّسُك إلا بها ، والواجبات مَن ترك منها شيئاً فعليه دم ، وأما السنن فمن جاء بها أُثيب ، ومَن تركها فلا شىء عليه .

---

(١) ابن كثير : ١/ ٣٠٠

(٢) سورة البقرة : ١٩٦

والإحرام هو الركن الأساسى للحج والعُمْرة ، فلا ينعقد إلا به . فمتى نوى المسلم دخوله فى النُّسُك عازماً بقلبه - تلفَّظ به أم لا - صار مُحْرِماً ، وحُرِّم عليه تسعة أشياء :

١ - يحرم على الذكر لبس المخيط المعتاد ، فيجب أن يتجرَّد ويلبس إزاراً ورداءً .

٢ - كما يحرم عليه مس الطيب ، فلذلك يُستحب له أن يتطيب قبل الإحرام .

٣ - إزالة الشعر .

٤ - تغطية رأس الذَكَر ، فيكشف رأسه ولا بأس أن يستظل بغير ملاصق ولا بأس بحمل المتاع على رأسه وهو محرم .

٥ - تقليم الأظافر فيقلمها قبل الإحرام .

٦ - قتل الصيد البَرِّى ، فلو عرضت له غزال أو أرنب أو ضب وهو محرم فلا يتعرض لها .

٧ - عقد النكاح ، فلو صار العقد فى حال الإحرام لم يصح الزواج .

٨ - المباشرة ، كالقُبْلة أو الضم وما فوق ذلك دون الجِماع .

٩ - الجِماع ، وهذا أخطر الممنوعات فى الإحرام ، فإن الرجل قد يكون غائباً عن أهله فيقابلهم فى عَرَفات فيفعل المحظور ، وقد يوسوس إبليس لبعض المسلمين فيقول : أنت فى مكان مُقدَّس وفى مشعر مُفضَّل فالتمس البركة بولد صالح ، فيقع على زوجته حال الإحرام ، فمَن جامعَ قبل التحلل الأول فسد نُسُكهما ويلزمهما المضى فيه وقضاؤه فى السنة المقبلة ، وعلى كل واحد من الرجل والمرأة - إذا كانت مطاوعة - بدنه تُذبح فى الحرم (مكة) وتقسم على الفقراء .

وإن كان الجِماع بعد التحلل الأول وقبل الثانى ، فعليه ذبح شاة ولم يفسد نُسُكه ، لكن إن لم يكن طاف طواف الإفاضة أحرم مِن الحِلِّ ليطوف بإحرام صحيح .

فاتقوا الله أيها المسلمون وخذوا حذركم ، وعَظِّموا شعائر الله ، وعَظِّموا حرمات الله .

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ (١) .

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ (٢) .

اللَّهُمَّ اغفر لنا ولجميع المسلمين الأحياء والميتين ، واستغفروا ربكم أيها المؤمنون وتوبوا إليه إنه هو الغفور الرحيم .

* *

(١) سورة الحج : ٣٠

(٢) سورة الحج : ٣٢

بسم الله الرحمن الرحيم

القِصَاص

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣ ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فكثيراً ما يُوجِّهُ القرآنُ الكريمُ النداء للمؤمنين بتلك الصفة التى تقتضى التلقى عن الله فى تشريعه وأمره ونهيه ، ومن هذه النداءات قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ﴾ (٢) . . . . الآية .

والخالق تعالى عليم بحوافز النفس البَشَرية ، وعليم بما جُبِلَ عليه بنو آدم ، والغضب للنفس والدم فطرة طبيعية ، والقصاص يُطفئ سَوْرة الغضب ويردع الجانى من التمادى فى الجريمة ، وبالعدل الحازم الحازم يحفظ الحقوق ويحقن الدماء : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٣) فليس القصاص لمجرد الانتقام بل هو أعلى من ذلك ، إنه حياة البَشَر ، فبالقصاص يكف الجناة عن الاعتداء ، فالذى يوقن بأنه سيدفع حياته ثمناً لمن

---

(١) سورة الفاتحة : ٢ - ٣

(٢) سورة البقرة : ١٧٨

(٣) سورة البقرة : ١٧٩

يقتله يتوقف ويتفكر ويتردد وأخيراً يمتنع ، وإنما يدرك أن فى القِصاص حياة أولوا العقول الواعية الفاهمة المدركة ، التى تحب لإخوانها ما تحب لنفسها ، والتى تحرص على مصالح رعاياها كما تحرص على مصالحها .

﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١) .

وصلُّوا على البشير النذير .....

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (٢) .

اللَّهُمَّ انصر دينك وكتابك وعبادك المؤمنين .

اللَّهُمَّ آمنا فى أوطاننا ، وأصلح أئمتنا وولاة أُمورنا ، واهدهم سُبُل السلام ، وأخرجهم من الظلمات إلى النور .

اللَّهُمَّ احفظ إمامنا من كل سوء ، واحرسه من شر الأشرار وكيد الفجار ، وأدم توفيقه للعمل بكتابك وإقامة حدودك ، والعدل بين عبادك ..... إلى آخر الدعاء .

* * *

(١) سورة البقرة : ١٧٩

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٥ - الحاج فى طاعة الله [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله الواحد الأحد ، الفرد الصمد . . ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ [٢] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، خلقَ فقدَّر ، وشَرَّع فيسَّر ، جعل بيته مثابة للناس وأمناً [٣] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله بلَّغَ الرسالة وأدَّى الأمانة ونصح للأمة .

صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسَلَّم تسليماً كثيراً .

أما بعد . .

فإن من قواعد الإسلام الخمس ، التى بُنِىَ عليها ، قاعدةً عظيمة لها أثرها الفعَّال فى حياة المسلمين الاجتماعية ، ومكانتُها العظمى فى دين الإسلام ، ألا وهى الركن الخامس من أركان الإسلام ، إنها حج بيت الله الحرام ، تلكم العبادة التى تشتمل على مصادر العبادة الثلاثة ، فهى عبادة روحية ، بدنية ، مالية ، وفى الحج تتجلى معالم طاعة الله فى نفس المسلم وانقياده لأوامر ربه ،

---

(١) ألقيت يوم ١٦/١١/١٣٩٧ هـ .

(٢) سورة الإخلاص : ٣ - ٤

(٣) إشارة إلى الآية ١٢٥ من سورة البقرة .

فهو يتحمل المشقة والتعب وبذل المال ومفارقة الأهل والأولاد ، فى سبيل ربه وطلب مرضاته وامتثال أوامره .

وفى الحج تبرز الصفات الإسلامية فى أعمال المؤمن وأقواله وسلوكه ، وبه تحصل المنافع وكمال الدين وتمام النعمة والرضا بما يرضاه الله تعالى لعباده المؤمنين : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) .

الحج آخر ما فُرِضَ فى أركان الإسلام وقواعده على لسان نبينا محمد ﷺ وأفعاله ، أكمل الله الدين لأُمة محمد ﷺ وأتم عليهم نعمته : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (٢) .

الحج طاعة لله ، فيه من المصالح الاجتماعية والدينية والدنيوية ما لا يقف عند حد ، فهو الحج الأكبر ، وهو أعظم مجتمع إسلامى يؤمه المسلمون من جميع أقطار المعمورة ، لا يختص به طبقة دون طبقة ، ولا إقليمٌ دون إقليم ، ولا لغةٌ دون لغة ، فإذا دخلت أشهر الحج تحرَّك الشعور الإسلامى فى نفس كل مسلم كأنه يسمع نداء أبينا إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ (٣) .

فقلوب المؤمنين فى كل مكان متعلقة بالله ، وتحن لزيارة بيته المطهَّر ، فهو قِبْلتهم فى عباداتهم ، ومأمنهم عند خوفهم ، يستقبلونه فى صلواتهم ،

---

(١) سورة آل عمران : ٩٧

(٢) سورة المائدة : ٣

(٣) سورة الحج : ٢٧ - ٢٩

ويُولَون وجوههم شطره فى دعواتهم ، ويؤمونه لأداء نُسُكهم ، ووضع أثقال الذنوب عنهم : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾ (١) .

وفى هذه الأيام المباركة يفد المسلمون من مشارق الأرض ومغاربها إلى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج امتثالاً لأمر الله واتباعاً لسُنَّة نبينا محمد ﷺ . فينبغى لقاصد بيت الله لحج أو عُمْرة أن يعلم أنه فى طاعة الله من حين خرج من بلاده حتى ينتهى من نُسُكه ويرجع إلى أهله ، فيجب على الحاج أن يعلق قلبه بالله تعالى وحده ، وأن تكون مناجاته ودعواته وطلب حاجاته من الله وحده دون غيره من خلق الله ، وأن يُخلص عمله لله تعالى ، وأن يتم حَجَّهُ وعُمْرته بأداء جميع أعمال الحج والعُمْرة ، وأن يتجنب ما يفسد نُسُكه أو ينقص من أجره ، ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ ۚ ﴾ (٢) .

يجب على المُحْرِم أن يجتنب الرفَثَ وهو الجِماعُ ودواعيه ، فإنه مفسد للحج والعُمْرة إذا كان قبل التحلل ، وموجب للمضى فى الفاسد والقضاء من عام قابل (٣) .

ويُحَرِّم الفسوق . . وهو الخروج عن طاعة الله إلى معصيته ، فيحرم على الحاج أن يقترف شيئاً من الآثام أو المعاصى كالملاهى والمسكرات والمخدرات

---

(١) سورة البقرة : ١٢٥

(٢) سورة البقرة : ١٩٦

(٣) بنحو هذا المعنى أخرج البيهقى فى السنن الكبرى : ٥/ ١٦٧ ، وهو من فتوى ابن عباس رضى الله عنهما ، وإسناده صحيح ، وهو بحكم المرفوع .

وأكل الحرام وعمل الحرام ونظرة الحرام ، والكذب وقول الزور ، والغش والخداع ، وسرقة الأموال والغدر والخيانة .

ويُحَرِّم الجدال . . وهو المراء والمفاخرة والتعنت سواء فى مسائل العلم والدين أو فى أمور الدنيا ، لأن الجدال يورث الشحناء والشقاق والخلاف والفُرْقة ، وهذا لا يتفق مع مقاصد الحج وحكمته والمصالح المترتبة عليه ، فإنه يدعو إلى التعاطف والتآخى والتعاون والتكاتف : ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (١) .

احرص أيها الحاج على أن يكون حَجُّك مبروراً ، فإن الحج المبرور مُكَفِّرٌ لجميع الذنوب والآثام ، وسبب لدخول الجنَّة ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « مَن حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أُمه » (٢) ، « الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنَّة » (٣) .

اتق الله أخى المسلم واعلم أن ربك يراقبك فى جميع أوقاتك وفى كل أحوالك ، فى ليلك ونهارك ، فالتزم جانب الأدب مع خالقك ، لا تصرف شيئاً من حقه إلى غيره ، والتزم جانب الأدب فى هذه البقاع المقدَّسة ، فلا تنتهك حرمتها بمعصية الله فيها ، وقَدِّم أمامك عملاً صالحاً خالصاً لله نقياً تجده

---

(١) سورة البقرة : ١٩٧

(٢) أخرجه الشيخان فى صحيحيهما : البخارى : ٣٠٢/٢٣ ، ومسلم برقم (١٣٥٠) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

(٣) البخارى ومسلم فى صحيحيهما : البخارى : ٤٧٦/٣ فى العمرة وفى الحج ، ومسلم برقم (١٣٤٩) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

ذخراً ونوراً أمامك ، واسأل ربك التوفيق والهداية فإنه هو الهادى إلى سواء الصراط : ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (١)

اللَّهُمَّ أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، وقنا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، وبارك لنا فى القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لى ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

* *

(١) سورة البقرة : ٢٠١

بسم الله الرحمن الرحيم

أعمال الحج والعُمْرة

(الخطبة الثانية)

الحمد لله . . ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، بعث رسوله محمداً ﷺ بالهُدَى ودين الحق (٢) .

وأشهد أنَّ نبينا محمداً عبده ورسوله ، تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك (٣) ، صَلَّى الله عليه وعلى آله ومَن اهتدى بهَدْيه .

أما بعد . .

فأُوصيكم وإياى بتقوى الله تعالى ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (٤) .

أيها المسلمون ؛ إن للعُمْرة والحج أعمالاً وصفات لا بد من أدائها كما وردت عن المصطفى صلى الله عليه وسلم . فأعمال العُمْرة فيها الإحرام من الميقات لمن مَرَّ عليه أو بمحاذاته ، أما مَن كان دونه إلى مكة فمن مكانه ، والتجرد من المخيط ، واجتنابُ محظورات الإحرام ، والطوافُ بالكعبة

---

(١) سورة غافر : ٣

(٢) إشارة إلى الآية ٣٣ من سورة التوبة .

(٣) إشارة إلى حديث العرباض بن سارية رضى الله عنه ، أخرجه ابن ماجه : ١/١٦ بإسناد حسن لغيره برقم (٤٣) .

(٤) سورة آل عمران : ١٠٢

المشرَّفة سبعة أشواط ، والسعىُ بين الصفا والمروة سبعة أيضاً - الذهابة سعية والإيابة سعية - والحلق أو التقصير من شعر الرأس . . وبهذه الأعمال تنتهى العُمْرة .

أما أعمال الحج : فمنها الإحرام واجتناب محظوراته ، والوقوف بعَرَفة يوم التاسع من شهر ذى الحجة حتى غروب الشمس ، والمبيتُ بمزدلفة ليلة العيد ، ورمىُ جمرة العقبة يوم النحر بسبع حصيات ، وطواف الإفاضة ، والسعى بين الصفا والمروة ، وحلق شعر الرأس ، ونحرُ هَدْى التمتع ، والمبيتُ بمِنَى ليلتى اليوم الأول والثانى من أيام التشريق ، ورمىُ الجمرات الثلاثة فى هذين اليومين بعد الزوال ، كل واحدة بسبع حصيات بادئاً بالأولى وهى التى تلى مسجد الخِيف فى مِنَى ، وبهذا تنتهى أعمال الحج لمن تعَجَّل ، ثم طواف الوداع لمن أراد السفر من مكة المشرَّفة .

فالحمد لله تعالى على هذا التشريع والتيسير ، ونسأله الهداية والتوفيق .

عباد الله ؛ إن الله تعالى قد أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه ، فقال سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١) ، فصَلُّوا - عباد الله - على البشير النذير والسراج المنير .

اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد صاحب المقام المحمود والحوض المورود .

وارض اللَّهُمَّ عن الأربعة الخلفاد الراشدين : أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلىّ ، وعن بقية الصحابة أجمعين ، وزوجات نبينا أمهات المؤمنين ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللَّهُمَّ ارض عنا معهم بمنك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

---

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلام والمسلمين ، وأذلَّ الشرك والمشركين ، ودَمِّر أعداء الدين ، واحم حَوْزة الإسلام يا رب العالَمين .

اللَّهُمَّ أدم الأمن والاستقرار فى أوطاننا ، واحفظ إمامنا وولاة أُمورنا ، ووفقهم لما فيه صلاح البلاد والعباد ، ولما تحب وترضى يا أرحم الراحمين .

اللَّهُمَّ انشر الأمن فى جميع أوطان المسلمين ، وأصلح أئمتهم ، واجعل ولايتهم فى مَن آمن بك واتقاك واتبَّع رضاك ، يا حى يا قيوم .

اللَّهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، الأحياء والميتين ، واقض الدَّيْن عن المدينين ، واشف مرضى المسلمين .

اللَّهُمَّ اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين .

اللَّهُمَّ اشفنا وأغثنا .

اللَّهُمَّ إنا نستغفرك إنك كنت بنا غفَّاراً ، فأرسل السماء علينا مدراراً .

اللَّهُمَّ إنَّا خلق من خلقك فلا تمنع عنا بذنوبنا فضلك .

عباد الله . . ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١) ، فاذكروا الله يذكركم ، واشكروه على نعمته يرزقكم .

﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (٢) .

* * *

(١) سورة النحل : ٩٠

(٢) سورة العنكبوت : ٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

٦ - خذوا عنى مناسككم [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له . . ﴿ أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [٢] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . . ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [٣]

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم القيامة .

أما بعد . .

فأُوصيكم أيها المسلمون وإياى بتقوى الله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ ﴾ [٤]

---

(١) ألقيت يوم ٢٢/١١/١٤٠٢ هـ .

(٢) سورة الفتح : ٢٨

(٣) سورة التوبة : ١٢٨

(٤) سورة الطلاق : ٢ - ٣

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴾ (١) .

إن المسلم يا عباد الله وخاصة حُجَّاج بيت الله الحرام فى اشتياق لمعرفة عمل النبى ﷺ فى الحج ليقتدوا به ، عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم : « خذوا عنى مناسككم » (٢) .

خرج - عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام - من المدينة المنوَّرة قاصداً الحج فى آخر شهر ذى القعدة سنة عَشْر من الهجرة ، فأحرم من ذى الحليفة قارناً ، وساق معه الهَدْى ، وأهَلَّ بالتوحيد والإخلاص لله وحده ، فقال : « لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ لا شريك لك ، إنَّ الحمد والنعمة لك والمُلْك ، لا شريك لك » ، ثم لَبَّى صلى الله عليه وسلم لما ركب ناقته وأهَلَّ لما علَت به البيداء ، ثم سار فى طريقه ، فلما دخل رسولُ الله ﷺ المسجدَ الحرام قصد البيت حتى إذا حاذى الحجر الأسود استلمه ، وطاف بالكعبة سبعة أشواط ، وكان يقول بين الركن اليمانى والحجر الأسود : ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (٣) .

وكلما حاذى الحجر إما يشير إليه أو يستلمه ، فلما فرغ من طوافه صلَّى خلف المقام ركعتين ، قرأ فى الأولى بعد الفاتحة بسورة ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ (٤) ، وفى الثانية بسورة ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (٥) - وهما سورتا الإخلاص - ثم خرج إلى الصفا ، فلما قرب منه قرأ : « ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا

---

(١) سورة الطلاق : ٥

(٢) جزء من حديث جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنه ، أخرجه مسلم فى الصحيح : ٢/٨٨٦ - ٨٩٢ كتاب « الحج » برقم (١٤٧) خاص وعام (١٢١٨) .

(٣) سورة البقرة : ٢٠١

(٤) أى سورة الكافرون .

(٥) أى سورة الإخلاص .

﴿ وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ (١) أبدأ بما بدأ الله به » ، ثم رقى على الصفا فاستقبل البيت فوحَّدَ الله وكبَّره ، وقال : « لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، له المُلْك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، لا إلَه إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده » ، ثم دعا بين ذلك وقال مثل هذا ثلاث مرات .

ثم نزل من الصفا يدعو ربه ويتضرع إليه ، فلما وصل إلى المروة رقى عليها واستقبل البيت وفعل كما فعل على الصفا ، فعل ذلك سبع مرات ذهابه سعية وإيابه سعية ، وكان صلى الله عليه وسلم خيَّر أصحابه عند الإحرام بين الأنساك الثلاثة : التمتع ، والقِران ، والإفراد ، ثم ندبهم فى أثناء الطريق إلى جعلها عُمْرة ، فلما أكمل سعيه أمر مَن لا هَدْى معه أن يتحلل إلى عُمْرة فيكون متمتعاً ، وقال عليه الصلاة والسلام : « لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لما سُقت الهَدْى ولجعلتها عُمْرة » .

وبقى - صلى الله عليه وسلم - فى إحرامه من أجل الهَدْى الذى ساقه معه ، فلما كان يومُ التروية - وهو اليوم الثامن من شهر ذى الحجة - خرج صلى الله عليه وسلم ومعه المسلمون إلى مِنَى محرمين وبات فيها ليلة التاسع من ذى الحجة ، فلما طلعت الشمس يوم التاسع سار من مِنَى إلى عرفات ، وكان من أصحابه المُلَبِّى ومنهم المُكَبِّر وهو يسمع ذلك ولا ينكر .

فلما وصل إلى نَمِرة نزل بها ، فلما زالت الشمس ركب ناقته حتى أتى وادى عُرنة فخطب الناسَ فقرر قواعد الإيمان وهدم قواعد الشِّرْك وأبطل أعمال الجاهلية ، وبلَّغ تحريم الدماء والأعراض والأموال ، وأوصى بالنساء خيراً ، وذكر الحق الذى لهن والحق الذى عليهن ، وأمر بالاعتصام بكتاب الله تعالى ، وأخبر بأنهم لن يضلوا ما داموا معتصمين بكتاب الله .

---

(١) سورة البقرة : ١٥٨

فلما انتهى صلى الله عليه وسلم من الخطبة صَلَّى الظهر والعصر جمعاً وقصراً ، فلما فرَغَ ركب ناقته حتى أتى موقفه فى عَرَفة فى ذَيْل الجبل عند الصخرات جاعلاً المشعر بينه وبين القِبْلة . وقال : « وقفتُ ههنا وعرفة كلها موقف » ، وأمرهم بالارتفاع عن بطن عُرنَة .

وأخذ - صلى الله عليه وسلم - فى الدعاء والتضرع والابتهال إلى الله رافعاً يديه كاستطعام المسكين وهو مستقبل القِبْلة ، فلما غربت الشمس أفاض من عرفة يُلَبِّى حتى وصل إلى مزدلفة فصلَّى بها المغرب والعشاء جمعاً وقصراً ، وأذِنَ لضعفة الناس بالانصراف من مزدلفة عند غياب القمر تلك الليلة .

فلما طلع الفجر صلَّى الصبح فى أول الوقت ثم وقف عند المشعر الحرام فاستقبل القِبْلة ، وأخذ فى الدعاء والتضرع والتكبير والتهليل والذِكْر حتى أسفر جداً ، وقال : « وقفتُ ههنا ومزدلفة كلها موقف » .

ثم سار إلى مِنَى ، وأمر عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أن يلتقط حصى الجمار ، فأخذ سبع حصيات مِثْلَ حصى الخذف (ما بين الحمص والبندق) ، فقال : « بمثل هؤلاء فارموا وإياكم والغلو فى الدين ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو » ، وكان يُلَبِّى فى طريقه حتى أتى جمرة العقبة فرماها بسبع حصيات الواحدة تلو الأخرى ، يُكَبِّر مع كل حصاة .

ثم رجع إلى مِنَى وخطب الناس وقال فيها : « اعبدوا ربكم ، وصَلُّوا خمسكم ، وصوموا شهركم ، وأطيعوا ذا أمركم تدخلوا جنَّة ربكم » . وبيَّنَ حُرْمة يوم النحر وفضله عند الله ، وحُرْمة مكة على جميع البلاد ، وفتح الله أسماع الناس فسمعه جميع مَن فى مِنَى وهم فى منازلهم .

ثم انصرف إلى المنحر فنحر هَدْيه ، وقال : « نحرتُ ههنا ومِنَى كلها منحر وفجاجُ مكة كلها طريق منحر » . ثم حلق رأسه ، ثم أفاض إلى مكة المشرَّفة وطاف بالبيت طواف الإفاضة ، أما مَن كان متمتعاً فطاف وسعى .

وما سُئِل - صلى الله عليه وسلم - عن شيء فى ذلك اليوم قُدِّم أو أُخِّر من هذه الأشياء الأربعة : الرمىِ ، والذبحِ ، والحلقِ ، والطوافِ إلا قال : « افعل ولا حَرَج » .

ثم رجع إلى مِنَى وبات بها ، ورخَّص للرعاة والسقاة بالمبيت خارج مِنَى ، ولما زالت الشمس يوم ثانى العيد رمى الجمرات الثلاث ، ابتدأ بالأولى التى تلى مسجد الخِيْف ، ثم الوسطى ، ثم العقبة ، كُلَّ واحدة بسبع حصيات .

ولم يتعجل - صلى الله عليه وسلم - بل أكمل أيام التشريق الثلاثة فى مِنَى يرمى الجمرات الثلاث ، ثم طاف طواف الوداع ورجع إلى دار هجرته - صلى الله عليه وسلم - بعد أن أوضح لأُمته مناسكهم وأمرهم بأخذها عنه ، وهذه هى حَجَّة الوداع ، وفيها نزلت آية المائدة : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (١) .

اللَّهُمَّ إنَّا نسألك حَجّاً مبروراً ، وسعياً مشكوراً ، وعملاً صالحاً ميسراً مقبولاً .

اللَّهُمَّ يَسِّر لحجاج بيتك أمورهم ، وأصلح شأنهم ، وظللهم بالغمام ، وأرسل لهم نسيماً بارداً ، وزدهم من الفضل والإنعام .

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم وفى سُنَّة سيد الأوَّلين والآخرين ، واغفر لنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

(١) سورة المائدة : ٣

بسم الله الرحمن الرحيم

أكثر الدعاء يوم عرفة

(الخطبة الثانية)

الحمد لله كما أمر ، وأشكره وقد تأذَّنَ بالزيادة لمن شكر [١] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له إرغاماً لمن جحد به وكفر .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وصفوته من خلقه .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه واتبع سبيله .

أما بعد . .

فكان من دعاء نبينا محمد ﷺ فى يوم عَرَفة وهو مستقبل القبْلة رافعاً يديه : « اللَّهُمَّ لك صلاتى ونُسُكى ومحياى ومماتى ، اللَّهُمَّ إنى أعوذُ بك من عذاب القبر ووسوسة الصدر وشتات الأمر ، اللَّهم إنك تسمع كلامى وترى مكانى وتعلم سرِّى وعلانيتى ، لا يخفى عليك شىء من أمرى ، أنا البائس الفقير المستغيثُ المستجير الوجل المشفق ، المقر المعترف بذنوبى ، أسألك مسألة المسكين وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل ، وأدعوك دعاء الخائف الضرير ، مَن خضعت لك رقبته وفاضت لك عيناه وذل جسده ورغم أنفه لك ، اللَّهُمَّ لا تجعلنى - رَبِّ - بدعائك شقياً ، وكن لى رؤوفاً رحيماً يا خير المسؤولين ، ويا خير المعطين » .

وكان أكثرُ دعائه فى يوم عرفة : « لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، له المُلْك وله الحمد ، بيده الخير وهو على كل شىء قدير ، اللَّهُمَّ اجعل فى قلبى

---

(١) إشارة إلى الآية ٧ من سورة إبراهيم .

نوراً وفى صدرى نوراً وفى سمعى نوراً وفى بصرى نوراً ، اللَّهُمَّ اشرح لى صدرى ويَسِّر لى أمرى » .

فاتقوا الله أيها المسلمون وراقبوا ربكم فى السرِّ والعلن : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ (١) .

وصلُّوا على البشير النذير .....

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (٢) .

* * *

(١) سورة لقمان : ٣٣

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٧ - أساس الحج توحيد الله [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [٢] . . ﴿ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ [٣] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، واحدٌ أحدٌ فردٌ صَمَدٌ ، منه المبتدى وإليه المنتهى .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله دعا إلى الله على بصيرة بالقول والعمل ، وتركنا على المحجة ليلُها كنهارها واضحةٌ جليَّةً ، لا تخفى على أهل العقول السليمة ولا على أهل البصائر النيِّرة ، فلا يزيغ عنها إلا هالك .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وزوجاته ومَن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد . .

ففى هذه الأيام المُفضَّلة تهوى أفئدةٌ من الناس إلى بيت الله الحرام استجابة لداع الله ، فتجتمع تلك القلوب المسلمة فى تلك البقعة الطاهرة عند أول بيت وُضِعَ للناس ، تجمعهم أهداف إيمانية وأعمال شرعية ، إخوةً فى الله ،

---

(١) ألقيت يوم ١٤٠٢/١١/٢٩ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) سورة الأنعام : ٣

تربطهم رابطة التوحيد : « لا إلَه إلا الله ، محمد رسول الله » معتصمين بحبل الله ، متوجهين إلى الله ، مخلصين العمل لله ، فياله من لقاء إسلامى أخوى له مقاصده ومنافعه ، لتحقيق الوحدانية لله ، وتوحيد النيِّة والقصد لله .

دعاهم ربهم فأجابوا ، فهم ضيوف الله والضيف يُكرم فى ضيافة الكريم ، وشرعُ الله وسُنَّة نبيه ﷺ واضحة بيِّنةٌ لا تقبل التدليس والتلبيس ، فليس لأحد من البَشَر رأى يخالف التشريع ، فيجب على أخى الحاج أن يستعد لهذه العبادة بعدتها ، وأن يؤهل نفسه فى العقيدة والسلوك والإخلاص لمناجات الله عند بيته وفى البقاع التى فضَّلها الرحمن وقدَّسها .

يجب على المسلم أن يتذكر قُدْرة الله وقهره ووحدانيته ، وأن يعرف لهذه العبادة أعمالها وأقوالها ومواقيتها وترتيبها ، ويسأل عما أشكل عليه ، وأن يعرف للبقاع المطهَّرة قدسيتها ، فيلزمُ جانبَ الأدب مع الله ومع إخوانه المسلمين : ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ (١) .

فالرفث : غشيان النساء ، والفسوق : المعاصى بأنواعها ، والجدال : المراء والمشادة فى القول .

إن الهدف الذى من أجله بُنيت الكعبة وطهرت وشُرِعَ الحج هو توحيد الله وإخلاصُ العمل لله ، وتجريد القصد والنية لله . قال جلَّ شأنه : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ ﴾ (٢) .

وقال سبحانه : ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ

---

(١) سورة البقرة : ١٩٧

(٢) سورة الحج : ٢٦

الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ (١) .

يجب على الحاج أن يعلم عناية الله به ، فقد رفعه منزلة عاليةً بدعوته إلى حَجِّ بيته والوقوفِ بمشاعره ، فليحافظ على هذه المنزلة الرفيعة ولا ينزل عنها إلى مرتبةٍ هابطةٍ وضيعة .

أُوصى أخى الحاج بالحرص على أن يكون حَجَّه مبروراً ، فقد روى البخارى رحمه الله عن أبى هريرة رضى الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : « العُمْرةُ إلى العُمْرة كَفَّارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنَّة » (٢) .

والحج المبرور هو الذى لا تخالطه معصية ، لا رفثَ ولا فسوقَ ولا جدالَ ، ولا أَشَرَ، ولا بطرَ ، ولا رياءَ ، ولا سمعةَ .

وفى الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « مَن حَجَّ فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أُمه » (٣) أى : غُفِرت له ذنوبه كلها إلا الحقوق ، سواء أكانت لله مثل الصلاة والصيام ، أو لآدمى مثل المال وأَرْش الجناية ، فلا يُسقطها الحج ، وإنما يُسقط الذنوب لا الحقوق (٤) .

وهنا مسألة فى الإحرام تكرر السؤال عنها ، وهى أن بعض القادمين إلى هذه البقاع المقدَّسة يظن أنه سيذهب إلى مكة فيُحْرِم من محاذاة ميقاته ، لكن

---

(١) سورة الحج : ٣٠ - ٣١

(٢) صحيح البخارى : ٢/٣ ، العينى : ٢٨٣/٨ ، باب العُمْرة .

(٣) البخارى : ١٦٤/٢ ، العينى : ٤٠٢/٧

(٤) الكشاف : ٦٠٧/٢

إذا نزل فى مطار جدة أخبره المتعهد بأنه وُجِّهَ إلى المدينة المنوَّرة فيلبس ثيابه ، فيظن أنه رفض الإحرام ، وليس الأمر كما يظن ، فإن المسلم متى دخل فى الإحرام - فرضاً أو نفلاً - فقد أوجب على نفسه ذلك النُّسُك كالنذر ، فهو باقٍ على إحرامه حتى يطوف بالكعبة المشرَّفة ، ويسعى بين الصفا والمروة ، ويحلق أو يقصر لقوله تبارك وتعالى : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ (١) ، فإتمام النُّسُك واجب والإحرام لا يُرفض بمجرد الرغبة والإرادة الإنسانية ، وعليه فداء عن المحظورات التى فعلها ، والواجب أن نُخضع إرادتنا لأحكام الشريعة ، ويحرم علينا أن نُخضع أحكام الشريعة لإرادة البَشر .

وليس لذلك الشخص الذى أحرم ثم وُجِّهَ إلى المدينة حكم الإحصار ، فإن الإحصار منع المُحْرِم من الوصول إلى الكعبة المطهَّرة مطلقاً ، والذى وُجِّهَ إلى المدينة لم يُمنع من الوصول إلى بيت الله ، وإنما هى أيام قلائل ثم يسافر إلى مكة ثم يطوف ويسعى ويحلق أو يقصر ، وإذاً انتهى الإحرام وحَلَّ ما مُنِعَ منه .

وهذه مسألة تتكرر كثيراً ، فلو أن المسئول عن القادمين أخبرهم قبل الميقات بوجهتهم ، فالذى سيسافر إلى المدينة لا يُحْرِم إلا من ميقات أهل المدينة ، والذى يتوجَّه إلى مكة يُحْرِم من محاذاة ميقات جهته ، ففى ذلك حل للمشكلة المتكررة ونُصح للمسلم وتعظيم لشعائر الله .

وطواف الزيارة - وهو الذى بعد الرجوع من عرفات - ركن من أركان الحج لا يتم الحج إلا به ، فمَن تركه ناسياً أو متشاغلاً وجب عليه الإتيان به ، فإن كان خرج من مكة رجع بإحرام عُمْرة ويطوف طواف الإفاضة حتى لو طال الزمن ، فإن لم يفعل بطل حَجَّه .

---

(١) سورة البقرة : ١٩٦

أيها المؤمنون ؛ إنكم فى هذه البقاع المشرَّفة ، فى أيام مباركة عشر ذى الحجة قد أقسم الله بها لعلو قدرها وعظيم شأنها ، فقال سبحانه : ﴿ وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ (١) ، وحثَّ نبينا محمدٌ ﷺ على العمل الصالح فى هذه الأيام .

فعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما مرفوعاً : « ما من أيام العمل الصالح أحب إلى الله فيهن فى هذه الأيام » - يعنى عشرَ ذى الحجة - قالوا : ولا الجهادُ فى سبيل الله ؟ قال : « ولا الجهادُ فى سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشىء » .

وهذه الأيام العشر مشتملة على يوم عَرَفة الذى ثبت فى الصحيح أنَّ رسول الله ﷺ قال فى صيامه : « أحتسب على الله أن يُكَفِّر السنة الماضية والآتية » ، وتشتمل على يوم العيد يوم الحَج الأكبر ، يُفعل فيه أنواع من الطاعات غير الصيام ، وإنما أعمال الحج الباقية ، وتعظيم الله ، وتعظيم شعائر الله ، وتعظيم حُرُمات الله ، ونوافل العبادات .

فاتقوا الله أيها المؤمنون ، أكثروا من الأعمال الصالحة التى تُقَرِّبكم من الله : نوافل الصلاة ، والصدقة ، والصيام ، والتسبيح ، والحمد والثناء على الله ، والبِّر والصلة والإحسان ، والعفو والصفح والتسامح ، وتوحيد الله فى أفعاله وأفعال عباده ، وأُلوهيته ، فلا تزال ألسنتكم رطبة من ذكر الله ، إنها أيام مُفضَّلة ستمر مَرَّ الكرام ، ويندم المؤمن على الإهمال والتفريط ، تَقرَّبوا إلى الله ، وتَعرَّضوا لنفحات ربكم : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (٢) .

---

(١) سورة الفجر : ١ - ٢

(٢) سورة البقرة : ١٨٦

اللَّهُمَّ بارِكْ لنا فى القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

اللَّهُمَّ علِّمنا من القرآن ما جهلنا ، وذَكِّرنا منه ما نسينا ، وارزقنا تلاوته على الوجه الذى يرضيك عنا ، واغفر لنا ولآبائنا وأُمهاتنا ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

بسم الله الرحمن الرحيم

التكبير المُطْلَق

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) . أحلَّ الطيبات وحرَّم الخبائث .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له . . جَوَّاد كريم ، رؤوفٌ رحيم ، يعطى الجزيل ويقبل الخالص القليل .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . . ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢)

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الحساب

أما بعد . .

فإن الأُضحية سُنَّة مؤكدة . وقال بعض العلماء بوجوبها على مَن وجد سَعَة ، وفى هذه الأيام المباركة يجب على مَن أراد أن يُضَحِّى أن يجتنب المحظورات التى نهى عنها صلى الله عليه وسلم ، فلا يأخذ من شعره ولا من ظفره ولا من بَشْرته شيئاً حتى يُضَحِّى ، لقول نبى الرحمة صلى الله عليه وسلم : « إذا دخل العَشْر وأراد أحدكم أن يُضَحِّى فلا يأخذ من شعره ولا من ظفره ولا من بَشرته شيئاً حتى يُضَحِّى » .

فاتقوا الله أيها المؤمنون ، واعلموا أنَّ التكبير المطلق يشرع فى عشر

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) سورة التوبة : ١٢٨

ذى الحجة فى الطريق ، وقبل الصلوات فرادى ، وفى المسجد وفى البيت ، فعظِّموا ما عظَّم الله ، وبادروا بالأعمال الصالحة ، قبل أن تَزِلَّ قدمٌ بعد ثبوتها [١] ، حيث لا ينفع الندم .

وصَلُّوا على البشير النذير .....

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [٢]

* * *

(١) إشارة إلى الآية ٩ من سورة النحل .

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٨ - فوائد الحج لا تُحصَى [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله الغنى الحميد [٢] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له الغفور الودود [٣] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين .

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه .

أما بعد . .

فإن لكل شريعة من شرائع الإسلام حكمةً وهدفاً ، يعود على الأُمَّة بالصلاح والمحافظة على كيانها وسعادتها ، ويتجلى شيء من الحكمة فى فريضة الحج التى هى ركن من أركان الإسلام ، وفريضةُ عَيْن على كل مسلم مُكَلَّف يستطيع إليه سبيلاً . . الحج يجب فى العمر مرة واحدة .

فالحج لقاء إسلامى كبير له حكمته وأهدافه ، يلتقى فيه المسلمون عند البيت الذى صدرت لهم منه الدعوة ، دعوةُ محمد ﷺ ، دعوة الإيمان ورسالةُ الرحمة ، يلتقى فيه المسلمون عند أول بيت وُضِعَ للناس ، بدأت فيه الحنيفية

---

(١) ألقيت يوم ٣٠/ ١٠/ ١٣٩٩ هـ .

(٢) إشارة إلى الآية ٢٦٧ من سورة البقرة ، وفى سور أخرى . .

(٣) إشارة إلى الآية ١٤ من سورة البروج .

ملَّة أبيكم إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، فالأمر يستدعى الانتباه ، ويستوجب الاهتمام والتعرف على الحِكَم والأسرار .

وتتضح قواعد الحكمة فى الحج وبناء البيت من قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ (١) فى هذه الآيات المحكمات بيَّن الخالق تبارك وتعالى حكمة بناء البيت الحرام ، والحكمة من مشروعية الحج . فأول قاعدة أُسِّسَ عليها بيت الله المطهَّر هى قاعدةُ التوحيد ، قاعدةُ العقيدة والإيمان : ﴿ وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تُشرك بى شيئاً ﴾ . . وترك الشِّرك هو التوحيد .

فالبيت بيت الله وحده لا يجوز أن يُعبد عنده غير الله ، ولا أن يُدعى غير الله ، ولا أن يُستغاث بغير الله ، ولا أن يُنحر لغير الله ، وإنما العبادة كلها حق لله ، فهو القادر على قضاء الحوائج .

والغاية من بناء البيت هى عبادة الله وحده دون مَن سواه : طواف حول البيت ، وقيام للتضرع والصلاة ، وخضوع وانكسار بين يَدَى رب البيت ،

---

(١) سورة الحج : ٢٦ - ٣١

وتخليصُ العظمة والكبرياء لله : ﴿ وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود ﴾ .

وأما الحكمة فى مشروعية الحج فهى المنافع التى لا يُحصى لها عدد ، منافع للفرد ومنافع للجماعة ، منافع فى الدنيا ومنافع فى الآخرة ، منافع عبادة وعلم من مصادر النور ومهابط التنزيل ، فيطلع الحاج على معين العقيدة الصافى ، ويرى العبادات كما وردت عن المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فلا وثنيةً ولا قبور تُعبد من دون الله ، ولا أضرحةً تُرفع قبابها فوق بيت الله ، ولا تعظيم عبادةٍ وكبرياءٍ لغير الله ، ولا عبادةً إلا بما شرع اللهُ على لسان رسوله ﷺ .

ولذلك يجب أن يكون البيت الحرام فى يد مَن ينفذ شرع الله ويحكم بما أنزل الله ، ويُطهِّره من الأنجاس والأرجاس .

وفى الحج منافع الاقتداء والتذكرة ، وتعظيم شعائر الله ، فالمسلم حين يقف فى هذه المشاعر المقدَّسة يستشعر الحقائق التى كانت وقعت فيها . .

قصَّةُ إبراهيم عليه السلام وزوجه هاجر حين قالت : إلى مَن تتركنا ؟ قال : إلى الله ، قالت : إذاً لا يضيعنا الله .

وقصَّةُ الرضيع الذى يفحص بقدميه من العطش ، وأُمه تسعى بين الصفا والمروة طلباً للغوث حتى أتمت سبعة أشواط فنبع الماء من تحت قدم الرضيع إسماعيل عليه السلام .

وقصَّةُ بناء البيت ورفع القواعد على التوحيد والإيمان الخالص لله [1]

---

(١) إشارة إلى حديث ابن عباس الطويل : أخرجه البخارى فى الصحيح ، كتاب « الأنبياء » ، باب رقم (٩) ، حديث رقم (٣٣٦٤) : ٦/ ٣٩٦ - ٣٩٨ (مع الفتح) بسياق طويل جداً وفيه كل التفاصيل ، وذكرها ابن كثير فى البداية : ١/ ١٥٤ - ١٥٧

وقصَّةُ مقدمات النبوة المحمَّدية وإرهاصاتها العجيبة ، ثم النبوةُ والرسالةُ والدعوةُ والأذى والصبرُ والتحمل والهجرةُ [١] ، ثم الفتح والانتصار .

فالمسلم حين يقف فى هذه المواقف ويستشعر هذه الحقائق يحس بالقُرْبِ من الله عند بيته ، تحوم حوله هذه المعانى وهذه التذكرة فتسيطر على مشاعره وأحاسيسه ، فلا يرى حوله إلاَ توحيد الله وإخلاص العبادة له ، فيحاسب نفسه على أفعاله فى بلاده ، وهل صرف شيئاً مما يجب لله لغير الله ، فيتوب ويرجع بقلب سليم وعمل صاف جميل وعقيدة نقية طاهرة .

وكل هذه الحِكَم والأهداف تدور حول المعنى الذى يربط الإنسانَ بخالقه ، ويصل أهل الأرض برب السماء والأرض ، حقيقة العقيدة والإيمان ، فهو المعنى الذى يليق بالناس أن يجتمعوا عليه دائماً ، وأن يعقدُوا مؤتمراتهم من أجله ، لتطهير القلوب من أدناس الشِّرك ، والأعمال من أرجاس الوثنية ، والبلاد من سموم الاستعمار الكافر بالله وبرسالة محمد ﷺ .

فاتقوا الله أيها المسلمون . . إنَّ كثيراً من الناس عن معانى التشريع وأهدافه غافلون ، وبعضهم يتعمد الصدودَ ، إن الناس اليوم اشتغلوا بالذى هو أدنى عن الذى هو خير ، إنَّ كثيراً من الناس وقع فى فخ الأعداء وهو لا يدرى أو هو يدرى ولكنه مستسلم .

اتقوا الله يا أُمَّةَ الإسلام . . تعرَّفوا على مقاصد تشريعكم ، وحكمة تكليفكم ، وتفهَّموا معانيها ، وسيروا على منهاجها لتعودَ لكم عِزَّتكم وكرامتكم ولتُنْصَروا على عدوكم ، والرجوع إلى الحق أحق من التمادى فى الباطل .

---

(١) إشارة إلى ما حصل لرسول الله ﷺ فى بداية البعثة أو قبلها بقليل بمكة ، ثم مكثه عليه الصلاة والسلام ثلاث عشرة سنة ، ثم هجرته إلى المدينة النبوية الشريفة ، وكل هذا موجود فى الصحاح والسنن والسير ، راجع سيرة ابن هشام رحمه الله تعالى .

فاتقوا الله . . ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١) .

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات والذِكْر الحكيم .

اللَّهُمَّ افتح بصائر المسلمين لمعانى كتابك ووفِّقهم لمعرفة الحق واتباعه .

اللَّهُمَّ أبرم لهذه الأُمة أمر رشد يُعَزُّ فيه أهل طاعتك ، ويُذَلُّ فيه أهل معصيتك ، ويُؤمر فيه بالمعروف ويُنهى فيه عن المنكر ، إنك على كل شىء قدير .

اللَّهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

(١) سورة النور : ٣١

بسم الله الرحمن الرحيم

الأماكن التى تُستَحب زيارتها

(الخطبة الثانية)

الحمد لله الهادى إلى سَواءِ الصراط [١] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ نبينا محمداً عبده ورسوله .

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فإن لزيارة مسجد رسول الله ﷺ آداباً يجب التأدب بها ، فأول ما يبدأ به الزائر : الدعاءُ المأثورُ عند دخول المسجد [٢] ، ثم يُصلِّى ركعتين تحية المسجد ، ثم يُسَلِّم على النبى ﷺ وعلى صاحبيه ، يأتى إليهم قِبَل وجوههم فى المواجهة المعروفة ، وينبغى أن يُسَلِّم بالألفاظ الواردة عن السَّلَف الصالح والاكتفاءُ بها عن غيرها .

ثم يتوجَّه إلى القِبْلة فى أى مكان من المسجد ويدعو بما أحب ويسأل الله

---

(١) إشارة إلى الآية ٢٢ من سورة (ص) .

(٢) إشارة إلى حديث صحيح أخرجه مسلم فى الصحيح ، كتاب « صلاة المسافرين وقصرها » ، باب رقم (١٠) وعنوانه : باب ما يقول إذا دخل المسجد ، حديث رقم (٦٨) خاص وعام (٧١٣) ، وهو من حديث أبى حميد أو عن أبى أسيد رضى الله عنهما ، وقال مسلم فى نهاية هذا الحديث : سمعت يحيى بن يحيى يقول : « كتبت هذا الحديث من كتاب سليمان بن بلال ، قال : بلغنى عن يحيى الحمانى يقول : وأبى أسيد » .

قلت : لا يضر الشك فى هذا الإسناد ، والله أعلم .

تعالى مما يريد ، وينبغى خفض الصوت فى هذا المسجد المقدَّس ، وعند هذا القبر المطهَّر والتحلى بالسكينة والهدوء والوقار ، والمحافظة على الصلوات الخمس فى أوقاتها مع الجماعة ، والإكثار من النوافل والذِكْر والتسبيح والصلاة على النبى ﷺ ، والترضى عن الصحابة كلهم أجمعين .

وأما الأماكن التى تُستحَب زيارتها فى المدينة ، فهى مسجد قُبَاء (١) ، وقبور أهل البيت والصحابة والمسلمين فى البقيع (٢) ، وقبور الشهداء عند أُحُد ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الآخرة » (٣) ، وكان - صلى الله عليه وسلم - يخرج إلى مسجد قباء ويتنفل فيه (٤) ، وكان يخرج إلى البقيع ويدعو لأهله (٥) ، وما عدا ذلك من الآثار فلم يرد عن الرسول ﷺ ولا عن الخلفاء الراشدين ولا عن السَّلَف الصالح ما يدل على استحباب زيارتها ولا الصلاة فيها ولا عندها ، لكن إذا كان الإنسان يُحبُّ أن يراها من باب العلم بالشىء والاطلاع على الآثار دون قصد العبادة والقُرْبة بزيارتها فهو جائز ، أما العبادات فمبناها على النص والتوقيف عن الشارع صلى الله عليه وسلم .

---

(١) إشارة إلى حديث صحيح : مسلم فى الصحيح ، الحج ، رقم الحديث : (٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢) خاص ، وذلك من حديث ابن عمر رضى الله عنهما .

(٢) إشارة إلى حديث عائشة رضى الله عنها : مسلم فى الصحيح : ٢/٦٦٩ ، الجنائز ، حديث رقم (١٠٢) خاص وعام (٩٧٤) ، وكذا برقم (١٠٣) : ٢/٦٦٩ - ٦٧١

(٣) إشارة إلى حديث بُرَيدة بن الحُصَيب رضى الله عنه : مسلم فى الصحيح : ٢/٦٧٢ برقم (١٠٦) خاص وعام (٩٧٧) .

(٤) هو حديث ابن عمر رضى الله عنهما : مسلم فى الصحيح برقم (٥١٧) ، (٥١٨) .

(٥) مسلم فى الصحيح برقم (١٠٣) من حديث عائشة رضى الله عنها .

وصلُّوا على البشير النذير ، والسراج المنير ، فقد أمرنا الله بذلك فى كتابه المبين ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم وبارك وأنعم على عبدك ورسولك نبينا محمد صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر الشافع المُشَفَّع فى المحشر ، وارض اللَّهُمَّ عن الخلفاء الراشدين : أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلىّ ، وعن بقية الصحابة أجمعين ، وأهل بيته الطيبين الطاهرين ، وزوجاته أُمهات المؤمنين ، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللَّهُمَّ ارض عنا معهم بمَنِّك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلام والمسلمين ، وأذلَّ الشِّرك والمشركين ، ودَمِّرْ أعداء الدين ، واحم حَوْزة الإسلام يا رب العالَمين .

اللَّهُمَّ اجمع كلمة المسلمين على الهُدَى ، وألِّف بين قلوبهم على البِرِّ والتقوى ، ووحِّد صفوفهم واجمع شملهم وانصرهم على عدوك وعدوهم ، إنك على كل شىء قدير .

اللَّهُمَّ اغفر لجميع المسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات .

اللَّهُمَّ فَرِّج هم المهمومين واقض الدَّيْن عن المدينين واشف مرضى المسلمين : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢) ، فاذكروا الله العظيم يذكركم ، واشكروه على نعمته يزدكم .. ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (٣) .

* * *

---

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

(٢) سورة النحل : ٩٠

(٣) سورة العنكبوت : ٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

٩ - الأنساك ثلاثة .. كلها جائزة إن شاء الله [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٢] .. خَلَقَ فقدَّر ، وشَرَّعَ فيَسَّرَ ، فسبحانه مِن إله عظيم ، يُطاع فَيَشكر ، ويُعصَى فيَغْفر ، وإذا دُعِيَ أجاب .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، جعل بيته مثابة للناس وأمناً [٣] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أرسله خاتماً للأنبياء والمرسلين ، ورحمةً للعالَمين [٤] .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد . .

ففى هذه الأيام المباركة فى أشهر الحج تتحرك مشاعر المسلم شوقاً إلى بيت الله الحرام ، فهنيئاً لمن دعاه ربه فأجاب ، وأحسن الوفادة وتأدب بآداب الإسلام ، وعرف لبيت الله قدسيته وحُرمته : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ

---

(١) ألقيت يوم ٥/١١/١٤٠٢ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى الآية ١٢٥ من سورة البقرة .

(٤) إشارة إلى الآية ٤٠ من سورة الأحزاب ، والآية ١٠٧ من سورة الأنبياء .

﴿ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ ﴾ (١) .

فالإيمان الصادق والعقيدة السليمة والعمل الخالص لله ، هو القاعدة الأساسية للحج ولكل العبادات ، وهو تحقيق « لا إلَه إلا الله » ، تلك الكلمة التى قامت بها السموات والأرض ، وخُلقت لأجلها جميع المخلوقات (٢) ، وبها أرسل الله تعالى رُسُله وأنزل كتبه ، ولأجلها نُصبت الموازين ووُضعت الدواوين ، وقام سوق الجنَّة والنار ، ومن أجلها انقسمت الخليقة إلى مؤمن وكافر ، وإلى أبرار وفُجَّار ، فهى منشأ الخلق والأمر ، وعليها مدار الثواب والعقاب .

وهى حق الله على العباد ، فهى كلمة الإسلام ومفتاح دار السلام ، وعنها سيُسئل الأوَّلون والآخرون .

فاتقوا الله أيها المسلمون . . اعرفوا لربكم تحقيق أُلوهيته ، وشمولَ ربوبيته ، وكمالَ أسمائه وصفاته ، فلا ترجوا أحداً فى كشف الكربات إلا الله ، ولا تُعلِّقوا آمالكم إلا بالله ، وتوجَّهوا فى دعائكم وتضرعاتكم إلى خالقكم ، فهو سبحانه مجيبُ الدعوات وقاضى الحاجات ، ومَن سواه عبيده وفى مُلْكه وتحت قهره وإرادته ، وكلهم محتاجون إليه ، وكلهم فقراء إليه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ (٣) .

ثم اعلموا - وفَّقنى الله وإياكم - أن الأنساك ثلاثة : تمتع ، وقِران ، وإفراد ، كلها جائزة إن شاء الله تعالى .

---

(١) سورة الحج : ٢٦

(٢) إشارة إلى الآية ٣٦ من سورة النحل .

(٣) سورة فاطر : ١٥

وأفضلها : التمتع . . ويُستحَب للقارن والمفرد إذا لم يكن ساق هَدْياً أن يتحلل إلى عُمْرة فيكون متمتعاً ، والتمتع أن يُحْرِم بالعُمْرة فى أشهر الحج ناوياً البقاء فى مكة المشرَّفة حتى يحج ، وأشهر الحج هى شوَّال وذو القعدة وعَشرُ ذى الحِجَّة .

وصفة الإحرام بالتمتع أن يقول : لَبَّيْك عُمْرة متمتعاً بها إلى الحج ، وعلى المتمتع فدية ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجع إلى بلده فيطوف ويسعى للعُمْرة ثم يحل ، وإذا جاء يوم التروية أحرم بالحج [1] ، فإذا سافر المتمتع من مكة مسافة قصر وعاد مُحْرِماً بالحج انقطع تمتعه وصار مفرداً ، وأما إذا أحرم بالعُمْرة قبل أشهر الحج وبقى فى مكة حتى يحج صار من حاضرى المسجد الحرام ليس عليه فدية ، وأما القِران فيقول فى إحرامه : لَبَّيْك حَجّاً وعُمْرة ، أو يُحْرِمُ بالعُمْرة ثم يُدخل عليها الحج قبل الشروع فى الطواف ، وتتضح المصلحة فى ذلك إذا حاضت المرأة وجاء يوم التروية قبل أن تطهر فتُدخل الحجَّ على العُمْرة وتكون قارنة ، أو ضاق الوقت بالمحرم وخشى الفوات إذا أدَّى أعمال العُمْرة ، فإنه يُدخل الحج على العُمْرة فيكون قارناً ، وحينئذ يكون الترتيب لأعمال الحج وتَدْخل أعمالُ العُمْرة فى أعمال الحج .

والإحرام بالإفراد أن يقول : لَبَّيْك حَجّاً مع عزم القلب ، ويبقى القارن والمفرد فى إحرامه إلى يوم العيد يوم الحج الأكبر ، وفى ذلك اليوم أمام الحاج ثلاثة أشياء : رمىُ جَمْرة العقبة ، والطوافُ بالبيت طواف الإفاضة ، والسعىُ ، والحَلْقُ أو التقصير ، فإذا فعل اثنين من هذه الثلاثة بأن رمى جَمْرة العقبة وحلق أو قصر فقد حل التحللَ الأول ، أى يحل له كلُ شىء مُنِع منه لإحرامه إلا النساء ؛ فيلبس الثياب ، ويتطيب ويُقَلِّم الأظفار .

---

(١) هكذا فى حديث جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنه فى حديثه الطويل : أخرجه مسلم فى الصحيح ، كتاب « الحج » ، حديث رقم (١٤٧) خاص .

فإذا فعل الثالث : رمى العقبة ، وحلق ، وطاف بالبيت وسعى حَلَّ له كل شيء حتى النساء ، إلا مَن كان معه هَدْى ساقه لإحرامه ، فلا يحل حتى ينحر هَدْيه .

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (١) .

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم ، واغفر لنا ولآبائنا وأُمهاتنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

(١) سورة البقرة : ١٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

اجتناب محظورات الإحرام

(الخطبة الثانية)

الحمد لله الذى هدانا للإسلام . . ﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على الطاهر الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد . .

فإن للحج والعُمْرة أعمالاً وآداباً ، وللإحرام محظورات ، فإذا دخل المسلم فى النُّسُك فقد ألزم نفسه بالأعمال وباجتناب المحظورات ، فيجب عليه إتمام نُسُكه لحج أو عُمْرة .

وهذه الأعمال هى : الإحرامُ ، والطوافُ ، والسعىُ ، والحلق أو التقصير ، هذه يشترك فيها الحاج والمعتمر ، ويزيد الحج الوقوفَ بعرفة ، والمبيتَ بمزدلفة ، ورمىَ الجمرات ، والمبيتَ بمِنَى ليال التشريق .

والإحرام هو نيَّة الدخول فى النُّسُك ، فمتى نوى الإنسانُ الإحرام بحَجٍّ أو عُمْرة صار مُحْرماً ، ويجب عليه تجنب المحظورات فلا يلبس المُحْرِم الذكرُ مخيطاً ولا يغطى رأسه ، أما المرأة فتلبس المخيط وتغطى رأسها ، ويجتنب المُحْرِم قص الأظافر والشعر ومس الطيب ، هذه الخمسة مَن خالف فيها وجب عليه فديةٌ يُخيَّر فيها بين ثلاثة أشياء : صيام ثلاثة أيام ، أو إطعام ستة مساكين ، أو نُسُك يجزئ فى أُضحية ، يتصدَّق بها على فقراء الحرم ،

---

(١) سورة الأعراف : ٤٣

ويجتنبُ المحرمُ قتل الصيد البرى ، فمَن قتله فعليه فدية تخيير بين ثلاثة أشياء أيضاً :

(أ) إما جزاءٌ مثلُ ما قتل من النَعَم .

(ب) أو تقدير قيمته ويَشْترى بها طعاماً لفقراء الحرم .

(جـ) أو يصوم عن كل « مدٍّ طعام » يوماً .

ويجتنب المُحْرِم عقد النكاح ، فإن فعل فالزواج باطل ، ويجتنب أيضاً ملامسة النساء ، فإن باشرَ دون المحل فأنزل فعليه بدنة ، وإن لم ينزل فعليه شاة ، وأما إن جامعَ فيُنظر ، فإن كان قبل التحلل الأول فسد حجه وعليه بدنة ، ويلزمه المضى فى الفاسد وقضاؤه فى العام القابل (١) .

وإن كان بعد التحلل الأول فعليه بدنةٌ وحجه صحيح ، لكن إن لم يكن طاف طواف الإفاضة أحرم من الحِلِّ ليطوف مُحْرماً .

فاتقوا الله عباد الله ، وعَظِّموا شعائر الله ، واحترموا حرم الله وحرم رسوله ﷺ : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ (٢) ، وصلُّوا على البشير النذير . . . . . .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (٣) .

* * *

---

(١) إشارة إلى حديث أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى : ٥/١٦٧ ، وهو من فتوى ابن عباس رضى الله عنهما وإسناده صحيح إليه .

(٢) سورة الحج : ٣٢

(٣) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

١٠ - مشاعر المسلم تتحرك شوقاً إلى بيت الله الحرام [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٢] . . جعل الحج أشهراً معلومات [٣] ، وجعل العُمْرة فى كل العام .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، خَلَقَ فقدَّر وشَرَّع فيسَّر .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [٤] .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه نجوم الهَدْى ومصابيح الدُّجَى ومَن تبعهم بإحسان واهتدى .

أما بعد . .

فقد دخلت أشهر الحج وهى شوَّال وذى القعدة وعَشْرٍ ذى الحِجَّة ، ففى هذه الأيام تتحرك مشاعر المسلم شوقاً إلى بيت الله الحرام لأداء مناسك العُمْرة والحج ، ولزيارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسأل الله لهم

---

(١) ألقيت يوم ١٦/ ١٠/ ١٤١٥ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى الآية ١٩٧ من سورة البقرة .

(٤) سورة التوبة : ١٢٨

التيسير فى السفر ، والراحة فى الإقامة ، وأسأل الله لنا ولهم حجاً مبروراً ، وعملاً صالحاً مقبولاً ، وسعياً محموداً .

ثم أُذَكِّر المسلمين عموماً بنِعَم الله علينا وعليهم ، فما انتهى شهر رمضان حتى دخلت أشهر الحج المباركة تفتح أبواب الأمل والرجاء أمام أُمَّة محمد صلى الله عليه وسلم ، فمَن قَصَّرَ فيما مضى أو فاته الرَكْب ، فليجتهد فى طاعة الله فى هذه الأشهر المطهَّرة .

ويلزم مَن أراد السفر إلى الحج أن يختار النفقة الحلال وأن يقصد بعمله وسفره وجه الله والتقرُّبَ إليه .

ومن رحمة الله ونعمه أوجب الحج على كل مسلم مستطيع فى العمر مرة واحدة ، لأن الحج هو أشد أركان الإسلام كلفةً ، فهو يحتاج إلى المال والزاد والسفر ، والسفرُ قطعة من العذاب ، وفيه مُفارقة الأهل والمال والولد ، وفيه تغيير نظام حياة المسلم ، وتغيير الأجواء وكلفةُ الزحام .

فمن رحمة الله بعباده يَسَّر لهم وسَهَّل فى التشريع ، فأوجب الحج فى العمر مرة واحدة مع الاستطاعة . قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ (١) ، وقال صلى الله عليه وسلم : « يا أيها الناس ؛ إن الله كتب عليكم الحج فحجوا » ، فقام الأقرع بن حابس فقال : يا رسول الله ؛ أفى كل عام ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « لو قلتها لوجبت ، ولو وجبت لم تعملوا بها ولن تستطيعوا أن تعملوا بها ، الحج مرة ، فمَن زاد فهو تطوع » .

ولوجود المشقة المالية والبدنية والاجتماعية فى الحج كان ثوابه جزيلاً وفضْله

---

(١) سورة آل عمران : ٩٧

كبيراً ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « العُمْرَة إلى العُمْرة كَفَّارة لما بينهما ، والحَجَّ المبرور ليس له جزاء إلا الجنَّة » (١) .

والحج مُكَفِّر لجميع الذنوب والخطايا كبيرها وصغيرها ، ففى الحديث المتفق عليه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أُمه » ، أى طاهراً مطهراً من الخطايا والذنوب ، قد غفر الله له جميع ما اقترف من ذَنْب وخطيئة ، صغائر وكبائر .

والرفث المنهى عنه فى الحج هو الفُحش فى القول والعمل ، والتعريض بمواقعة النساء عند النساء .

والفسوق هو الخروج من الطاعة ، والأشهرُ المعلوماتُ هى المواقيت الزمنية ، أما المواقيت المكانية فقد نصَّت الأحاديث عن عبد الله بن عباس ، وعن عبد الله ابن عمر رضى الله عنهم أن النبى ﷺ وقَّتَ لأهل المدينة ذا الحليفة ، ولأهل الشام مهيعة وهى الجحفة ، ولأهل نجد قَرْناً - أى قرن المنازل ، ولأهل اليمن يلملم . وقال صلى الله عليه وسلم : « هُنَّ لهُن ولمن أتى عليهن من غير أهلهن ممن كان يريد الحج والعُمْرة » ، ومن كان طريقه لا يمر بهن فمن محاذاة الميقات لقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه كما فى حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال : لما فُتح هذان المصران (أى الكوفة والبصرة) أتوا عمر رضى الله عنه فقالوا : يا أمير المؤمنين ؛ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حَدَّ لأهل نجد قرناً وهو جَوْرٌ عن طريقنا (أى مائل) ، وإنَّا إن أردنا قرناً شقَّ علينا ، قال : فانظروا حذوها من طريقكم ، فحَدَّ لهم

---

(١) متفق عليه ، رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما ، وأحمد فى المسند ، كما رواه أبو داود والنسائى والترمذى عن أبى هريرة ، وذكره السيوطى فى الجامع الصغير برقم (٥٧٣٣) ورمز له بالصحة .

ذات عرق ، وأما مَن كان بين مكة المشرَّفة والميقات ، فيُحْرِم من مكانه حتى أهل مكة من مكة .

والأنساك ثلاثة : تمتع ، وقِران ، وإفراد ، كلها جائزة إن شاء الله تعالى ، إلا أن أفضلها التمتع ، فيُستحب لمن كان قارناً أو مفرداً ولم يَسُق معه هَدْياً من بهيمة الأنعام أن يطوفَ ويسعى ويجعلها عُمْرة ويتحلل الحل كلَّه .

روى البخارى رحمه الله بسنده عن أُم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت : « خرجنا مع النبى ﷺ ولا نُرى إلا أنه الحج ، فلما قَدِمْنا تطوفنا بالبيت ، فأمر النبى ﷺ مَن لم يكن ساق الهَدْى أن يَحِلَّ فحل مَن لم يكن ساق الهَدْى ونساؤه لم يسقن الهَدْى فأحللن » ، فالتمتع أفضل الأنساك .

وإذا أحرم المسلم ذكراً أو أُنثى فى الطائرة من محاذاة الميقات يظن أنه سيذهب إلى مكة المكرَّمة ، لكن لما نزل فى مطار جدة وَجَّهه المتعهد إلى المدينة المنوَّرة ، فالإحرام لازم له حتى يطوف ويسعى ويأخذ من شعر رأسه ، فلا يخالف محظورات الإحرام فلا يلبس الثياب المعتادة ، ولا يَرْفُث ولا يَفْسُق فإنه محرَّمٌ حتى يذهب إلى مكة ويطوفَ ويَسعَى ، لأنه أوجب على نفسه النُّسُك بالدخول فيه . قال سبحانه : ﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ ﴾ (١) ، وقال جَلَّ شأنه : ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ (٢) حتى لو كان النُّسُك الذى ألزم نفسه بالدخول فيه نفلاً ، فإنه يلزم إتمامه ، ولا يُعتبر مُحْصَراً لأن المُحْصَر هو الذى مُنع من الوصول إلى الكعبة .

أما الذى وُجِّه إلى المدينة فلم يُمنع من الوصول إلى البيت ، وإنما بدأ بزيارة المسجد النبوى ، ثم يذهب إلى مكة المكرَّمة ، فالفرق بين الصورتين

---

(١) سورة البقرة : ١٩٧

(٢) سورة البقرة : ١٩٦

واضح ، ويجب أن يُشْعَر القادمُ قبل إحرامه باتجاهه هل هو إلى المدينة أم إلى مكة ليكون على علم ، فإن كان إلى المدينة فلا يُحْرِم إلا إذا أراد السفر إلى مكة من أبيار على ذى الحليفة .

فاتقوا الله أيها المسلمون . . .

اللَّهُمَّ إنَّا نسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة فى الدنيا والآخرة ، ونسألك السداد والتوفيق والهداية والثبات ، وإخلاص العمل لوجهك الكريم ، ونسألك المغفرة لنا ولكل المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحج المبرور

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١) ، أقربُ إلى أحدكم من حبل الوريد (٢)

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له مستوٍ على عرشه (٣) ، ويعلم سِرَّ عباده ونجواهم وجهرهم .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أعرف الناس بربه وأخشاهم وأتقاهم لله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه الذين أذهب عنهم الرجس وطهَّرهم تطهيراً (٤) ، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم التناد .

أما بعد . .

فكل حاج يُحبُّ أن يكون حَجُّه مبروراً جزاؤه الجنَّة ، فنسأل الله الكريم من واسع فضله ، فينبغى أن نعرف ما قاله العلماء فى الحج المبرور ، فقد اختلف علماء الحديث فى الحج المبرور اختلافاً تنوعياً كلٌ منها يصدق على الحج المبرور وكلها متقاربة المعنى . فالحج المبرور هو الذى وُفِيَت أعماله كما طُلِب من المكلَّف على الوجه الأكمل ولم يخالطه معصية ولا إثم ، فليحرص إخواننا على ضبط الحج كما ورد عن النبى ﷺ عملاً وترتيباً قولاً وفعلاً .

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) إشارة إلى الآية ١٦ من سورة (ق) .

(٣) إشارة إلى الآية ٥٤ من سورة الأعراف ، وفى سور أخرى .

(٤) إشارة إلى الآية ٣٣ من سورة الأحزاب .

والدليل على الحج المبرور عمل الحاج ، فإن كان عمله فى آخر أعمال الحج خيراً مما تقدم ، عرف أن حجه مبروراً (ذكره ابن حجر فى فتح البارى) [١] .

فاتقوا الله أيها المسلمون وراقبوا ربكم فى كل أحوالكم ، فإنه مطلع عليكم لا تخفى عليه منكم خافية .

وصلُّوا على البشير النذير .....

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [٢] .

* * *

(١) انظر : فتح البارى : ٣/ ٣٨٢

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

١١ - اختيار النفقة الحلال فى الحج [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [٢] . . طهَّر بيته للطائفين والقائمين والرُّكَّع السجود [٣] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له . . خلَق فقَدَّر وشَرَّع فيسَّر .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، خير مَن حج واعتمر .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد . .

فلقد مَنَّ الله على أُمَّة محمد ﷺ فهداها لمعالم الحق ، وأنار لها سبيل الرُّشد ، ويسَّرَ لها طرق الخير وأسباب السعادة .

فما يمر موسم من مواسم الخير إلا ويتبعه آخر ، فلما انقضى شهر رمضان ، تبعثه أشهر الحج المباركة ، تفتح أبواب الأمل والرجاء أمام أُمَّة محمد ﷺ ،

---

(١) ألقيت يوم ٤/١١/١٤٠٣ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى الآية ٢٦ من سورة الحج .

فمَن قصَّرَ فيما مضى فليجتهد فيما بقى ، وإنَّ الحج من أعظم القُرَب إلى الله تبارك وتعالى ، فهو عبادة روحية بدنية مالية .

فيجب على مَن أراد الحج أنْ يجرد قصده ونِيَّته لله تعالى ، وأنْ يجعل عمله مطابقاً لسُنَّة رسول الله ﷺ ، وأن يختار النفقة من كسب حلال ، « فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً » (١) ، ولا يكون الحج مبروراً إلا إذا كانت نفقته طيبة .

عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا خرج الحاج حاجاً بنفقة طيبة ، ووضع رجله فى الغرز فنادى : لَبَّيْك اللَّهُمَّ لَبَّيْك ، ناداه منادٍ من السماء : لَبَّيْك وسعديك زادُك حلالٌ وراحلتك حلالٌ وحَجُّك مبرورٌ غير مأزورٍ ، وإذا خرج بالنفقة الخبيثة فوضع رجله فى الغرز فنادى : لَبَّيْك ، ناداه منادٍ من السماء : لا لَبَّيْك ولا سعديك ، زادك حرام ونفقتك حرام وحَجُّك مأزور غير مبرورٍ » (عزاه المنذرى إلى الطبرانى) (٢) .

وينبغى للحاج أن يوسع فى نفقته ، فذلك أعظم لأجره . فقد روى الحاكم عن أُم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال لها فى عُمْرتها : « إن لكِ من الأجر على قدر نَصبِك ونفقتِك » (٣) .

ومن رحمة الله تعالى بأُمة محمد ﷺ جعل الحج واجباً فى العمر مرة واحدة ، وإنما يجب على المسلم المكلَّف إذا استطاع إليه سبيلاً .

---

(١) صحيح مسلم : ٢/٧٠٣ ، حديث (١٠١٥) .

(٢) قال الهيثمى فى مجمع الزوائد (١٠/٢٩٢) : رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه سليمان بن داود اليمامى وهو ضعيف .

(٣) الحاكم : ١/٤٧١ ، والدارقطنى : ٢/٢٨٦

فاتقوا الله أيها المسلمون ، واحرصوا على نقاء الحج ، وإخلاص العمل ، وحُسْن السلوك وطَيِّب الكلام ، وإصابة السُّنَّة ، والنفقة ليكون حجكم مبروراً ، ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١) .

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

* *

(١) سورة آل عمران : ٩٧

بسم الله الرحمن الرحيم

بعض الحُجَّاج يُؤذيهم

(الخطبة الثانية)

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً .

وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه .

أما بعد . .

فإنه يوجد مَن يأتى باسم الحج لغرض سيئ ، وهدف خبيث ، يريد إيذاء عباد الله وضيوف الرحمن وزُوَّار مسجد رسول الله ﷺ ، إما لأنه يريد كسب الأموال بأى طريق كان : سرقةً ونهباً واحتيالاً .

أو يريد خدمة مخططات معادية للإسلام والمسلمين ، فيشوش على الحُجَّاج فى هذه البقاع الطاهرة الآمنة ويقلق راحتهم ويُوضع بينهم .

أما يعلم أُولئك المفسدون أن الحُجَّاج ضيوف الله وتحت رعايته وحمايته ؟

أما يخافون من عقاب العزيز الجبار ؟

أما يعلمون أنهم فى بقاع مقدَّسة حرَّمها الله ورسوله وحرَّم فيها البغى والإيذاء ، ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ؟ (١) .

أما يعلمون أنهم فى بلد يحكم بما أنزل الله ويقيم حدود الله ؟

---

(١) سورة الحج : ٢٥

فاتقوا ربكم أيها الناس ، إنه يمهل ولا يُهمل : ﴿ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ (١) ، ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ ﴾ (٢) .

عباد الله . . إن الله أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه وثنَّى بملائكته ، فقال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (٣) .

فصلُّوا على البشير النذير . . . . . .

* * *

(١) سورة هود : ١٠٢

(٢) سورة إبراهيم : ٤٢ - ٤٣

(٣) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

١٢ - الاشتراط عند الإحرام [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله الجوَّاد الكريم .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له . . خَلَقَ فقَدَّر وشَرَّع فيَسَّر .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

ففى هذه الأيام المباركة فى أشهر الحج يتحرك شعورُ كلِّ مسلم لنداء سمعناه وأجبناه حينما كنا فى أصلاب الآباء ، إنه نداء أبينا إبراهيم عليه السلام حيث نادى بأمر ربه : يا أيها الناس إن ربكم قد اتخذ بيتاً فحجوه [٢] ، فأجابه مَن فى أصلاب الآباء وأرحام الأمهات : لَبَّيْك اللَّهُمَّ لَبَّيْك . إنَّ كل مؤمن تتحرك مشاعره ويتشوَّق إلى بيت الله الحرام ، ذلك البيت الذى جعله ربه مثابة للناس وأمناً ، وجعله مباركاً وهدى للعالَمين [٣] .

فهنيئاً لمن دعاه مولاه فأجاب وأحسن الوفادة وتأدب بآداب الضيف المكرم ،

---

(١) ألقيت يوم ١٣/١١/١٤٠١ هـ .

(٢) إشارة إلى الآية ٢٧ من سورة الحج .

(٣) إشارة إلى الآية ١٢٥ من سورة البقرة .

وسار على برنامج الزيارة الصحيحة الذى وضعه الداعى : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ﴾ (١) .

يُستحَب لمن أراد الإحرام أن يغتسل ويتنظف ويتطيب قبل الإحرام ، ويُصلِّى ركعتين يُحْرِم بعدهما أو بعد صلاة فريضة ، ويجوز له أن يشترط ، فيقول : اللَّهُمَّ إنى أُريد نُسُك كذا - يُسمى النُّسُك الذى يريده : عُمْرة أو حَجّاً ، أو عُمْرة متمتعاً بها إلى الحج ، أو حَجّاً وعُمْرة ويقول : فيسِّره لى وتقبله منى ، فإن حبسنى حابس فمحلى حيث حبستنى (٢) ، فإذا اشترط وحصل له مانعٌ يُبيح التحلل ، تحلَّلَ ولا شىء عليه لأن النبى ﷺ قال لضباعة بنت الزبير حين قالت : إنى أُريد الحج وأجدنى وَجِعة ، قال : « حجى واشترطى وقولى : اللَّهُمَّ محلى حيث حبستنى » (متفق عليه) (٣) .

والأنساك الثلاثة كلها جائزة : الإفراد والقران والتمتع ، لأن النبى ﷺ خيَّر أصحابه فى حَجَّة الوداع بين هذه الأنساك ، فمنهم من أهَلَّ بحج ، ومنهم مَن أهَلَّ بحج وعُمْرة ، ومنهم من أهَلَّ بعُمْرة . وكان صلى الله عليه وسلم قارناً

---

(١) سورة الحج : ٢٦ - ٢٩

(٢) إشارة إلى حديث ضباعة بنت الزبير رضى الله عنها : مسلم برقم (١٠٤) خاص وعام (١٢٠٧) .

(٣) مسلم برقم (١٠٥) خاص بسياق آخر من حديث ضباعة بنت الزبير رضى الله عنها .

على الأصح ، وساق معه الهَدْى وبقى فى إحرامه حتى نحر هَدْيه [١] ، وما كان الله ليختار لنبيه إلا نُسُكاً جائزاً .

وأما أمره - صلى الله عليه وسلم - مَن لم يسق الهَدْى بالتحلل إلى عُمْرة فلبيان أن العُمْرة فى أشهر الحج جائزة للرد على الذين كانوا يُحرِّمونها ، ولبيان جواز التحلل من الحَجِّ إلى العُمْرة تسهيلاً على أُمته - صلى الله عليه وسلم - ، فليس فى ذلك حُجَّة لمن أبطل القران والإفراد ، والله تعالى يقول : ﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ﴾ [٢]، فخيَّر بين النُّسُكين .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، لا تُضيِّقوا أمراً جعله الله واسعاً ، ولا تُعَسِّروا أمراً جعله الله مُيَسَّراً .

عباد الله ؛ إن للحَجِّ والعُمْرة آداباً وأعمالاً ، فإذا أحرم المسلم فقد ألْزمَ نفسه بأعمال لا بد أن يُتمها ، وألزم نفسه باجتناب محظورات الإحرام .

فأما أعمال العُمْرة فهى : الإحرام من الميقات لمن كان خلفه ، أو من الحِلِّ لمن كان دونه ، والطواف ، والسعى ، والحلق أو التقصير .

وأما أعمال الحج فهى : الإحرام من الميقات ، والوقوف بعَرَفة يوم التاسع من شهر ذى الحِجَّة ، والمبيتُ بمزدلفة ليلة العاشر ، ورمىُ جَمْرة العَقَبة ، والطوافُ ، والسعىُ ، ونحر هَدْى القارن والمتمتع ، ثم رمى الجمار أيامَ التشريقُ ، والمبيتُ بمِنَى ليالى التشريق ، ثم الوداع .

وأما محظوراتُ الإحرام - أى الممنوعات وقت الإحرام - فهى تسعة : لُبْسُ المخيط ، وتغطيةُ الرأس - إلا المرأة فتلبس المخيط وتغطى رأسها ، وحلق

---

(١) إشارة إلى حديث جابر بن عبد الله الأنصارى الطويل ، أخرجه مسلم فى الصحيح برقم (١٤٧) خاص ، وابن ماجه والإمام أحمد فى المسند .

(٢) سورة البقرة : ١٥٨

الشَّعْر ، وتقليم الأظافر ، ومَسُّ الطيب ، فهذه الخمسة مَن فعل شيئاً منها فعليه فدية يُخَيَّر بين ثلاثة أشياء : صيام ثلاثة أيام ، أو إطعام ستة مساكين ، أو نُسُك .

السادس : قتل الصيد البرى ، فمَن قتل صيداً فعليه الجزاء ، يُخَيَّر بين ثلاثة أشياء : إما جزاء مثل ما قتل من النَّعَم ، أو تقديرُ قيمته ويشترى بها طعاماً يُوزَّع على فقراء الحرم ، أو يصوم عن كل مُدِ طَعَامٍ يوماً .

السابع : عقد النكاح ، فمَن تزوَّج وهو مُحْرِم فالنكاح باطل ولا كَفَّارة .

الثامن : الجِماع ، فمَن جامعَ قبل التحلل الأول فسد حجه ، وعليه بَدَنَةٌ والمضى فى الفاسد ، وقضاؤه من قابل ، وإن كان بعد التحلل الأول فعليه بَدَنَة وحجه صحيح ، لكن إن لم يكن طاف طواف الإفاضة أحْرَم من الحِلِّ ليطوف مُحْرماً .

والتاسع : المباشرة ، فإن باشر فأنزل فعليه بَدَنَة ، وإن لم ينزل فعليه شاة .

والتحلل الأول يحصل بفعل اثنين من ثلاثة أشياء وهى : رمىُ جمرة العقبة ، والطوافُ بالبيت ، والحلقُ أو التقصير ، فإذا فعل اثنين من هذه الثلاثة فهو التحلل الأول يُباح له كل شىء إلا النساء ، فإذا فعل الثلاثة وذبح فدية التمتع إن كان متمتعاً أو القِران إن كان قارناً فهو التحلل الكامل إلا مَن ساق معه هَدْياً ، فلا يتحلل حتى ينحر هَدْيه [١] .

---

(١) كل هذه المسائل التى أوردها فضيلة الخطيب وفقه الله للخير فى هذه الخطبة مأخوذة من حديث جابر الأنصارى الطويل ، أخرجه مسلم فى الصحيح برقم (١٤٧) ، وغيره من الأحاديث المتفرقة الصحيحة ، فراجع كتب الفقه فى هذا الباب ، والله أعلم ، وقد عقد على حديث جابر الطويل الإمام النووى باباً برقم (١٩) بقوله : باب : حِجَّةِ النبى ﷺ .

فاتقوا الله عباد الله ، وعَظِّموا شعائر الله .

اللَّهُمَّ وفقنا لما تحب وترضى ، ومُنَّ علينا بتعظيم شعائرك وحرماتك ، وألهمنا رشدنا وقنا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، واحفظ علينا ديننا الذى هو عصمة أمرنا ، ودنيانا التى فيها معاشنا ، وآخرتنا التى إليها معادنا ، وتُبْ علينا واغفر لنا إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

بسم الله الرحمن الرحيم

أركان الحج

(الخطبة الثانية)

الحمد لله على هدايته وتوفيقه ، وأشكره على رعايته وآلائه .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن دعا بدعوته واتبع سبيله .

أما بعد . .

فإنَّ الحج عبادة روحية بدنية مالية ، فليس مجرد رحلة استطلاعية ولا سياحة ترفيهية ، ولا عادات تقليدية .

وإنما هو اتصال برب الأرباب ، وطاعة لملك الملوك وبرهان على كمال الانقياد لله والاستسلام لأمره ونهيه . الحج تجردٌ لله عن كل المشاغل ، إن البيت محط رحال المثقلين بالذنوب وكل الناس كذلك ، إنه صندوق الوفاء عن المدينين ، فكما أن شهود الإعسار عند القضاء ثلاثة : فموجبات المغفرة ثلاثة : الإقلاع عن الردى ، والندمُ على ما مضى ، والعزمُ على ألا يعود مرة أُخرى .

فهذه فُرْصَتُك أيها المسلم فى هذه البقاع المقدَّسة فى مهابط الوحى ومواقع التنزيل ، أرِقْ دموع الندم على أدران المعاصى تغسلْها ، واستغفر ربك من الخطايا يَغْفِرْها ، وتُب إلى الله توبة نَصوحاً يقبلها .

واعلموا - رحمنى الله وإياكم - أن أعمال الحج تنقسم ثلاثة أقسام : أركان ، وواجبات ، وسنن .

فالركن لا يتم الحج إلا به ، والواجب يُجبر إذا تُرِك بدم ، والسُّنَّة يُثَابُ فاعلها ولا يُعاقَب تاركها .

فأما الأركان فهى أربعة على المشهور : الإحرام ، والوقوف بعَرَفة ، وطواف الإفاضة ، والسعى بين الصفا والمروة .

وأما الواجبات فسبعة : الإحرام من الميقات لمن كان الميقات بينه وبين مكة ومحاذاته أما مَن كان داخل الميقات فمن منزله ، واجتناب محظورات الإحرام ، والوقوف بعَرَفة إلى اللَّيْل ، وأن يبقى فيها حتي تغرب شمس اليوم التاسع ، والمبيت بمزدلفة إلى نصف الليل ، ورمىُ الجمار مرتبة ، والحلق أو التقصير ، وطواف الوداع .

وما عدا الأركان والواجبات فسنن .

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ (١) .

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ (٢) .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، و﴿ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ﴾ (٣) .

وصلُّوا على البشير النذير . . . . . .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (٤) .

* * *

---

(١) سورة الحج : ٣٠

(٢) سورة الحج : ٣٢

(٣) سورة هود : ٣

(٤) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

١٣ - أعمال الحج ومحظورات الإحرام [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [٢] ، طهَّر بيته للطائفين والقائمين والرُّكَّع السجود [٣] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له . . طيبٌ لا يقبل إلا طيباً ، واحد لا يقبل إلا ما كان له مُوَحِّداً .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله خيْر مَن حَجَّ واعتمر .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه السادة الغرر ، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم المستقر .

أما بعد . .

فقد كانوا فى الجاهلية يقصدون المشاعر المطهَّرة للاجتماع والتظاهر والتفاخر والتفاضل وحضور الأسواق ، لا يقصدون وجه الله ولا يعملون لله ، فليسوا من الله فى شىء ، فأمر تعالى بأن يكون الحج والقصد خالصاً لله لأداء فرضه وقضاء حقه ، فقال تعالى : ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ [٤] ، فأبطل أعمال الجاهلية ومقاصدها وجعل العمل لله وحده .

---

(١) ألقيت يوم ٢٤/١١/١٤٠٨ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى الآية ١٢٥ من سورة البقرة ، والآية ٢٦ من سورة الحج .

(٤) سورة البقرة : ١٩٦

فيجب على المسلم أن يقصد بأعماله وأقواله وجْهَ الله ، وأن يبتعد عن أعمال الجاهلية ، فإن الأعمال والقُرْبَ مبناها على النِيَّة والقصد .

روى الإمام البخارى رحمه الله فى صحيحه عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال وهو على المِنْبرَ : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إنما الأعمال بالنِيَّات وإنما لكل امرئ ما نوى » (١) ، فالعبادات كلها - أقوالها وأفعالها ، فرضُها ونفلها - معتبرةٌ بالنِيَّات . والنِيَّة هى عزم القلب على فعل العبادة ابتغاء وجه الله .

قال القرطبى رحمه الله : لا خلاف بين العلماء فيمن شهد مناسك الحج وهو لا ينوى حَجّاً ولا عُمْرة أن شهودها غير مغن عنه ، وأن النيَّة تجب فرضاً : ﴿ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾ (٢) .

فمَن جاء إلى هذه البقاع المقدَّسة لقصد النشل والسرقة وتتبع غفلات الناس ، ليأخذ أموالهم ظلماً وعدواناً ، فليس له إلا الخزى والعار وإقامة حكم الله عليه : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٣) .

ومَن جاء للإفساد فى الأرض ، وإيذاء ضيوف الله ، وتكدير عَيْشهم وتنغيص أمنهم ، وصدهم عن شعائر حَجهم ، والإلحاد فى بيت الله ، وانتهاك حُرْمة البِقاع المطهَّرة ، فإن الله يغارُ على حرماته ويحمى بيته ويحرس وفوده وينصر عباده الذين جعلهم فى خدمة الحرمين الشريفين ، فليس للملحد

(١) البخارى : ١/ ٢١ ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى .

(٢) سورة البقرة : ٢٠٠ - ٢٠١

(٣) سورة المائدة : ٣٨

إلا الفشل والخزىُ والعقوبة من الله والبغض من الناس ، وسيقام عليه حكم الله بحوْل الله وقوته : ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١) .

وقد استخلف الله فى بقاعه المطهَّرة مَن فيه الكفاية وعنده المقدرة على خدمة الحرمين وحماية مُقدَّسات الإسلام والوافدين إليها ، فإن خادم الحرمين الشريفين وإخوته وحكومته نظامهم القرآن وسُنَّة سيد الأنام ، يحكمون بما أنزل الله ، ويُقيمون حدود الله ، وقائمون بواجب الخلافة فى أرض الله ، والحمد لله على نعم الله . .

أيها المسلم ؛ إنه يشترط لصحة العبادة أن تكون موافقة لهَدْى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ففى الصحيحين عن أُم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « مَن أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » ، وفى رواية : « مَن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » (٢) ، أى مردود على صاحبه غيرُ مقبول .

واعلم أيها الحاج الكريم أن الشروع فى الحج أو العُمْرة فرضاً كان أو نفلاً مُلْزم للإتمام : ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ ﴾ (٣) ، ولا يتم الحج والعُمْرة إلا بأداء الأركان والواجبات ، فإذا كان إنسانٌ قادماً للحج أو العُمْرة فى الطائرة ، فلما حاذى الميقات أحرم ، فلما نزل فى مطار جدة وُجِّه إلى المدينة المنوَّرة لزيارة مسجد رسول الله ﷺ وللسلام عليه وعلى صاحبيه ، فإن ذلك المُحْرمَ

---

(١) سورة المائدة : ٣٣

(٢) البخارى مع فتح البارى : ٥/ ٣٠١ ، باب العلم رقم (٢٦٩٧) .

(٣) سورة البقرة : ١٩٦

يبقى فى إحرامه ، ولا يجوز له أن يعمل شيئاً من محظورات الإحرام ، وهو باق على إحرامه حكماً حتى لو لبس ثيابه العادية ، لأن الإحرام لا يرتفع إلا بالطواف والسعى والحلق أو التقصير ، ومَن خالف فعليه جزاء ما فعل . ولا يُقاس هذا بالإحصار لوجود الفارق . فإن الإحصار هو المنع من الوصول إلى الكعبة المشرَّفة ، والذى توجَّه إلى المدينة المنوَّرة لم يُمنع ، وغاية ما فى الأمر أنَّ المسافة بَعُدَت والمدة طالت قليلاً ، والواجب التنسيق بين الوافدين والمسئول عنهم ، فيخبرهم إلى أين يتوجَّهون ، وعلى الوافد أن يسأل ويتأكد إلى أين يتوجَّه ، فإن كان إلى مكة أحرم وإلا فلا يُحرم .

واعلم أخى الحاج أنَّ للحَجِّ والعُمْرة أركاناً وواجباتٍ وسُنناً ، فأركان الحج أربعة هى : الإحرام وهو نِيَّة الدخول فى النُّسُك ، والوقوفُ بعَرَفة يوم التاسع من شهر ذى الحجة ، وطوافُ الإفاضة ، والسعى بين الصفا والمروة .

وواجبات الحج سبعة : أنْ يكون الإحرام من الميقات ، واجتناب محظورات الإحرام ، والبقاء فى عَرَفة يوم التاسع إلى غروب الشمس ، والمبيتُ فى مزدلفة ليلة العيد ، والمبيت فى مِنَى ليالى التشريق ، ورمىُ الجمرات ، والحلقُ أو التقصير .

وأركان العُمْرة ثلاثة : الإحرام ، والطواف والسعى وواجباتها ثلاثة : أن يكون الإحرام من الميقات ، واجتناب محظورات الإحرام ، والحلق أو التقصير .

وما عدا الأركان والواجبات من أعمال الحج والعُمْرة فسُنَن .

فمَن ترك ركناً وجب عليه الإتيان به وما بعده إن أمكن ، وإن لم يمكن الإتيان به مثل فوات يوم عَرَفة تحلَّل إلى عُمْرة .

ومَن ترك واجباً جَبَره بفدية ، ومَن ترك سُنَّة فاته ثوابها ولا شىء عليه ، ومتى دخل المسلم فى الإحرام وهو نِيَّة النُّسُك وجب عليه تجنب تسعة أشياء ،

فيحرم عليه قص الشَّعْر والأظافر ، ومسُّ الطيب ، وقتلُ صيد البر ، وعقدُ النكاح ، والمباشرة ، والجماعُ . وهذه يستوى فيها الرجل والمرأة . ويُحَرَّم على الرجل لُبس المخيط إلا من ضرورة ، وتغطية رأسه بملاصق للترفه ، وأشد هذه المحظورات خطراً على المُحْرم : الجماع ، فإنه إذا جامعَ قبل التحلل الأول فسد حَجُّه ولزمه ثلاثة أشياء : المضى فى هذا الحج الفاسد حتى تنتهى أعماله ، والفدية بَدَنَةٌ ، وقضاء هذا الحج الفاسد فى العام القادم .

والتحلل الأول يكون يومَ العيد إذا فعل الحاج شيئين من ثلاثة : رمى جمرة العقبة ، والحلق أو التقصير ، وطواف الإفاضة والسعى ، فإذا رمى وحلق تحلَّل الحل الأول .

وأما الجماع بعد التحلل الأول فيوجب الفديةَ بَدَنَةً وحَجُّه صحيح ، لكن إن لم يكن طاف طواف الإفاضة أحرم ليطوف فى إحرام صحيح ، والجماع قبل التحلل الأول مفسد للحج ، ويجب المضى فى الفاسد وقضاؤه من قابل .

وبقية المحظورات توجب الفِدْية فقط إلا عقد القران فلا فدية وإنما يبطل العقد .

فاتقوا الله أيها المسلمون . . ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ (١) .

اللَّهُمَّ إنَّا نسألك حُسْن الاقتداء بنبينا محمد ﷺ وحُسْن العمل وحُسْن الثواب ، ونسألك حَجّاً مبروراً وسعياً مشكوراً وعملاً صالحاً مقبولاً ومغفرةً لذنوبنا ، ونسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة فى الدنيا والآخرة .

اللَّهُمَّ اغفر لنا ولجميع المسلمين إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

---

(١) سورة الحج : ٣٢

بسم الله الرحمن الرحيم

كل فرد من المسلمين جزء منهم

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١) . . والعاقبة للمتقين (٢) ولا عدوان إلا على الظالمين (٣) .

وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد . .

فأُوصيكم وإياى بتقوى الله ، اتقوا ربكم وراقبوه فإنكم فى قبضته وتحت قهره وخاضعون لإرادته ، لا مَفَرَّ منه ولا ملجأ إلا إليه ، اصدقوا مع الله فى الأقوال والأفعال ، وتمسَّكوا بكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ ففيهما السعادة والعِزَّة والنجاة ، واعلموا أنَّ الله يعلم سرائركم كما يعلم ظواهركم لا تخفى عليه منكم خافية .

إنَّ كل فرد من المسلمين جزءٌ من هذه الأُمَّة المسلمة يهتم بأُمورها ، ويحافظ على كرامتها وسيادتها ، ويتأثر بالمؤثرات فيها ، فرحاً أو حزناً ، وكل فرد منها يعتبر حارساً لها ، فيجب التعاون والتضافر ، وحرص كل فرد ألَّا يؤتى

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) إشارة إلى الآية ١٢٨ من سورة الأعراف .

(٣) إشارة إلى الآية ١٩٣ من سورة البقرة .

الإسلام والمسلمون من جهته : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحُمَّى » (١) ، « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » (٢) ، « ليس منا من لم يهتم بأمور المسلمين » ، « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » (٣) .

وصَلُّوا على البشير النذير .....

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٤) .

* * *

(١) رواه مسلم فى صحيحه ، وأحمد فى مسنده ، عن النعمان بن بشير ، وذكره السيوطى فى الجامع الصغير برقم (٨١٥٥) ورمز له بالصحة .

(٢) رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما ، والترمذى والنسائى فى سننهما ، عن أبى موسى ، وذكره السيوطى فى الجامع الصغير برقم (٩١٤٣) ورمز له بالصحة .

(٣) رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما ، وأحمد فى مسنده ، كما رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه ، عن أنس ، وذكره السيوطى فى الجامع الصغير برقم (٩٩٤٠) ، ورمز له بالصحة .

(٤) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

١٤ - عند بيت الله تُحَطّ الآثام [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣ ﴾ [٢] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، الملك الحق المبين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين .

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فإن تعاليمَ الإسلام لها نفوذٌ روحانىٌ إلى القلوب الواعية ، كنفوذ الماء وتأثيره فى الأرض الطيبة الصالحة للنبات ، يُرويها ويُحييها ويُكسبها نضرةً ورواءً ، تتفتح أزهارُها ، وتَخرُج ثمارُها .

وإن الحج والعُمْرة لهما أثر عظيم فى النفوس الطيبة ، ولهما تأثيرٌ فى سلوك المسلم الفاهم الواعى ، فقد جمعا بين أنواع العبادة الثلاثة ، فهما عبادةٌ روحيةٌ ماليةٌ بدنيةٌ ، وفيهما تتجلى آثار الإيمان وتظهر معالمُ الطاعة والانقياد لله تبارك وتعالى .

فالحاجُ يتحمل التعبَ والمشقةَ والفُرْقةَ وبذلَ المال فى سبيل الله رغبةً فى

---

(١) ألقيت يوم ١١/١١/١٣٩٨ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢ - ٣

الوصول إلى بيت الله والمشاعر المطهَّرة تنفيذاً لأمر الله لأداء فريضة الله ، حتى إذا وصل إلى هذه الرحاب الطاهرة والمشاعر المقدَّسة وتذوَّق طعم مناجاة الله عند بيت الله ، وحطَّ أثقاله من الذنوب والآثام فى رحاب أرحم الراحمين ، وأراق دموع الندم على إهماله وتفريطه فى جنب الله ، وطلب الإقالة والمغفرة من الله ، وخلعَ ثوب المعصية ولَبس حُلَّة التوبة طاهراً نقياً نظيفاً ، وتذكر قول الله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (١) ، حينئذ تحسُ نفسُ المؤمن بالفخر والعزَّة ، وتتشوَّق إلى منزلة أعلى ، ومكانة فى العبودية أفضل ، يتشوَّق إلى القُرْب من رب البيت ، يتشوَّق إلى رؤية رب الكعبة ورب محمد ﷺ . وهذا الشعور وهذا التشوق يُغيِّر مجرى حياة المسلم من الغفلة إلى اليقظة ، ومن الانحراف إلى الاستقامة ، ومن المعصية إلى الطاعة ، يُغيِّر مجرى حياة المؤمن من الطُّرق المظلمة المنحرفة إلى صراط الله المستقيم ، إلى طريق الله النيِّر المبين ، فيرجع إلى بلاده بقوة إيمان وثبات على فضائل الإسلام ، يرجع بعهد بَيْنه وبين ربه ألا يعود فى معصيته ، يرجع بعزيمة صادقة ألا يخرج من صراط الله المستقيم .

أخى المسلم ؛ إنَّ الحج يشتمل على مصالح عامة للمسلمين ، فى أُمور الدنيا والدين ، فهو تجمع إسلامى سنوى مفتوح لجميع الأجناس والطبقات من جميع أهل الأقاليم والقارات : ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ (٢) ففى هذه الأيام يتحرك الشعور الإسلامى فى نفس كل مسلم ويتشوَّق إلى حَجِّ بيت الله

---

(١) سورة الزمر : ٥٣

(٢) سورة الحج : ٢٧ - ٢٨

الحرام إجابة لهذا النداء الخالد ، فيفدُ إلى هذه البقاع المقدَّسة مَنْ قَدَّر اللهُ له زيارة بيته ، لَبَّيْك اللَّهُمَّ لَبَّيْك ، لَبَّيْكَ لا شريك لك .

يجب على قاصد بيت الله أن يعلم أنه متوجه إلى الله ، فيجب أن يُعَلِّق قلبه بالله ، وأن تكون مناجاته مع الله ، ودعواته وطلب حاجاته من الله وحده دون مَن سواه ، فهو سبحانه مجيبُ الدعوات ، وهو قاضى الحاجاتِ ، وهو سبحانه وحده كاشفُ الكربات ، وعالمُ الخفيَّات ، وأما مَن سواه فكلهم خلقه وعبيده ، فقراء إليه ، لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله .

فالتزم أيها الحاج جانب الأدب مع الله فى بقاعه المقدَّسة وفى مهابط وحيه ، لا تصرف شيئاً من حق الله إلى غيره ، إذا استعنتَ فاستعن بالله وإذا سألتَ فاسأل الله ، ولا تطلب المدد والغوث إلا من الله ، فهو الذى بيده نفعك وضرك ، وبيده حياتك وموتك ، وبيده سعادتك وشقاوتك ، وبأمره صحتك ومرضك ، فاتق الله حيثما كنت ، وكن مسلماً حقاً فاهماً لدينك وشريعة نبيك محمد ﷺ .

يجب على من فَرَض الحجَّ أن يتجنب حال الإحرام ثلاثة أُمور ، وهى : الرَّفث ، والفسوق ، والجدال . .

فأما الرَّفَث : فهو الجِماع ودواعيه ، فإن الجِماع مفسدٌ للحج والعُمْرة ، وموجب للمضى فى الفاسد وقضائه .

وأما الفسوق : فهو الخروجُ عن الطاعة ، ويدخل تحته جميع محظورات الإحرام ومفسداته ، كما يدخل تحته جميع المعاصى والمنكرات ، فيحرم اقتراف شىء من الآثام كالمسكرات والمخدرات والملاهى المحرَّمات والكذب والغش والخداع والزنا واللُّواط وأكل أموال الناس بالباطل . . . وما إلى ذلك مما حرَّمه الإسلام .

وأما الجدال : فهو المراء والمفاخرة ، والتَّعَنُّت سواءً فى مسائل العلم والدين أو فى أُمور الدنيا ، لأن الجدال يُورث الشحناء والخلاف والشقاق والفُرْقة ، وهذا لا يتفق مع مقاصد الحج ومحاسنه ، فإنه يدعو إلى التآخى والتعارف والتعاون والتكاتف ، ولا يكون الحج مبروراً إلا إذا كانت أعماله كاملة تامة ، خالٍ من الرَّفث والفسوق والجدال .

فاحرص أيها الحاج على أن تكون عُمْرتك وحَجّك مبروراً .

« الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنَّة » (١) ، « مَن حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أُمه » (٢) .

اللَّهُمَّ إنَّا نسألك حجاً مبروراً ، وذنباً مغفوراً ، وعملاً صالحاً مقبولاً .

اللَّهُمَّ إنَّا نسلك العفو والعافية والمعافاة الدائمة فى الدنيا والآخرة .

أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لى ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

* *

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير عن ابن عباس ، وأحمد فى المسند عن جابر بن عبد الله ، وذكره السيوطى فى الجامع الصغير برقم (٣٧٩٣) ، ورمز له بالصحة .

(٢) رواه أحمد فى المسند ، والبخارى فى صحيحه ، والنسائى فى السنن الكبرى ، وابن ماجه فى سننه ، وذكره السيوطى فى الجامع الصغير برقم (٨٦٣٦) ، ورمز له بالصحة .

بسم الله الرحمن الرحيم

تؤخذ أعمال الحج من كلام الرسول ﷺ

(الخطبة الثانية)

الحمد لله الواحد المعبود ، واسع الفضل والجود .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، خلق فقدر ، وشرع فيسر .

وأشهد أنَّ نبينا محمداً عبده ورسولهُ وخيرته من خلقه .

صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسَلَّم تسليماً كثيراً .

أما بعد . .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ (١) .

أيها المسلمون ؛ إن للحج والعُمْرة أعمالاً وصفات لا بد من أدائها كما وردت عن النبى ﷺ ، حيث قال : « خذوا عنى مناسككم » (٢) ، فيجب على الحاج أن يتعرف على أعمال نُسُكه من أهل العلم والمعرفة ، وقد جعلت حكومة هذه المملكة أعزَّها الله فى الحرمين الشريفين وفى كل ميقات من مواقيت الإحرام علماءَ يرشدون الناس ويُعلِّمونهم أعمال نُسُكهم ويُوجهونهم إلى الطريق الصحيح : ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٣) ، ولا تأخذ أيها الحاج قول كل واحد ، فمن الناس مَن يكون غير مبال بحجك ، إنما همه دنياه ، ومنهم مَن يكون مخطئاً ، ومنهم الجاهل بأعمال الحج .

---

(١) سورة الأحزاب : ٧٠ - ٧١

(٢) رواه أبو داود فى سننه .

(٣) سورة النحل : ٤٣

فأعمال العُمْرة هى : الإحرام من الميقات لمن مَرَّ عليه أو حاذاه ، أما مَن كان دون الميقات فمن مكانه من الحِلِّ ، واجتناب محظورات الإحرام ، والطوافُ بالكعبة المشرَّفة سبعةَ أشواط ، والسعىُ بين الصفا والمروة سبعة أشواط ، الذهاب سعيةٌ والإياب سعيةٌ أخرى ، وحلقُ شعر الرأس للذكر أو التقصير له وللمرأة .

أما أعمال الحج فهى : الإحرام من الميقات لمن مَرَّ عليه أو من محاذاته ، ومَن كان دونه فمن مكانه حتى أهل مكة من منازلهم ، واجتنابُ محظورات الإحرام ، والوقوفُ بعَرَفة يوم التاسع من شهر ذى الحجة حتى غروب الشمس ، والمبيت بمزدلفة ليلة العيد ، ليلة العاشر من ذى الحجة ، ورمىُ جمرة العقبة يوم النحر بسبع حصيات ، وطوافُ الإفاضة بالبيت ، والسعىُ بين الصفا والمروة ، وحلق شعر الرأس ، ونحرُ هَدْى التمتع ، والمبيتُ بمِنَى ليلتى اليوم الأول والثانى من أيام التشريق ، ورمىُ الجمرات الثلاث فى أيام التشريق بعد الزوال ، كلَّ واحدة بسبع حصيات ، يبدأ بالأولى وهى التى تلى مسجد الخِيف فى مِنَى ، ثم الوسطى ، ثم جمرة العقبة تكون هى الأخيرة فى اليوم الثانى والثالث ، وأخيراً طوافُ الوداع لمن أراد السفر من مكة .

فالحمد لله الذى شَرَّع فيَسَّر ، وخلَق فقَدَّر .

وصلُّوا على البشر النذير ، فقد أمرنا الله بذلك فى كتابه المنير ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم وبارك وأنعم على عبدك ورسولك نبينا محمد صاحب

---

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

المقام المحمود والحوض المورود ، وارض اللَّهُمَّ عن الخلفاء الراشدين : أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلىّ ، وعن بقية الصحابة أجمعين ، وزوجات نبيك أُمهات المؤمنين ، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ..... إلى آخر الدعاء .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

١٥ - اجتناب الرَّفَث فى الحج [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [٢] . . جعل الإيمان لعباده حرزاً وحصناً ، وجعل البيت العتيق مثابة للناس وأمناً .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، هدانا للإسلام رحمةً منه وفضلاً .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله بعثه رحمةً للعالَمين مُعَلِّماً ، ولمكارم الأخلاق متمماً .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان واقتفى .

أما بعد . .

فإن حال المسلم إذا كان فى عبادة يناجى الله غيرُ حاله إذا كان فى أعماله ، ففى حال العبادة ومناجاة الله ينبغى أن يكون على أكمل الآداب وأفضل الأخلاق وأجمل الأحوال ، لا سيما فى جوار بيت الله الحرام وفى مشاعر الحج الذى هو ركن من أركان الإسلام ، حيث يكون العبد مقبلاً على الله ، متجرداً من عاداته ، متقشفاً فى كل أحواله ، مُبتعداً عن المفاخرة والمباهاة ، متجنباً الفوارق والمميِّزات .

---

(١) ألقيت يوم ٢٩/ ١١/ ١٤١٠ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

قال تبارك وتعالى : ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ﴾ (١) .

نصت الآية الكريمة على نفى الأنواع الثلاثة حال الإحرام مع وجود محظورات أُخرى ، لأن هذه الثلاثة هى أصول الممنوعات فى الإحرام ، وهى أساس الخبث والشر ، ولأن الاختلاط والتجمعات فى المشاعر مظنَّة لوجودها ، وجاء التنصيص عليها بصيغة النفى : ﴿ فلا رفث ﴾ لبيان أنَّ الشرع حَرَّم وجودها حال الإحرام ، أى لا توجد مشروعةً ، فإن وُجِدَت محسوسة فهو على خلاف الشرع كقوله تعالى ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ (٢) : أى فى حكم الشرع ، وقد يمسه غير متطهر على خلاف الشرع .

وفى إيراد النص بصيغة النفى للمبالغة فى النهى والتأكيد على أن ذلك حقيق ألا يكون ، فإن ما كان منكراً مستقبحاً فى ذاته ، ففى حال الإحرام بالحج أقبحُ ، كلُبس الحرير والذهب للرجل فى الصلاة .

فمعنى الآية الكريمة على هذا : ﴿ فلا رفث ﴾ : أى لا تَرْفثوا ولا تفسقوا ، ولا تجادلوا ، كقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ (٣) : أى لا ترتابوا فيه .

والآداب تختلف باختلاف الزمان والمكان .

فإذا كان المرء فى ملإٍ فله آداب تتميز عن آداب الخلوة مع الأهل والأولاد ، ويُقال فى مجلس الإخوان ما لا يُقال فى مجلس السلطان ، فلكل مقام مقال ، وأعلى مقامات العبد إذا كان فى عبادة الله بالقُرب من بيت الله وحرمه ، وفى

---

(١) سورة البقرة : ١٩٧

(٢) سورة الواقعة : ٧٩

(٣) سورة البقرة : ٢

مشاعره المطهَّرة ، يناجى ربه ويُوحِّده ويُعظِّمه ويُقدِّسه ويُلَبِّى نداءه ، فيجب أن يكون المسلم فى تلك الحال على أحسن الآداب ، وأكمل الأخلاق ، وأتم الخضوع لله والانقياد ، بقى أن يعرف معنى الرَّفَث والفسوق والجدال ليجتنبها .

فالرَّفَث : هو الجماع ودواعيه ، كما قال سبحانه : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴾ (١) .... الآية ، فيدخل فى مسمى الرَّفَث الجِماع ودواعيه من القُبْلة والمباشرة والتَّحدُّث بها فى حضرة النساء .

وقد يأتى الوسواس إلى الحاج ، فيقول له : جامِع امرأتك وأنت مُحْرِم فى تلك المشاعر لتحصل البركة ، وهذه دسيسة من إبليس ليوقعه فى معصية الله ، فالبركة لا تُنال بما حرَّم الله ورسوله ، وإنما تكون فيما أحَلَّ الله ورسوله ، والجِماع حال الإحرام مُحَرَّم ، فمَن جامع وهو مُحْرِم قبل التحلل الأول فأولج - سواء أنزل أم لم ينزل - فقد عصى ربه وأطاع هواه وترتب عليه أربعة أشياء : فسد حجه ، وعليه بَدَنة ، ويلزمه المضى فى ذلك الحج الفاسد فيعمل ما يعمل الناس ، ويقضيه من العام المقبل . فمَن لم يجد بَدَنَة فبقرةً أو سبعَ شِياه ، فمَن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله .

أما إن جامَعَ بعد التحلل الأول ، فقال البعض : لزمه ذبح شاة ، وبعضهم قال : بَدَنة ، لكن إن لم يكن طاف طواف الإفاضة أحرم من الحِلِّ وطاف ليكون طواف الإفاضة فى إحرام صحيح .

والتحلل الأول يكون يومَ العاشر من شهر ذى الحجة بعد العودة إلى مِنَى من عَرَفات ومزدلفة إذا فعل شيئين من ثلاثة وهى : رمى جمرة العقبة ، والحلق أو التقصير ، وطواف الإفاضة ، فإذا فعل شيئين منها حَلَّ التحلل

---

(١) سورة البقرة : ١٨٧

الأول وحَلَّ ما كان محظوراً عليه إلا الجِماع ، فإذا أتى بالثلاثة كلها حَلَّ الحل كله وحَلَّ له كل ما كان ممنوعاً منه للإحرام .

أما إن باشر بأن قَبَّلَ أو ضَمَّ أو لمس قبل التحلل الأول ، فإن أنزل فعليه بَدَنة وحَجّه صحيح ، وإن لم ينزل فعليه شاة .

وأما الفسوق : فهو الخروج من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ ، وهو مُحْرِم وقت الإحرام وغير الإحرام فى المشاعر وغيرها ، لكن حال الإحرام آكد .

فيدخل تحت مسمى الفسوق جميعُ المعاصى كبيرها وصغيرها ، فمحظورات الإحرام كلها من الفسوق ، ودعاء غير الله ، والاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله ، وطلب الغوث والمدد من غير الله حياً كان أو ميتاً ، وطلب الولد ، وتسهيل الأمور من غير الله كلها من الفسوق .

والجدال : هو المغالبة فى أمر من الأُمور ، فيدخل تحته الخلافُ والشِقاق على المنازل وعند الماء وعند الجمرات وعند مقاعد السيارات .

والحج المبرور هو الذى يُطاع الله فيه ولا يُعصى . روى الإمام البخارى رحمه الله عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أُمه » (١) : أى ليس عليه ذنب » .

ولما نهى الله تعالى عما لا يليق حال الإحرام ، أخبر بأن عمل الخير موكول إليه يعلمه ويُثيب عليه : ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ (٢) ومع

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه ، وأحمد فى مسنده ، والنسائى وابن ماجه فى سننهما ، وذكره السيوطى فى الجامع الصغير برقم (٨٦٢٦) ورمز له بالصحة .

(٢) سورة البقرة : ١٩٧

أن الله تعالى يعلم الخير والشر ونص على علم الخير تنبيهاً بأنه يشكر الخير ويُظهره ويُثيب عليه ، ويستر الشر ويغفره .

فاتقوا الله أيها المؤمنون واشكروه على هدايته وتيسيره .

اللَّهُمَّ لك الحمد ربنا على الجود والإحسان .

اللَّهُمَّ أعِنَّا على شكرك وعلى ذكرك وحسن عبادتك ، ووفقنا للعمل بأوامرك واجتناب نواهيك ، ونسألك حُسْن الأدب فى جوار بيتك ، وجوار رسولك محمد ﷺ .

ونسألك حَجّاً مبروراً ، وعملاً صالحاً مقبولاً ، وإعانة منك وتوفيقاً ، وتيسيراً وتسهيلاً ، ورحمة ورضواناً .

اللَّهُمَّ اغفر لنا ولآبائنا وأُمهاتنا ولجميع المسلمين . . إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

بسم الله الرحمن الرحيم

ماذا يجب على المسلم إذا دخل العشر

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم نلقاه .

أما بعد . .

فأُوصيكم وإياى بتقوى الله ، فما خاب مَن اتقى ، وما أفلح مَن اتبع الهوى .

ثم أُذَكِّركم إخوتى فى الله بما رواه الإمام مسلم فى صحيحه عن أُم المؤمنين أُم سَلَمة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « إذا دخل العشر - أى عشرُ ذى الحجة - وأراد أحدكم أن يُضَحِّى فلا يمس من شعره وبَشَره شيئاً » ، وفى رواية : « حتى يُضَحِّى » (٢) .

قال النووى رحمه الله : والمراد بالنهى عن أخذ الظُّفُر والشَّعر : النهىُ عن

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) مسلم : ٣/١٥٦٥ : الأضاحى (٤٠) ، وأحمد : ٦/٢٨٩ : التراث ، والبيهقى : ٩/٢٦٦

إزالة الظُّفُر بِقَلْمٍ أو كسرٍ أو غيره ، والمنعُ من إزالة الشعر بحلق أو تقصير أو نتف أو إحراق أو أخذه بنوره - أو بأى مزيل آخر - وسواءً شعرُ الإبط والشارب والعانة والرأس وغير ذلك من شعور بدنه . وحكم أجزاء البدن كلها حكمُ الشعر والظفر ، تشبُّهاً بالمُحْرِم فى بعض محظوراته .

وصَلُّوا على البشير النذير . . . . . .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

* * *

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

١٦ - تشوق المسلم لمعرفة حَجَّة النبى ﷺ (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) . . والعاقبة للمتقين .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، الملك الحق المبين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين .

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فإن المسلم يتشوَّق إلى معرفة دينه وهَدْى نبيه محمد ﷺ ، ويتطلعُ إلى ما يُقَرِّبه إلى ربه ليكون على بصيرة فى صلته بربه وعلى منهج قويم فى عباداته .

والمسلم يعلم حقاً أن أقوم طريق يوصل إلى الله تعالى ، وأن أعظم وسيلة تُقَرِّب إليه سبحانه هو طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ : ﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ (٣) ، ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ (٤) .

وإن المسلمين فى أشهر الحج المباركة إذ يتهيئون لحج بيت الله الحرام ، أشد تشوقاً إلى معرفة صفة حَجَّة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ليحصل لهم

---

(١) ألقيت يوم ٦/ ١١/ ١٣٩٦ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) سورة النساء الآية : ٨٠ ، وتمامها : ﴿ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً ﴾ .

(٤) آل عمران الآية : ٣١ ، وتمامها : ﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ، وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

إصابة الاقتداء به ، وثواب الاهتداء بهَدْيه ، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

لقد حَجَّ صَلَّى الله عليه وسلم بعد الهجرة وبعد ما فُرِضَ الحج حَجَّة واحدة وهى حِجَّة الوداع ، فخرج من المدينة قاصداً الحجَ فى آخر شهر ذى القعدة سنة عشر من الهجرة (١) .

فأحرم من ذى الحليفة قارناً وساق معه الهَدْى ولبَّى فقال : « لَبَّيْك اللَّهُمَّ لَبَّيْك ، لَبَّيْك لا شريك لك لَبَّيْك ، إنَّ الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » ، فلما دخل - صلى الله عليه وسلم - المسجد الحرام قصد البيت حتى إذا حاذى الحجر السود استلمه ، وطاف بالكعبة سبعة أشواط وكان يقول بين الركن اليمانى والحجر الأسود : ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ (٢) وكلما حاذى الحجر الأسود أشار إليه أو استلمه بالمحجن وقبَّله ، فلما فرغ من طوافه صَلَّى خلف المقام ركعتين ، ثم خرج إلى الصفا ، فرقى عليه حتى رأى البيت فاستقبله وقال : « لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير ، لا إلَه إلا الله وحده ، أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده » ، ثم دعا ، كرر ذلك ثلاث مرات ، ثم نزل إلى المروة ، فلما انصب فى الوادى أسرع حتى جاوزه ، فلما وصل إلى المروة رقى عليها واستقبل البيت ، وفعل كما فعل على الصفا ، وكان صلى الله عليه وسلم خَيَّرَ أصحابه عند الإحرام بين الأنساك الثلاثة ، ثم ندبهم فى الطريق إلى جعلها عُمْرة ، فلما أكمل سعيه عند المروة ، أمر مَن لا هَدْى معه أن يجعلها عُمْرة ويتحلل الحل كله .

---

(١) زاد المعاد : ٢/ ١٠١ ، حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه .

(٢) سورة البقرة : ٢٠١

وقال صلى الله عليه وسلم : « لو استقبلتُ من أمرى ما استدبرت لما سُقت الهَدْى ولجعلتها عُمْرة » (١) .

فلما كان اليوم الثامنُ من ذى الحجة أحرم مَن كان حَلَّ من مكانه ، وخرج صلى الله عليه وسلم ومعه المسلمون إلى مِنَى وبات فيها ، فلما طلعت الشمس يوم التاسع سار من مِنَى إلى عرفة ، وكان من أصحابه الملبِّى ، ومنهم المكبِّر ، وهو يسمع ذلك ولا ينكر .

فلما وصل إلى نمرة نزل بها ، فلما زالت الشمس ركب ناقته حتى أتى وادى عُرنة فخطب الناس فقرَّر قواعد الإسلام ، وهدم قواعد الشِّرك ، وأبطل أعمال الجاهلية ، وقرر تحريم الدماء والأعراض والأموال ، وأوصى بالنساء خيراً ، وذكر الحق الذى لهن والحق الذى عليهن ، وأمر بالاعتصام بكتاب الله تعالى ، وأخبر بأنهم لن يضلوا ما داموا معتصمين به ، واستشهد الناس على تبليغ الرسالة وأداء الأمانة والنُصْح للأُمَّة ، فشهدوا له فأشهد الله عليهم ، فلما أتم خُطبته - عليه الصلاة وأزكى السلام - أمر بلالاً فأذَّن ، ثم صَلَّى الظهر والعصر جمعاً وقصراً ، فلما فرغ ركب ناقته حتى أتى موقفه فى ذيل الجبل عند الصخرات وقال : « وقفت ههنا وعَرَفة كلها موقف » ، وأمرهم بالارتفاع عن بطن عُرنة ، وأخذ - صلى الله عليه وسلم - فى الدعاء والتضرع والابتهال إلى الله ، رافعاً يديه كاستطعام المسكين وهو مستقبل القِبْلة ، وكان من دعائه يوم عَرَفة : « لا إلَه إلا الله وحد لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، بيده الخير وهو على كل شىء قدير » ، فلما غربت الشمس أفاض من عَرَفة يُلَبِّى ويأمر بالسكينة والهدوء ، فلما وصل إلى مزدلفة صَلَّى بها

---

(١) جزء من حديث رواه أبو داود فى باب « صفة حَجَّة النبى ﷺ » ، عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه ، وفى الباب عن عائشة رضى الله عنها .

المغرب والعشاء جمعاً وقصراً ثم نام ، وأذن لضعفة الناس بالانصراف من مزدلفة عند غياب القمر تلك الليلة ، فلما طلع الفجر صَلَّى الصبح فى أول الوقت ثم ركب حتى أتى موقفه عند المشعر الحرام فاستقبل القِبْلة وأخذ فى الدعاء والتضرع والتكبير والتهليل والذِكْر حتى أسفر جداً ، وقال : « وقفت ههنا ومزدلفةٌ كلها موقف » ، ثم سار إلى مِنَى ، وأمر عبد الله بن عباس أن يلتقط له حصى الجمار ، فأخذ سبع حصيات من حصى الخذف فجعل صلى الله عليه وسلم ينفضهن فى كفه ويقول : « بمثل هؤلاء فارموا وإياكم والغلو فى الدين ، فإنما أهلك مَن كان قبلكم الغلوُ فى الدين » ، وكان يُلَبِّى فى طريقه حتى أتى جمرة العقبة بعد طلوع الشمس يوم العيد ، فرماها بسبع حصيات الواحدة تلو الأُخرى يُكَبِّر مع كل حصاة ، ثم رجع إلى مِنَى ، وخطب خطبة عظيمة بليغة ، فتح الله لها أسماع الناس حتى سمعه جميع أهل مِنَى فى منازلهم ، وقال فى خطبته : « اعبدوا ربكم ، وصَلُّوا خمسكم ، وصوموا شهركم ، وأطيعوا ذا أمركم تدخلوا جنَّة ربكم » ، وبيَّن حُرْمة يوم النحر وفضله عند الله تبارك وتعالى ، وحُرْمة مكة على جميع البلاد ، ثم انصرف إلى المنحر فنحر هَدْيه ، وقال : « نحرت ههنا ومِنَى كلها منحر ، وفجاج مكة كلها طريق ومنحر » ، فلما كَمُلَ نحرُ هَدْيه حَلَقَ رأسه ، ثم أفاض إلى مكة قبل الظهر يوم العيد ، فطاف طواف الإفاضة ثم رجع إلى مِنَى فبات بها ، فلما أصبح انتظر زوال الشمس ، فلما زالت نزل إلى الجمار فبدأ بالأُولى وهى التى تلى مسجد الخَيْف فرماها بسبع حصيات واحدة بعد واحدة ، يُكَبِّر مع كل حصاة ، ثم تقدَّم إلى الجمرة الثانية وهى الوسطى فرماها بسبع كذلك ، ثم تقدَّم إلى الجمرة الثالثة وهى العقبة فرماها بسبع حصيات يُكَبِّر مع كل حصاة .

ولم يتعجَّل - صلى الله عليه وسلم - بل أكمل أيام التشريق الثلاثة يرمى الجمرات الثلاث فى كل يوم بعد الزوال ، ثم أفاض إلى مكة وطاف طواف

الوداع ثم ارتحل راجعاً إلى المدينة . قد بيَّن لأُمته أعمال الحج وشرَّع لهم وأوصاهم ورغَّبهم وأمرهم ونهاهم ، قد أكمل الله له ولأُمته دينهم وأتم عليهم نعمته ورضى لهم الإسلام ديناً : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (١) .

اللَّهُمَّ انفعنا بالقرآن العظيم وبهَدْى رسولنا الأمين .

اللَّهُمَّ إنَّا نسألك الهداية والقول السديد ، ونسألك التوفيق والعمل الرشيد ، ونسألك الفوز والنجاة يوم الوعيد ، واغفر لنا ولجميع المسلمين الأحياء والميتين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

(١) سورة المائدة : ٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الأنساك الثلاثة

(الخطبة الثانية)

الحمد لله الذى هدانا للإسلام . . وما كنا لنتهدى لولا أن هدانا الله [١] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وخِيرته من خلقه .

صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً .

أما بعد . .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [٢] .

لقد سمعنا فى صفة حَجَّة النبى ﷺ أنه خيَّرَ أصحابه عند الإحرام بين الأنساك الثلاثة ، وهى التمتع والإفراد والقران ، فكان منهم مَن أهَلَّ بعُمْرة ، ومنهم مَن أهَلَّ بحَجٍّ وعُمْرة ، ومنهم مَن أهَلَّ بحَجٍّ ، ثم أمر صلى الله عليه وسلم مَن لم يكن معه هَدْى أن يتحلل بعُمْرة ، ولم يقل : إن مَن أحرم مفرداً أو قارناً فحَجُّه باطل ، فدلَّ ذلك على أنه نقلهم إلى الأفضل والأسهل ، لذلك أجمع أهل العلم على جواز الإحرام بأى واحد من الأنساك الثلاثة ، وإنما اختلفوا فى أيها أفضل .

---

(١) إشارة إلى الآية ٤٣ من سورة الأعراف .

(٢) سورة الأحزاب : ٧٠ - ٧١

وصَلُّوا على الهادى البشير ، فقد أمرنا الله بذلك فى كتابه المنير فقال سبحانه :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

* * *

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

١٧ - صفة التمتع فى الحج [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الحمد لله رب العالمين ۝١ الرحمن الرحيم ۝٢ مالك يوم الدين ۝٣ ﴾ [٢] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له . . خَلَقَ فقدَّرَ وشَرَّعَ فيَسَّر .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أرسله شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً [٣] .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فأُوصيكم أيها المسلمون بتقوى الله . . أُوصيكم يا حُجَّاج بيت الله الحرام بتقوى الله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝٣ ﴾ [٤] .

اتقوا الله أيها المسلمون : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ [٥] .

---

(١) ألقيت يوم ٢٣/ ١١/ ١٤٠٥ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢ - ٤

(٣) إشارة إلى الآية ٤٦ من سورة الأحزاب .

(٤) سورة الطلاق : ٢ - ٣

(٥) سورة الطلاق : ٤

اتقوا الله يا عباد الله : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ (١) .

ثم اعلموا أن العمل لا يكون مقبولاً عند الله إلا بشرطين :

الأول : أن يكون العمل خالصاً لوجه الله تعالى من جميع الشوائب والمقاصد الدنيوية ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمَن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومَن كانت هجرته إلى دنيا يُصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه » (٢) (رواه البخارى ومسلم) .

الشرط الثانى لقبول العمل : أن يكون موافقاً لهَدْى نبينا محمد ﷺ ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « مَن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » . وفى رواية : « مَن أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » . . فلا يكون العمل مقبولاً عند الله إلا إذا كان خالصاً لله وموافقاً لسُنَّة نبينا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

فيا أيها الحاج الكريم ، إنك قد خرجت من بلادك قاصداً بيت الله للحج ولزيارة مسجد رسول الله ﷺ ، فأنت فى طاعة الله فاخلص هذه العبادة لله ، واحذر كل الحذر أن يدخل عليها ما يُخل بصفائها وإخلاصها ، واحرص على أن تكون أعمالك موافقة لسُنَّة نبينا محمد ﷺ : ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٣) .

والأنساك - أيها الحاج - ثلاثة ، كلها جائزة - إن شاء الله - باتفاق الأئمة الأربعة ، وإنما اختلفوا فى أيها أفضل ، وهى : التمتع ، والإفراد ، والقِران .

---

(١) سورة الطلاق : ٥

(٢) البخارى : ١/ ٢١١ ، كتاب الإيمان ، باب : ما جاء أن الأعمال بالنيات رقم (١) بلفظ مقارب ، بدون شرح .

(٣) سورة النحل : ٤٣ ، وسورة الأنبياء : ٧

وأفضلها التمتع ، لأن النبى ﷺ ندب مَن كان مفرداً أو قارناً وليس معه هَدْى أن يتحلل إلى عُمْرة فيكون متمتعاً .

وصفة التمتع : أن تُحْرِم أيها الحاج من الميقات بالعُمْرة فتقول : لَبَّيْك عُمْرة متمتعاً بها إلى الحَجِّ ، فإذا وصلت إلى الكعبة طفتَ بها سبعة أشواط وأنت على طهارة ، ثم تسعى بين الصفا والمروة ، ثم تحلق أو تقصر من شعر رأسك ، وقد حليت إذاً من العمرة وتبقى فى مكة المشرَّفة حتى اليوم الثامن من ذى الحجة فتحرمُ بالحج من منزلك أو من أى مكان ، فتقول : لَبَّيْك حَجّاً وتقف بعرفات يوم التاسع حتى غروب الشمس ، ثم تبيت بمزدلفة ليلة العاشر من ذى الحجة ، ثم تنصرف إلى مِنَى ، وإذاً أمامك أيها الحاج ثلاثة أشياء بأيها بدأتَ فلا حَرَج ، وهى : رمىُ جمرة العقبة بسبع حصيات على قدر الحمص الواحدة تلو الأخرى تُكَبِّر مع كل حصاة ، والحلق أو التقصير - والحلق أفضل ، وطواف الإفاضة ويسمى طواف الزيارة وهو ركن من أركان الحَجّ ، ويزيد المتمتع والقارن ذبح ما استيسر من الهَدْى ، فإذا فعلتَ أخى الحاج فى ذلك اليوم اثنين من الثلاثة - بأن رميت العقبة وحلقت رأسك - فقد تحللّت التحلل الأول ويَحل لك كل شىء حُرِّم بالإحرام إلا النساء ، فإذا فعلت الثلاثة كلها بأن رميتَ وحلقتَ وطفتَ بالبيت سبعاً وسعيتَ بين الصفا والمروة فقد حَلَّ لك كل شىء حتى النساء ، إلا مَن ساق معه هَدْياً فلا يحل حتى ينحر هَدْيه .

والمتمتع والقارن إذا لم يجد هَدْياً صام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله ، ويُستحب أن تكون السابع والثامن والتاسع ، وأيام مِنَى لمن تأخر ثلاثة ، ولمن تعجَّل يومان ، الأول يومُ القَرّ وهو الحادى عشر من ذى الحجة يرمى الجمرات الثلاث ابتداءً من الأولى وهى التى تلى مِنَى ، ثم الوسطى ثم العقبة التى رماها يوم العيد تكون آخرها ، يرمى كل واحدة بسبع حصيات على قدر الحمص الواحدة تلو الأخرى يُكَبِّر مع كل حصاة .

والثانى من أيام مِنَى يومُ النفر الأول وهو الثانى عشر من ذى الحجة تُرمى فيه الجمرات الثلاث .

والثالث - لمن تأخر - يومُ النفر الثانى وهو اليومُ الثالث عشر تُرمى فيه الجمرات الثلاث ، وبهذا قد انتهت أعمال الحج .

أما الإفراد : فهو الإحرام بالحَجِّ وحده ، فيقول : لَبَّيْك حَجّاً ، ويبقى فى إحرامه حتى ينتهى من أعمال الحَجّ على تقدم .

وأما القران : فهو أن يقرن بين الحَجِّ والعُمْرة فى إحرام واحد ، فيقول : لَبَّيْك حَجّاً وعُمْرة ، فإذا طاف وسعى للعُمْرة بقى فى إحرامه حتى ينتهى من أعمال الحج على ما تقدَّم ذكره فى التحلل الأول والثانى .

والمرأة إذا أحرمت بالعُمْرة متمتعة ثم طرقها الحيض وضاق الوقت أدخلت الحَجَّ على العُمْرة ، فكانت قارنة تفعل ما يفعل الحاج إلا أنها لا تطوف بالبيت حتى تطهر وتغتسل .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (١) .

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

اللَّهُمَّ اهدنا الصراط المستقيم .

اللَّهُمَّ إنَّا نسألك حَجّاً مبروراً ، وعملاً صالحاً مُيَسَّراً مقبولاً .

اللَّهُمَّ اهدنا بالهُدَى ، وقنا بالتقوى ، واغفر لنا فى الآخرة والأولى .

اللَّهُمَّ اغفر لجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

(١) سورة البقرة : ٢٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

محظورات الإحرام

(الخطبة الثانية)

الحمد لله . . لا نُحصى ثناءً على الله .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه وسَلِّم تسليماً كثيراً .

أما بعد . .

فإنك أيها الحاج إنما خرجتَ من أهلك وولدك وأنفقتَ ما شاء الله من مالك تريد طاعة الله ، وامتثال أوامر الله ، واستجابة داعى الله ، فأنت فى عبادة الله ، فأخلص عملك كله لله ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، وإذا استعذت فاستعذ بالله ، وإذا استغثت فاستغث بالله ، وإذا طلبت الدنيا فاطلبها من الله خالقها ، وإذا طلبت الآخرة فاطلبها فى الله مالكها ، ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ (١) ، ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ (٢) .

أخى الحاج الكريم ؛ إنِ للإحرام محظورات فاجتنبها ، فإن المُحْرِم ممنوع من الطيب بعد الإحرام ، ومن حلق الشَّعر أو قَصه ومن تقليم الأظَّافر ، ومن صيد البر ، ومن عقد النكاح ، ومن الجماع ، ومن المباشرة ، والذَّكَر لا يلبس مخيطاً ولا يقص رأسه ، فهذه تسعة محظورات .

---

(١) سورة النساء : ١٣٤

(٢) سورة فاطر : ١٠

وإياك وملامسة النساء فى الإحرام فإنه خطر على حَجَّك ، وقد يتساهل بعض الحجاج رغبة فى بركة المكان وهو خطأ كبير ، فالجماع يُفسد الحَج إذا كان قبل التحلل الأول ، ويوجب المضى فى الفاسد ، والقضاء من قابل ، ويوجب الفدية بَدَنة . والمرأة إذا كانت مطاوعة فهى كذلك ، أما إن كان الجماع بعد التحلل الأول فإنه يوجب ذبح شاة والحَج صحيح ، لكن يحرم إن لم يكن طاف ليطوف بإحرام صحيح سليم .

أما المباشرة دون الفَرْج فإن أنزل فعليه بَدَنة ولم يفسد النُّسُك ، وإن لم ينزل فعليه شاة .

اتقوا الله أيها المسلمون وعَظِّموا شعائر الله : ﴿ ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ﴾ (١) .

اتقوا الله وعَظِّموا حُرُمات الله : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ (٢) .

وصَلُّوا على البشير النذير . . . . . .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (٣) .

* * *

(١) سورة الحج : ٣٢

(٢) سورة الحج : ٣٠ - ٣١

(٣) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

١٨ - من أحكام الحج [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الحمد لله رب العالَمين ﴾ [٢] . . دعا عباده لحَجِّ بيته الأمين ، ووعدهم بحسن الضيافة وطَيِّب المُقام ، وجزيل العطاء والثواب .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، أمر بتطهير بيته للطائفين والعاكفين والرُّكَع السجود [٣] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، خير مَن وقف فى تلك المشاعر ، وطاف بالبيت العتيق .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على سيد الأوَّلين والآخرين ، وقائد الغر المحجلين ، نبينا محمد الصادق الأمين ، وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

ففى مجال آيات التشريع والأحكام تحمل لنا آية محكمة من سورة البقرة طائفةً من أحكام الحج . هذه الآية العظيمة مبدوءة بالإخلاص لله ، ومختومة بالإخلاص ثم بالوعيد والتهديد لمن خالف أوامر الله ، وهى قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا

---

(١) ألقيت يوم ٦/١١/١٤٠١ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى الآية ١٢٥ من سورة البقرة ، والآية ٢٦ من سورة الحج .

رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ ﴾ (١) .

الإحرام ركن من أركان الحَجّ والعُمْرة ، وهو نِيَّة الدخول فى النُّسُك سواء تجرد من الثياب المألوفة ، أم لا ، فمتى نوى الإنسان الدخول فى نُسُك الحَجّ أو العُمْرة صار مُحْرِماً ، فيجب عليه اجتناب محظورات الإحرام ، ويجب عليه إتمام نُسُكه الذى دخل فيه سواء أكان نفلاً أو فرضاً لقوله تعالى : ﴿ وأتموا الحج والعمرة لله ﴾ ، فالإتمام هو الإتيان بجميع أعمال الحَجّ أو العُمْرة من أولها إلى آخرها ، فى أماكنها ومشاعرها على وفق ما جاءت به الشريعة المحمَّديةُ المطهَّرة ، مع اجتناب محظوراتها ، على أن تكون النِيَّة خالصةً لله من أى شائبة أو مقصد آخر دنيوى ، سواء أكان مالياً أو اجتماعياً أو سياسياً : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئٍ ما نوى » (٢) ، فإن خالط القصد شىء من ذلك لم يكن خالصاً لله .

وإتمام الحَجّ والعُمْرة لله هو القاعدة الكلية للنُّسُك ، ولكن المُحْرِم قد يَعْرِض له فى طريقه ما يَعُوقه عن إتمام نُسُكه - إما عدوّ قاهر أو مرض مانع أو مؤذ أو فواتٌ لسبب من الأسباب - والإسلام هو دينُ اليُسر والسماحة دينُ

---

(١) سورة البقرة : ١٩٦

(٢) إشارة إلى حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أخرجه جميع أصحاب الكتب الستة والمسانيد ، وهو أول حديث أخرجه البخارى فى الجامع الصحيح ، وهو أول وحى غير متلو إلى رسول الله ﷺ ، وقد عقد عليه البخارى الباب قائلاً : « كيف كان بدء الوحى إلى رسول الله ﷺ » .

الرحمة ورفع الحَرَج ، لذلك استثنى من القاعدة العامة هذه الأحوال ، فبيَّنت الآية الكريمة حكم المحصر بقوله : ﴿ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾ (١) .

لما اعتمر النبى ﷺ ومَن معه من الصحابة سَنَة ست من الهجرة المباركة اعترض لهم المشركون فى الحديبية ومنعوهم من الوصول إلى البيت العتيق ، فبيَّن الله حكم الإحصار (٢) ، وهو الفداء ثم التحلل ، فمَن مُنع من الوصول إلى المسجد الحرام وهو مُحْرِم فى نُسُك ذبح ما تيَسَّر له من بهيمة الأنعام : جذع ضأن أو ثنى من غيرها فما فوق : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (٣) ، وحينئذ قد حَلَّ من إحرامه وبلغ أجرَه ، ويقضى حَجَّة من قابل .

وإن كان فى عُمْرة قضاها متى زال الإحصار لأن العُمْرة لا تتقيد بزمن فهى جائزة فى كل الأيام .

وقوله : ﴿ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ ﴾ (٤) معطوفة على قوله : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ ﴾ (٥) (قاله الحافظ ابن كثير) ، فهى لبيان شىء من الأعمال التى يتم بها الحَجّ وهو ترتيب الحلق بعد نحر الهَدْى لمن ساقه معه ، ومحلُه حينئذ الحرم المكى يوم النحر . أما المحصر فينحر هَدْيه حيث أُحْصِر .

وأما المرض المؤذى يصيب المُحْرِم فيحتاج إلى فعل شىء من محظورات

---

(١) سورة البقرة : ١٩٦

(٢) إشارة إلى قصة الحديبية : أخرجه البخارى فى الصحيح : ٤٥٥/٧ برقم (٤١٨٥) بمعناه من حديث ابن عمر رضى الله عنهما .

(٣) سورة البقرة : ٢٨٦

(٤) سورة البقرة : ١٩٦

(٥) سورة البقرة : ١٩٦

الإحرام كاللُّبس أو تغطية الرأس ، أو حلق الشَّعر ، فيفعل ما يحتاج إليه ويفدى مُخَيَّر بين ثلاثة أشياء كما قال سبحانه : ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ (١) يفدى بأيها أيسر له . فالصيام ثلاثة أيام ، والصدقة إطعام ستة مساكين لكل واحد نصف صاع ، والنُّسُك ما استطاع من بهيمة الأنعام من أصنافها الثلاثة . وهذه الآية نزلت فى كعب بن عجرة رضى الله عنه لما تأذَّى من هوام رأسه (٢) .

وأما الفوات فدليله من السُّنَّة خارج عن الآية وإنما ذكرته لإتمام الفائدة ، فالذى يفوته الحَجّ لكونه لم يشهد الوقوف بعَرَفة حتى طلع الفجر يومَ النحر وهو اليومُ العاشر ، سواء أكان تَخلُّفه لعطال سيارة أو لمتاهة طريق أو لجهل بالمكان بأن وقف فى غير عَرَفة ، فقد فاته الحج لقوله صلى الله عليه وسلم : « الحج عرفة » (٣) ، ويتحلل إذاً بعُمْرة ، فيطوف ويسعى ويحلق أو يقصر ولا شىء عليه ويقضى نُسُكه فى العام القابل لقوله صلى الله عليه وسلم : « مَن فاته عرفاتٌ فقد فاته الحَجّ وليتحلل بعُمْرة وعليه الحج قابل » (٤) .

---

(١) سورة البقرة : ١٩٦

(٢) إشارة إلى حديث كعب بن عجرة رضى الله عنه : البخارى مع الفتح : ١٦/٤ ، وفى الصحيح برقم (١٨١٥) .

(٣) إشارة إلى حديث عبد الرحمن بن يعمر الديلمى رضى الله عنه : أحمد فى المسند : ٣٣٥/٤ ، وأبو داود برقم (١٩٤٩) ، والترمذى برقم (٨٨٩) وإسناده صحيح ، وابن حبان فى الصحيح برقم (١٠٠٩) الموارد ، والبغوى فى شرح السُّنَّة : ٢٩٠/٧ برقم (٢٠٠١) .

(٤) إشارة إلى حديث أخرجه مالك فى موطئه : ٣٨٣/١ ، ورجال إسناده ثقات ، وإنه من فتوى عمر بن الخطاب رضى الله عنه أفتى به لأبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه .

وأما الذى يُفْسد حَجَّه قبل التحلل الأول بجماع ، سواء أكان ذكراً أو أُنثى فيلزمه ذبح بَدَنَةٌ ويمضى فى فاسده ويقضيه فى العام المقبل وجوباً (١) .

وقوله تعالى : ﴿ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ﴾ (٢) - التمتع فى اللُّغة : التلذذ . وفى الشرع إحرام الأُفقى بالعُمْرة فى أشهر الحَجّ ثم يحج فى تلك السنة مجمع بينهما فى سفر واحد ، فعليه إذاً فدية التمتع وهى على الترتيب كما هو صريح النص ، أما غير الأُفقى - وهم أهل الحرم - فلا فدية عليهم .

والقارن بين الحَجّ والعُمْرة فى إحرام واحد عليه فديةٌ كالمتمتع .

وأما المفرد بالحَجِّ فلا فدية عليه لأنه لم يجمع نُسُكين فى سفر واحد ، والأنساك الثلاثة كلها جائزة باتفاق الأئمة وإنما اختلفوا فى أيها أفضل .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، اتق الله أيها الحاج ، أخلص العمل لله ، ولا تُعَلِّق قلبك إلا بالله ، ولا تطلب قضاء حوائجك إلا من الله ، فهو قاضى الحاجات وهو مجيب الدعوات وهو القادر على كل شىء ومَن سواه محتاج إليه .

اللَّهُمَّ إنَّا نسألك الهداية والثبات ، ونسألك التوفيق والرعاية .

اللَّهُمَّ انفعنا بالقرآن العظيم ، وتَقَبَّل منا إنك أنت السميع العليم ، وتُبْ علينا إنك أنت التوَّاب الرحيم .

اللَّهُمَّ إنَّا نستغفرك فاغفر لنا ولآبائنا وأُمهاتنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

---

(١) وإن معناه أخرجه البيهقى فى سننه الكبرى : ١٦٧/٥ وهو من فتوى ابن عباس رضى الله عنهما وإسناده صحيح إليه وهو بحكم المرفوع ، والله أعلم .

(٢) سورة البقرة : ١٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

منع الرَّفث والفسوق فى الحج

(الخطبة الثانية)

الحمد لله . . اللَّهُمَّ لا نُحصى ثناءً عليك أنت كما أثنيتَ على نفسك .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وصفوته من خلقه .

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد . .

فلما بَيَّنت الآية السابقة عدداً من أحكام الحَجّ تلتها آية تُبين السلوك الذى يجب على الحاج أن يتخلَّق به ، وتأمره بالابتعاد عن نزعات النفس ، وشطحات التصور ، وذميم الأخلاق : ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ (١) .

فالرَّفَث هو الجِماع ودواعيه ، والفسوق هو الخروج عن الطاعة ، والجدال هو الخلاف والشقاق ، وذلك أن الإنسان فيه قُوَى أربع : قوة عقلية وهى التى تحث على الخير والاستقامة والسلوك الحسن ، وقوة شهوانية تحمله على المعصية ، وقوة غضبية تُخرجه عن الطَوْر المألوف ، وقوة وهمية تحمله على التعصب للرأى والانتصار له ، فإذا غلبت القوة العقلية على القُوَى الأُخرى حصلت الاستقامة والصلاح وحُسْنُ السلوك ، وإن غلبت إحداهن ظهرت آثارها على الجوارح . فالوحى السماوى يخاطب العقول ، يخاطب أُولى

---

(١) سورة البقرة : ١٩٧

الألباب ، يخاطب أُولى النُّهَى ، يُحرِّك القُوَى العقلية إذا خمدت ، وينشطها إذا ضعفت ، ويشجعها إذا جبُنت ، والتقوى هى الطاقة التى تعطى العقول والأرواح قوة وحيوية ، كما يعطى الغذاء الأجسامَ قوة ونشاطاً .

﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾ (١) .

فأُوصيكم وإياى بتقوى الله .

أيها المسلم ؛ اعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فاعلم أنه يراك (٢) ، وأكثروا من ذكر الله وتعظيمه وتسبيحه وتقديسه والصلاة على النبى ﷺ ، فإن الدعاء لا يُرفع إلا بالصلاة عليه (٣) : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (٤) .

* * *

(١) سورة البقرة : ١٩٧

(٢) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، الشيخان فى صحيحيهما : البخارى مع الفتح : ١/ ١١٤ برقم (٥٠) بسياق طويل .

(٣) إشارة إلى حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه بهذا المعنى : الترمذى فى جامعه : ٢/ ٣٥٦ برقم (٤٨٦) ، ولفظه : « إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شىء حتى تُصَلِّى على نبيك ﷺ » ، وقد ذكره ابن كثير فى التفسير : ٥/ ٥٠٧ - ٥٠٨ مع الشواهد الأخرى .

(٤) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

١٩ - آثار الحج فى نفس الحاج [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ [٢]، جعل الحَجَّ واجباً على المسلم فى العمر مرة واحدة ، فما زاد فتطوع مندوب .

وأشهد أنْ الله لا إلَه إلاّ الله وحده لا شريك له ، جَوَّادٌ كريمٌ ، يعطى الجزيل ويقبل القليل .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أضاء السبيل وأقام الحُجَّة بالدليل .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فإن لهذا الدين نفوذاً روحانياً فى القلوب الطيبة كنفوذ الماء العذب فى الأرض الخصبة ، يُحيى القلوب ويُوقظها ويُكسبها قوةً ونشاطاً وعزيمة وثباتاً .

وإن للحَجّ والعُمْرة أثراً حسناً فى نفس الحاج ومكانةً عند الله ، فهما عبادة روحية بدنية مالية ، فيهما تتجلى آثار الإيمان ، وتبرز تعاليم الإسلام .

---

(١) ألقيت يوم ٢٢/١١/ ١٤١٠ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢ - ٣

فالحاج والمعتمر يتحمل التعب والمشقة ويبذل المال بطيب نفس وبرغبة وعزيمة لله ومن أجل الله ، لأداء مناسك شرعها الله ، حتى إذا وصل إلى هذه البقاع المطهَّرة مهابط الوحى ومواقع التنزيل ، ورأى بيت الله المشرَّف ، ومسجد رسول الله ﷺ ، وشاهد معالم التشريع المنزَّل على نبى الهُدَى صلى الله عليه وسلم ، الذى تلقته تلك النّخبة المختارة أصحابُ رسول الله ﷺ فطبَّقته وبلغته إلى خلق الله فى أرض الله .

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ﴾ (١) .

فإذاً يتحرك وازع الإيمان فى القلب وينظر المؤمن ما قدَّمت يداه وما سُجِّلَ فى صحيفته ، فيرى التفريط فى جنب الله ، والإهمالَ فى حقوق خلق الله ، والتساهلَ فى واجبات إسلامه وأُمَّته ، فيحاسب نفسه فإذا هو قد أوبقها ، فيقف وقفة الخائف مندهشاً من أمره ، فإذا به يسمع أو يقرأ قوله تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢) ، وقوله جلَّت عظمته : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾ (٣) ، فكأنه يلمس لُطف الله يَحفُه ، وفضل الله يُحيط به ، وعناية الله تُدركه ، ورحمة الله تغمره ، فيُريق دمع الندم بين يدى الله ويَحُط أثقال الذنوب فى رحاب الرؤوف الرحيم ، ويعلنها توبة نصوحا لله ، وعهداً جديداً مع الله ، ويعلم ألا ملجأ إلا إلى الله : ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ

---

(١) سورة الفتح : ٢٩

(٢) سورة الزمر : ٥٣

(٣) سورة طه : ٨٢

﴿ ٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ٨٠ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ٨١ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ (١) .

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢) .

ويعلم أن مَنْ سوى الله مخلوق لله فقير محتاج إليه ، فيُعلِّق قلبه بالله وحده ، ويتوجَّه إلى الله وحده ، ويلجأ إلى الله وحده ، فيطلب من الله وحده قضاء حوائجه ، فهو سبحانه مجيب الدعوات وهو قاضي الحاجات وكاشف الكربات : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٣)

ويستعين بالله وحده في كل أُموره ، فهو القادر على كل شيء ، وليس دونه حُجَّاب ولا كُتَّاب ولا وزراء : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ (٤) .

﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾ (٥) .

﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ (٦) .

﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ ﴾ (٧) .

---

(١) سورة الشعراء : ٧٨ - ٨٢

(٢) سورة يونس : ١٠٧

(٣) سورة النمل : ٦٢

(٤) سورة النحل : ٤٠

(٥) سورة القمر : ٥٠

(٦) سورة الزمر : ٣٦

(٧) سورة الزمر : ٣٧

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (١)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ (٢) .

فاتق الله أخى المسلم .. تأمل أعمالك وصَحِّح أخطاءك ، فكلنا خطَّاؤون وكلنا مُقَصِّرون ، وربنا غفور رحيم : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (٣)

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، ووفقنا للتأدب بآدابه ، والعمل بأحكامه ، والاتعاظ بمواعظه ، والعمل بحكمه ، والإيمان بمتشابهه .

اللَّهُمَّ إنَّا نسألك إيماناً صادقاً ، وعملاً صالحاً مقبولاً ، وتوبة نصوحاً ، وحجاً مبروراً ، ومغفرة لذنوبنا ، وستراً لعيوبنا ، وهُدَىً لقلوبنا ، ونوراً لبصائرنا ، ورحمة منك ورضواناً .

اللَّهُمَّ اغفر لنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

---

(١) سورة الزمر : ٣٨

(٢) سورة فاطر : ١٥ - ١٧

(٣) سورة البقرة : ١٨٦

بسم الله الرحمن الرحيم

حمد الله على النعم

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد . .

فأُوصيكم وإياى بتقوى الله . . ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ (٢) .

أخى الحاج العزيز ؛ إنك جئتَ إلى هذه البقاع المقدَّسة لأداء شعائر الحج ولزيارة مسجد رسول الله ﷺ ، وقد رأيتَ فى المدينة المنوَّرة وسترى - إن شاء الله - فى مكة المكرَّمة ، ما يَسَّرَ الله لك بسبب العاملين المخلصين والمؤمنين الصادقين ، عملوا على توفير ما تحتاج إليه ، وتيسير أداء شعائر حَجّك فى أمن وهدوء وراحة واطمئنان ورخاء ، واعلم أنه عمل لله تم من أجلك ، فاحمد الله على هذه النِعَم ، وتمسَّك بكتاب ربك وبسُنَّة نبيك ﷺ ،

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) سورة الطلاق : ٥

واعمل صالحاً لنفسك ، وتدارِك ما بقى من أيامك ، وعلِّق قلبك بالله دون مَن سواه فبيده سبحانه نفعك وضرك .

وصلُّوا على البشير النذير . . . . . .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

* * *

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٢٠ - الاستقامة على التوبة ووصية الحجاج بعد الحج[١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله الكريم المنَّان ، واسع الفضل والإحسان .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له . . ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[٢] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وخيرته من خلقه .

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فأُوصيكم وإياى بتقوى الله تعالى والتمسك بدين الإسلام ، والعمل بأحكامه والاهتداء بهَدْيه والتحلِّى بفضائله ، والوقوف عند حدوده ، فإنه لا فلاح للأُمة ، ولا عز لها ولا كرامه ، ولا نصر لها ، ولا تأييد لها ، إلا بدينها وإسلامها ، ولا نجاة لها يوم القيامة ، ولا سعادة لها إلا بطاعة ربها والانقياد لأمره ، والانتهاء عند نهيه .

أيها الحاج الكريم ؛ لقد مَنَّ الله عليك بإتمام مناسك الحَجّ فى أمن وسلام واستقرار ، فى راحة وهناء ، فى بحبوحة من العيش ورخاء ، يَسَّرَ لك الوقوف بعَرَفة ، يَسَّرَ لك الوقوف فى ذلك الموقف العظيم الذين باهى بهم

---

(١) ألقيت يوم ١٣٩٧/١٢/٢١ هـ .

(٢) سورة غافر : ٣

رَبُّ العباد ملائكته وصرفهم مغفوراً لهم ، طُفْتَ بالبيت العتيق ، ومشيتَ فى تلك البقاع المقدَّسة ، وتلك المشاعر المطهَّرة ، أعلنت توبتك إلى الله تعالى ، وأرقت دموع الندم على الإهمال والتفريط ، وعاهدتَ ربك على ألا تعود إلى معصيته ، فأنت تفخر بهذا وتعتز به ، قد أحسستَ بأنك وضعت أثقال الذنوب هناك ، ورجعتَ طاهراً نقياً .

فاحذر كل الحذر - أخى المسلم - أنْ تخالف تلك التوبة ، احذر أن تنقض هذا العهد ، احذر أن تعود إلى حَمْل الأوزار وأثقالها ، وكن صادقاً فى توبتك ، ووفياً بعهدك ، ملتزماً بأمانتك ، أخْلِص العبادة لله وحده ولا تصرف منها شيئاً لأحد سواه ، علِّق آمالك بالله فهو الذى بيده النفع والضُّر ، وهو الذى بيده حياتك وموتك وإليه مصيرك ، إذا سألتَ فاسأل الله ، وإذا استعنتَ فاستعن بالله ، وإذا طلبتَ البركة فاطلبها من الله ، ولا تجعل بينك وبينه أحد فليس بينه وبين دعوتك حجاب ، فلا واسطة بينك وبينه ، فإنه أقرب إليك من حبل الوريد ، يسمعك ويجيبك : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (١) .

حافظْ على الصلوات الخمس فى جماعة فى أوقاتها ، فإنها عمود الإسلام التى يرتكز عليها وينبنى عليها ، مَن حفظها حفظ دينه ، ومَن ضيَّعها فهو لما سواها أضيع ، وهى الفرق بين الإسلام والكفر ، وهى أول ما يُحاسَب عنه العبد يوم القيامة ، فإن صَلحت صَلَحَ سائر العمل ، وإن فسدت فَسَدَ سائر عمله ، الصلاة نور وبرهان ، ونجاة لصاحبها يوم القيامة ، وعَوْن لصاحبها وسداد فى هذه الحياة : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ (٢) .

---

(١) سورة البقرة : ١٨٦

(٢) سورة البقرة : ٤٥

أدِّ زكاة مالك ، فإنها طُهْرة لك ونماء له ، تزيده وتضع فيه البركة ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله » (١) .

واحذر منع الزكاة ، فإن ذلك يُذْهب ببركة المال ويحرم من الانتفاع والتلذذ به ، ولا يحملنك الشُحُّ وحبُ المال على منع حق الله الذى أوجب فيه للفقراء والمساكين ، فيعودُ عليك عاراً وناراً يوم القيامة : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ (٢) .

﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٣) .

كن أخى المؤمن مؤمناً قوياً تُسيطر على نفسك وشهواتك وعلى جلساء السوء ، فلا يغرَّنك ما قد تراه من الخمور وبيوت الدعارة وحركات البغايا وأسواق القمار على أن تخالف توبتك وتنقض عهدك مع الله ، عار عليك ودمار أن تمسح دموع التوبة والندم بأدْران المعاصى والآثام .

أيها المسلمون ؛ إن أشد المعاصى خطراً على كيان الأُمة الإسلامية وعلى عِزَّتها وكرامتها ، وأمنها واستقرارها ، هى معصية الحكم بغير ما أنزل الله ، فقد وصف الله تعالى الذين يحكمون بغير ما أنزل الله بثلاث صفات هى أبشع الأوصاف وأخَسُّها : وصفهم بالكفر ، ووصفهم بالظلم ، ووصفهم

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه ، وأحمد فى مسنده ، والترمذى فى سننه ، عن أبى هريرة ، وذكره السيوطى فى الجامع الصغير برقم (٨١٢٠) ورمز له بالصحة .

(٢) سورة آل عمران : ١٨٠

(٣) سورة التوبة : ٣٤

بالفسوق [١] ، وإن كان الكفر دون كفر ، والظلم دون ظلم ، والفسوق دون فسوق - كما ذكره بعض العلماء - لأنه يجب فالواجب الحكم بما أنزل الله ، وبما جاء به رسول الله ﷺ ، والمؤمن يخاف من الله ويرجو ما عنده ويحكم بحكمه ويرضى به ، والذى يحكم بغير ما أنزل الله ظالم لنفسه بعرضها لسخط الله وعقوبته ، وظالم للناس فى تضييع حقوقهم ، وإجرائها على خلاف حكم الله ، وخارج عن طاعة الله ، وخارج عن الصراط السَوِّى .

تأمل أخى المسلم الآيات المحكمات من سورة المائدة - ما بين الآية الأربعين إلى آخر الآية اثنين وخمسين - تجد كيف ذَمَّ الله اليهود والنصارى الذى حكموا بغير ما أنزل الله ووصفهم بتلك الصفات الثلاث .

وحَذَّر نبينا محمداً ﷺ من فتنتهم وأمره بالحكم بينهم بما أنزل الله ، ثم حَذَّرنا معشر المؤمنين من الاغترار بهم والوقوع فيما وقعوا فيه ، وحَذَّرنا من موالاتهم والانحراف عن ديننا كما انجرفوا عن دينهم وحرفوه .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٤١﴾ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم

---

(١) إشارة إلى الآيات ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧ من سورة المائدة .

بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ
ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ
فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ
وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟
ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ
بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ
فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ
وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً
لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ
مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ
عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ
أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ
جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ
أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ
ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ
وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ
وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ

الظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ
فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِيٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

* *

(١) سورة المائدة : ٤١ - ٥٢

بسم الله الرحمن الرحيم

وَصَفَ الخالق نفسه بصفات

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١) . . له صفات لا تشبه صفات المخلوقين .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له . . ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (٢) .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أعرف الناس بربه وأطوعهم لأوامره ، وأشد الناس فهماً لأسماء الله وصفاته .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه واستنَّ بسُنَّته .

أما بعد . .

فقد وصف الخالق تعالى نفسه بصفات لا يتصف بها المخلوق لبيان أن صفات الرب سبحانه وإن وافقت بعض صفات المخلوقين في الأسماء ، فإنها لا تشبهها في الحقيقيات ، فقال سبحانه : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ (٣) .

وقد فسَّرها النبيُّ ﷺ تفسيراً يُغنى عن كل قول ، ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اللَّهُمَّ أنت

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) سورة الشورى : ١١

(٣) سورة الحديد : ٣

الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ، اقض عنا الدَّيْن وأغننا من الفقر » .

ثم اعلموا - رحمنى الله وإياكم - أن الله تعالى أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه ، وثنَّى بملائكته ، فقال عزَّ من قائل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

فصلُّوا على البشير النذير . . . . . إلى آخر الدعاء .

* * *

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٢١ - إيذاء المسلمين فى الحج من الفسوق [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾ [٢] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له . . ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [٣] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، وأشهد أنه بَلَّغَ الرسالة كاملة شاملة ، وأدَّى الأمانة ونصح للأُمَّة وللبَشر وللخلق أجمعين [٤] .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمدٍ وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فإن واجبَ أُمَّة محمد ﷺ كبير ورسالتها عظيمة : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [٥] ،

---

(١) ألقيت يوم ١٤/١١/١٤٠٧ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢ - ٥

(٣) سورة آل عمران : ١٨

(٤) إشارة إلى حديث جابر بن عبد الله الأنصارى الطويل : مسلم فى الحج بسياق برقم (١٤٧) ، وفيه هذا اللفظ المبارك الذى قاله أصحابه رضى الله عنهم .

(٥) سورة البقرة : ١٤٣

فأى مسئولية أعظم من هذه ؟ شهداءُ على الناس تقيم العدل والقِسْط ، وتضع الموازين والقِيَم ، وتبدى رأيها فى الناس فيكون هو المعتمد . . لكن متى تكون كذلك ؟ إذا حملت رسالتها بالمعنى الصحيح . . إنَّ الله اصطفى هذه الأُمَّة وشرَّفها ، وحرسها وحفظها ، لا يضرها مَن خذلها [١] ؛ لتحمل رسالة الإسلام ولتشُق طريقها فى هذه الحياة على منهج الله متميزة فريدة بارزة ، لتؤدى دورها ولتقوم بواجبها الذى لا ينهض به أحد سواها : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [٢] ، إنه لن يتحقق لهذه الأُمَّة وجودُها ولن تنهض على قدميها ، ولن تكون لها كلمتها وقيمتها إلا إذا اعتصمت بحبل الله [٣] ، وجمعت شملها ووحَّدت هدفها وأخذت بروابط الأُخوة الإسلامية ، وجعلت كتاب الله نظاماً ودستوراً وقائداً تسير خلفه ، فتأخذ نصوص الكتاب والسُّنَّة المطهَّرة ، فتُظْهِر معانيها فى حركاتها وأعمالها ومشاعرها واتصالاتها .

ولن يكون المسلم مسلماً حقاً إلا إذا أخضع إرادته وجوارحه لنظام الله ، وترك أى نظام سواه : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [٤] ﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٥]

---

(١) إشارة إلى حديث معاوية رضى الله عنه : البخارى برقم (٣٦٤١) المناقب باب (٢٨) ، ونحوه مسلم فى الصحيح : الإمارة ، حديث رقم (١٧٠) ، (١٧٤) خاص .

(٢) سورة آل عمران : ١١٠

(٣) إشارة إلى الآية ١٠٣ من سورة آل عمران .

(٤) سورة النساء : ٦٥

(٥) سورة النور : ٤٧

إن أعداء الإسلام فى أول بعثة محمد ﷺ ما زالوا ولا زالوا جادِّين بكل قواهم وأساليبهم ومخططاتهم لفصل المسلمين عن هذه الخصوصية والفضيلة ، ولكنهم وإن نجحوا فى بعض الأمور فإنهم لم يستطيعوا ولن يستطيعوا طمس نور الإيمان فى قلوب المؤمنين: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (١) لأن المؤمن يرتكز على ركيزة ثابتة لا تُحَرِّكها الاضطرابات ، وقدماه راسختان مهما تجاذبته الأحداث ، فهو مستمسك بالعُرْوَة الوُثْقَى لا انفصام لها (٢) ، مُعتصم بحبل الله المتين ، لا يشغله عن إيمانه شاغل ، ولا يُلهيه عن طاعة الله وعبادته هدف ، ولا يصده عن سبيل الله داع ، ولا يصرفه عن واجبات الأُخوة الإسلامية صارف .

أيها الحاج الكريم ؛ لقد مَنَّ الله عليك فدعاك لأداء مناسك الحَجّ هذا العام ولزيارة مسجد رسوله ﷺ ، وللسلام عليه ، فإذا كنت فى المدينة المنوَّرة فاعلم أنك فى بلد رسول الله ﷺ وبجوار قبره الشريف وفى مواقع تنزيل الوحى من السماء ، هذا البلد الذى حَرَّمه نبينا ﷺ كما حَرَّم أبونا إبراهيم عليه الصلاة والسلام مكة المشرَّفة (٣) .

ورد فى الحديث الصحيح عن أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « المدينة حرام ما بين عير إلى ثور ، فمَن

---

(١) سورة التوبة : ٣٢

(٢) إشارة إلى الآية ٢٥٦ من سورة البقرة .

(٣) إشارة إلى حديث أنس بن مالك رضى الله عنه : البخارى فى الصحيح ، الجهاد باب رقم (٧٤) ، وحديث رقم (٢٨٩٣) بسياق طويل وفيه : « اللَّهُمَّ إنى أُحَرِّم ما بين لابتيها بمثل ما حَرَّم إبراهيم مكة ، اللَّهُمَّ بارك لهم فى مُدِّهم وصاعهم . . » ، ومسلم فى الصحيح ، كتاب « الحج » ، حديث رقم (٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٥٥ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٢ - ٤٦٤ ، ٤٧٢) خاص .

أحدث فيها حَدَثاً أو أوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يُقبل منه صرف ولا عدل » (١) ، فيا أخى الزائر ويا أخى المقيم أعطوا المدينة حقها من الوقار والسكينة والهدوء والخشوع وغض الصوت فى مسجد رسول الله ﷺ ، وخالقوا الناس بخُلُقٍ حسن (٢) ، احفظوا للمدينة قدسيتها وهيبتها وكرامتها ، فكل ما خالف هَدْيه صلى الله عليه وسلم فهو حَدَث .

احذر أيها المسلم أن تُسيئ الأدب فى هذا البلد المقدَّس ، احذر إيذاء المسلمين بأى نوع من الأذى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ (٣) .

حَرِّموا ما حرَّم الله ورسوله وعَظِّموا ما عَظَّم الله ورسوله : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ (٤) .

فإذا كنت أخى الحاج فى مكة المكرَّمة فاعلم أنك فى بلد حَرَّمه الله يوم خلق السموات والأرض (٥) ، وأنك بجوار بيت الله الذى جعله قِيَاماً ومَثَابة للناس وأمناً ، مباركاً وهُدَىً للعالمين (٦) ، مطهَّراً ﴿ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ (٧) .

---

(١) متفق عليه : البخارى : فضائل المدينة ، حديث رقم (١٨٧٠) ، وهو من حديث علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، باب (١) ، ومسلم : نحوه فى الحج ، حديث رقم (٤٦٧) خاص وعام (١٣٧٠) بمثل هذا اللفظ من حديث علىّ رضى الله عنه .

(٢) من حديث أبى ذر رضى الله عنه : الترمذى فى البر والصلة برقم (١٩٨٧) ، باب رقم (٥٥) ، وقال الترمذى : حسن صحيح ، وأحمد فى المسند : ٥/١٥٣ وإسناده صحيح .

(٣) سورة الأحزاب : ٥٨

(٤) سورة الحج : ٣٠

(٥) إشارة إلى حديث أبى شريح العدوى رضى الله عنه : البخارى برقم (١٠٤) العلم ، باب (٣٧) بسياق طويل .

(٦) إشارة إلى الآية ١٢٥ من سورة البقرة .

(٧) سورة البقرة : ١٢٥

﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (١) .

الإلحاد هو الميل ، ومنه سُمِيَ الشق فى جانب القبر لحداً لأنه مائل ، فكل عمل يميل بصاحبه عن سيرة النبى ﷺ فى الحَجِّ فهو إلحاد ، وكل ما يتنافى مع حُرْمة ما حَرَّم الله وحَرَّم رسوله ﷺ فهو إلحاد ، فمَن أراد الإلحاد ظلماً فى بلد الله الحرام - وإن لم يفعل - أذاقه الله العذاب الأليم ، فما بالكم بمن يريد ويفعل .

ذكر ابن كثير رحمه الله عن بعض الصحابة والتابعين أنه من الإلحاد احتكار الطعام (٢) وضرب الخادم فما فوقه ، فما بالكم بما هو أعظم ، لقد خُدِمتَ أيها الحاج وكُفِيتَ ، فلقد بذلت حكومتنا كل طاقاتها الاقتصادية والاجتماعية لتوفير الراحة لحُجَّاج بيت الله الحرام ولزوَّار مسجد رسوله ﷺ ، ليؤدى الحاج مناسك حَجّه فى أمن واستقرار ورخاء وراحة نفسية وبدنية .

سَخَّرت المجالات العلمية والثقافية لتحقيق أهداف الحَجّ والدعوة إلى كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ ، ولجمع شمل المسلمين وتوحيد صفهم وتفقد أحوالهم والتشاور بينهم وحل مشاكلهم ، فلم يبق لأحد كائناً مَن كان أىُّ مجال للفسوق والجدال ، لم يبق مجال للخلاف والشقاق والتشويش والفوضى وإشغال الحُجَّاج عن أعمال الحَجّ وعن طاعة الله ، ولم يبق مجال لانتهاك

---

(١) سورة الحج : ٢٥

(٢) نعم ذكر ذلك الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى فى تفسيره : ٤/ ٦٣٠ - ٦٣١ نقلاً عن تفسير ابن أبى حاتم بإسناده عن يعلى بن أمية رضى الله عنه مرفوعاً إذ قال : احتكار الطعام بمكة إلحاد ، ثم ذكر أشياء أُخرى مسندة وفيها عموم إلى أن الإلحاد لم يكن منحصراً فى احتكار الطعام فقط ، بل هناك أشياء أُخرى مُحَرَّمة كالشِّرك والقتل والنهب والسَّلْب ظلماً وعدواناً وغير ذلك . . والله أعلم .

حُرْمة البقاع المقدَّسة بالتجمعات والهتافات غير المشروعة ، وإيذاء المسلمين عند بيت رب العالَمين ، وعند مسجد سيد الأوَّلين والآخرين .

فاتقوا الله أيها المسلمون . .

« المسلم مَن سلم المسلمون من يده ولسانه » (١) ، « مِنْ حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » (٢) ، المسلم لا يكون بوقاً لأعداء المسلمين ينفخون فيه ويصيح ، المسلم لا يكون ستراً لأعداء المسلمين ينفذون مخططاتهم من خلفه ، المسلم كَيِّسٌ فَطِنٌ ولا يكون إمعة مع كل صاعق وناعق .

وحكومتنا أعزَّها الله وإن ضبطت النفس وشرحت الصدر واستعملت الحلم والتأنى ، فإنها لن تسمح بإساءة الأدب فى حرم الله وحرم رسوله ﷺ .

اللَّهُمَّ إنَّا نسألك الثبات على الأمر والعزيمة على الرشد ، ونسألك حُسن الأدب عند نبيك وعند مسجد رسولك ﷺ .

اللَّهُمَّ اغفر لنا ولجميع المسلمين ، الأحياء والميتين ، إنك أنت الغفور الرحيم.

* *

---

(١) إشارة إلى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما : البخارى مع الفتح : ١/ ٥٠ - ٥١ ، الإيمان من صحيحه ، ونحوه مسلم فى الصحيح ، الإيمان ، حديث رقم (٤٠) عام .

(٢) إشارة إلى حديث علىّ بن الحسين زين العابدين رحمه الله تعالى مرسلاً : أخرجه الإمام مالك فى موطنه : ٢/ ٤٧٠ ، باب : ما جاء فى حُسْن الخلق ، وإسناده صحيح ولكنه مرسل كما لا يخفى ، وله طرق أُخرى متصلة ولكنها ضعيفة يُتحمل ضعفها حسب قانون الرواية فيكون إسناده حسن لغيره إن شاء الله تعالى .

بسم الله الرحمن الرحيم

التجارة مع الله أكثر ربحاً

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١) . . هدانا للإسلام ، وأنعم علينا بفضله التام .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، أرسل إلينا سيد الأنام ، وأكرمنا لكرمه ، فللَّه الحمد والشكر على آلائه العظام .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله كان خُلُقه القرآن ، وأثنى الله عليه فى محكم التنزيل : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٢) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على الصفوة المختار ، إمام المتقين وسيد الأخيار ، وعلى آله وأصحابه الأمجاد الأبرار ، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم القرار .

أما بعد . .

فخير وصية أُوصيكم بها هى وصية الله لعباده ، قال سبحانه : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ ﴾ (٣) ، اجعلوا من طاعة الله وقاية تقيكم عذابه ، اجعلوا من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ ستراً بينكم وبين لفح جهنم .

ثم اعلموا - رحمنى الله وإياكم - أنَّ شهركم هذا ميدان سباق إلى الله :

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) سورة القلم : ٤

(٣) سورة النساء : ١٣١

﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ (١) ، ميدان تنافس فى طاعة الله والأعمال الصالحة ، فإذا رأيتم الناس يتسابقون فى تنمية الأموال ، فتسابقوا على صراط الله المستقيم : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ (٢) .

والتجارة مع الله أكثر ربحاً من التجارة مع الناس ، فمن يربح عشرة أضعاف إلى سبعمائة ضعف إلا فى التجارة مع الله .

﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (٣) .

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٤) .

تذكَّروا إخوانكم فى الإيمان ، أعوانكم على الأعداء ، فإن الكفرة تعدَّوا على كرامتهم ، وسفكوا دماءهم ، وأيتموا أطفالهم ، ورمَّلوا نساءهم ظلماً وعدواناً ، وبغضاً للإسلام والمسلمين : ﴿ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ (٥) .

أكثروا من الدعاء لإخواننا سراً وعلانية ، وامسحوا دموعهم بعطفكم وإحسانكم ، أروهم أنَّ لهم إخواناً يفرحون لفرحهم ويتألمون لآلامهم ،

---

(١) سورة النجم : ٤٢

(٢) سورة طه : ١٣١

(٣) سورة الأنعام : ١٦٠

(٤) سورة البقرة : ٢٦١

(٥) سورة البروج : ٨

اجعلوهم يحسون بأن لهم إخواناً فى الله يقفون خلفهم ، انصروا المظلومين بما استطعتم ، ﴿ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ (١) .

وصلُّوا على البشير النذير .....

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (٢) .

* * *

(١) سورة محمد : ٤

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٢٢ - استنكار ما خرج عن أعمال الحج [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [٢] . . أحمده على عظيم منّته وتكاثر نعمته .

اللَّهُمَّ لا نُحصى ثناءً عليك أنت كما أثنيتَ على نفسك .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، جلَّت عظمته ، وتقدَّست أسماؤه ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله خاتم أنبيائه ، وحظوته من خلقه ، أرسله رحمة للعالمين ، اسمه - صلى الله عليه وسلم - مكتوب على قائمة العرش .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فالحمد لله على نعمة الإسلام ، والحمد لله على نعمة الأمن والرخاء ، والحمد لله على هذا الهدوء التام فى هذه الأيام ، فلا مظاهرات ، ولا تجمعات ، ولا صراخَ ، ولا دعاء غير الله ، ولا هتافات كاذبة ، ولا دعايات مزيفة .

---

(١) ألقيت يوم ٢/١٢/١٤٠٨ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

الدعاء لله وحده ، والذِكْر لله وحده ، والتوجه لله وحده ، تفرَّغ المعتمرون والزائرون لعبادة ربهم ودعاء خالقهم ، لم يشغلهم شاغل ، ولم يُكَدِّر صفو إقامتهم مُكَدِّر ، ولم يُقلقهم صراخ ماكر ، ولم يُلههم عمل مُخادع ، ولم تُضايقهم حركاتُ مفسد مكابر ، فجزى الله خادم الحرمين عن الإسلام والمسلمين أحسن الجزاء : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١) .

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ (٢) .

والحمد لله الذى جعل الحَجّ واجباً فى العمر مرة واحدة من غير تكرار .

والحمد لله الذى فتح باب العُمْرة تطوعاً فى الليل والنهار .

لم يحج النبى صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة إلا مرةً واحداً ، واعتمر أربع مرات .

وكانت حَجَّته صلى الله عليه وسلم فى غاية من التمام والكمال مع اليُسْر والسماحة ، أحرم - صلى الله عليه وسلم - قارناً وساق الهَدْى من المدينة إلى مكة مائة من الإبل ، فأهَلَّ بالتوحيد فقال : « لَبَّيْك اللَّهُمَّ لَبَّيْك ، لَبَّيْك لا شريك لك ، إنَّ الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » . . لا يزيد عليها .

فلما دخل مكة قصد إلى الكعبة المشرَّفة حتى إذا حاذى الحجر الأسود استلمه ، وطاف بالبيت ، فعل ذلك سبعة أشواط ، وكان يقول بين الركن

---

(١) سورة البقرة : ٢٥١

(٢) سورة الحج : ٤٠

اليمانى والحجر : ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [١] وكلما حاذى الحجر إما استلمه وإما أشار إليه . أما الركن اليمانى فإما أن يستلمه وإلا لم يشر إليه [٢] ، ثم صلَّى ركعتين موجزتين قرأ فيهما بالفاتحة وسورتى الإخلاص [٣] ، ثم خرج إلى الصفا فاستقبل القِبْلة وقال : « لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير ، لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده » [٤] ، ثم دعا ونزل إلى المروة ففعل عليها كما فعل على الصفا ، فعل ذلك سبع مرات ذهابه سعية وإيابه سعية ، وكان صلى الله عليه وسلم خَيَّرَ أصحابه بين الأنساك الثلاثة [٥] : التمتع ، والقِران ، والإفراد ، ثم ندبهم فى الطريق إلى جعلها عُمْرة [٦] فلما أتم سعيه أمر مَن لم يكن معه هَدْى أن يتحلل إلى عُمْرة [٧] ، وذلك لإبطال إعتقاد الجاهلية ، فقد كانوا يرون العُمْرة فى أشهر الحج من أفجر الفجور .

وبقى صلى الله عليه وسلم فى إحرامه من أجل الهَدْى الذى ساقه ، وفى اليوم الثامن من ذى الحجة أحرم مَن كان حَلَّ ، وخرج عليه الصلاة والسلام ومعه المسلمون إلى مِنَى .

فلما طلعت الشمس يوم التاسع سار إلى عرفات ، وكان من أصحابه

---

(١) سورة البقرة : ٢٠١

(٢) صحيح البخارى : ٢/ ١٨٦ ، طبعة الحلبى ، باب : « مَن أشار إلى الركن » .

(٣) أى سورة : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ، وسورة : ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ .

(٤) مسلم : ٢/ ٨٨٨ من حديث جابر رضى الله عنه .

(٥) الهدى : ٢/ ١٦٠ ، وزاد المعاد : ٢/ ١٦٠

(٦) مسلم : ٢/ ٨٧٥ ، وزاد المعاد : ٢/ ١٧٨

(٧) مسلم : ٢/ ٨٧٧ ، ٨٨٣ ، ٨٨٤ ، ٢٨٨ ، حديث جابر رضى الله عنه .

المُلَبِّى ومنهم المُكَبِّر وهو يسمع ذلك ولا ينكر ، فلما زالت الشمس خطب الناس [١] ، فقرَّر قواعد الإيمان والتوحيد ، وهدم قواعد الشِّرك ، وأبطل أعمال الجاهلية ، وحرَّم الدماء والأعراض والأموال ، وأوصى بالنساء خيراً وذكر الحق الذى لهن والحق الذى عليهن ، وأمر بالاعتصام بكتاب الله وأخبر بأن من اعتصم به لن يضل . . وبعد الخطبة صلَّى الظهر والعصر جمعاً وقصراً ، فلما فرغ من الصلاة ركب ناقته حتى أتى موقفه فى عرفة فى ذيل الجبل عند الصخرات جاعلاً المشعر بينه وبين القِبْلة وقال : « وقفت ههنا وعَرَفة كلها موقف » ، وأمر بالارتفاع عن بطن وادى عُرنة ، وأخذ صلى الله عليه وسلم فى الدعاء والتضرع والابتهال إلى الله رافعاً يديه كاستطعام المسكين .

فلما غربت الشمس يوم التاسع أفاض من عَرَفة يُلَبِّى ، فلما وصل إلى مزدلفة صَلَّى بها المغرب والعشاء جمعاً وقصراً بأذان واحد وإقامتين ، وأذِن لضعفة الناس [٢] بالانصراف من مزدلفة عند غياب القمر تلك الليلة ، وبات فيها ، فلما طلع الفجر يوم العاشر من ذى الحجة - أى الصبح - صلَّى الصبح فى أول الوقت ، ثم وقف عند المشعر الحرام فاستقبل القِبْلة وأخذ فى الدعاء والتضرع والتكبير والتهليل حتى أسفر جداً [٣] وقال : « وقفت ههنا ومزدلفة كلها موقف » ، ثم انصرف إلى مِنَى ، وأمر عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أن يلتقط له حصى الجمار ، فأخذ سبع حصيات مثلَ حصى الخذف ما بين الحمص والبندق ، فقال صلى الله عليه وسلم : « بمثل هؤلاء فارموا وإياكم والغلوَّ ، فإنما أهلك مَن كان قبلكم الغلو » ، وكان يُلَبِّى فى طريقه

---

(١) مسلم : ٢/ ٨٨٩

(٢) البخارى : ٢/ ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ومسلم : ٢/ ٨٩١

(٣) البخارى : ٢/ ٢٠٤ ، ومسلم : ٢/ ٨٩١

حتى أتى جمرة العقبة فرماها بسبع حصيات الواحدة تلو الأخرى يُكَبِّر مع كل حصاة [١] .

ثم رجع إلى مِنَى فخطب الناس ، ومن خطبته - صلى الله عليه وسلم : « اعبدوا ربكم ، وصَلُّوا خمسكم ، وصوموا شهركم ، وأطيعوا ذا أمركم تدخلوا جنَّة ربكم » ، وبَيَّنَ حُرْمة يوم النحر وفضله عند الله وحُرمة مكة على جميع البلاد ، وفتح الله أسماع الناس [٢] فسمعه جميع مَن فى مِنَى وهم فى منازلهم [٣] ، ثم انصرف إلى المنحر فنحر هَدْيه [٤] ، ثم حلق رأسه ، ثم أفاض إلى مكة وطاف بالبيت طواف الإفاضة ، أما مَن كان متمتعاً فطاف وسعى [٥] ، ثم رجع إلى مِنَى ، وما سئل فى ذلك اليوم عن شىء قُدِّمَ أو أُخِّرَ من الأعمال الأربعة وهى : الرمى ، والذبح ، والحلق ، والطواف ، إلا قال : « افعل ولا حَرَج » [٦] ، وبات فى مِنَى ثلاث ليالى التشريق يرمى الجمرات الثلاث بعد الزوال كلَّ واحدة بسبع حصيات يُكَبِّر مع كل حصاة ، بادئاً بالأولى التى تلى مسجد الخِيْف ثم الوسطى ثم العقبة [٧] ، ولما أراد السفر إلى المدينة المنوَّرة طاف طواف الوداع [٨] .

---

(١) مسلم : ٢/ ١٢٥

(٢) البخارى : ٢/ ١٢٥

(٣) زاد المعاد : ٢/ ٢٥٧

(٤) زاد المعاد : ٢/ ٢٦٧

(٥) زاد المعاد : ٢/ ٢٧٠

(٦) زاد المعاد : ٢/ ٢٥٨

(٧) زاد المعاد : ٢/ ٢٨٥ ، ٢٩٠

(٨) زاد المعاد : ٢/ ٢٩١

فاتقوا الله أيها المسلمون . . ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (١) .

اللَّهُمَّ إنَّا نسألك حَجّاً مبروراً ، وسعياً مشكوراً ، وعملاً صالحاً مُيَسَّراً مقبولاً ، ومغفرة لذنوبنا .

اللَّهُمَّ يَسِّر لحُجَّاج بيتك أمورهم ، وأصْلِح شأنهم ، وظلِّلْهم بالغمام ، وزدهم من الفضل والإنعام ، فإنهم ضيوفك ووفود بيتك وأنت الجوَّادُ الكريم والرَّبُّ الرحيم .

اللَّهُمَّ اغفر لنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

(١) سورة المائدة : ٣

بسم الله الرحمن الرحيم

ترك القبور والتوجه إلى الله

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) . . طهَّر بيته للطائفين والعاكفين والركع السجود (٢) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، الملك الحق المبين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد . .

فإن تغاليم الإسلام لها نفوذ روحانى وتأثيرٌ فى القلوب الحيَّة ، كنفوذ الماء وتأثيره فى الأرض الخصبة ، يرويها ويحييها .

وإن الحَجَّ والعُمْرة لهما تأثير فى النفوس الطيبة ، فقد جمعا أنواع العبادة الثلاثة ، فهما عبادة روحية مالية بدنية ، وبهما تتجلى آثار الإيمان وتظهر معالم الطاعة والانقياد لله ، والرغبة فيما عند الله ، فالحاج والمعتمر يتحمل المشقة والإنفاق بطيب نفس ، ويصبر على فُرقة الأهل والمال ، ويتوجه إلى بيت الله وإلى هذه الرحاب المشرَّفة ، فَيَحُط أثقاله من الذنوب والآثام عند باب الرؤوف الرحيم ، ويُريق دموع الندم بين يدى الله عند بيت الجوَّاد الكريم ،

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) إشارة إلى الآية ١٢٥ من سورة البقرة .

فيخلع ثوب المعصية ، ويلبس حُلَّة التوبة ، فيرجع كما ولدته أُمه طاهراً نقياً من الذنوب .

ولا شك أن هذا العمل سيُغَيِّر مجرى حياة المسلم من الغفلة إلى اليقظة ، ومن الانحراف إلى الاستقامة ، ومن الكسل إلى الجد فى العمل ، ومن التردد على قبور الصالحين ودعائهم والذبح لهم ، إلى التوجه إلى الله وحده بالدعاء والاستغاثة وطلب المدد من الله وحده ، فهو الذى بيده الأُمور كلها ، وبيده حياة الإنسان وموته ، وبيده ضره ونفعه ، أما مَن سواه فمخلوق له محتاج إليه .

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (١) .

وصلُّوا على البشير النذير .....

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (٢) .

* * *

(١) سورة يونس : ١٠٧

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٢٣ - الأدب مع الله ورسوله ﷺ
خاصة فى الحج (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (٢) . . ﴿ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٣) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (٤) . .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، اختاره لتلقى وحيه ، واصطفاه لتبليغ رسالته ، فبلَّغَ وأدَّى ونصح وجاهد .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه .

أما بعد . .

فإن المسلمَ يفرح لفرح أخيه المسلم ، فنحن نعيش فرحةً غامرة بإتمام حجاج بيت الله الحرام مناسكهم ، فى أمن ورخاء وصحة ، نفرح بالإفاضات الروحانية التى أفاضها ربنا تبارك وتعالى على أهل الموقف فى ذلك اليوم العظيم . . اللَّهُمَّ فاحشرنا معهم فى المغفرة والرضوان .

---

(١) ألقيت يوم ١٤٠٧/١١/٢٩ هـ .
(٢) سورة فاطر : ١
(٣) سورة التغابن : ١
(٤) سورة الأنعام : ١٨

وأنت أخى الحاج وقد فُزت بهذه المكرمة الرَّبانية يجب عليك أن تشكر الله على ما يسَّر لك وعلى ما أعطاك وهداك ، فحافظ على نعم الله بشكرها ، ولازِم التوبة من كل الآثام ، واستقِم على طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ ، واحرص على بقاء صحيفتك صافيةً نقية .

أيها المؤمنون ؛ إذ تأملنا كتاب الله العظيم وتدبرناه وجدنا فيه كلَّ ما يحتاجه الناس فى هذه الحياة وما بعدها ، فما من شىء إلا وضع له قواعد ونظاماً فيه الخير والسعادة .

ففى مجال الأدب والتوجيه نجد القرآن العظيم يهتم بتوجيه المؤمنين إلى أقوم السُّبُل وإلى أحسن الأخلاق والسلوك ، وأهم ما يتميز به المؤمن صلتُه بخالقه ، وصلتُه برسوله محمد بن عبد الله ﷺ .

فنجد القرآن الكريم وضع نظاماً أدبياً لهذه الصلة ، أدَبَ التلقى ، وأدب التنفيذ ، ففى مستهل سورة الحجرات يقول الرب تبارك وتعالى : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١) .

الإيمان هو الرابطة بين الخالق تبارك وتعالى وبين خلقه ، وهو الصلة بين رسول الهداية وأُمَّة الإجابة .

فالإيمان نعمة من الله على المؤمن حيث اختاره ليكون من حزب الله وجنوده وأوليائه .

أما غير المؤمنين فمن حزب إبليس وجنوده وأوليائه : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٢)

---

(١) سورة الحجرات : ١

(٢) سورة البقرة : ٢٥٧

ولهذا بدأت السورة بهذا النداء الحبيب اللطيف : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ لتحريك الهِمَم بأَعزِّ الصفات وأعلاها وتنبيه النفوس إلى نعمة الله عليها ليكون أسرَع للإجابة وأقوى لتحمل المشقة مع امتثال الأمر .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى فى تفسيره : ﴿ لا تقدموا بين يدى الله ورسوله ﴾ أى : لا تُسرعوا بين يدى الله ورسوله فى الأشياء ، بل كونوا تبعاً له فى جميع الأُمور .

وهذا هو الأدب الشرعى . ومنه حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن ، فقال له صلى الله عليه وسلم : « بِمَ تحكم » ؟ قال : بكتاب الله ، قال : « فإن لم تجد » ؟ قال : بسُنَّة رسول الله ﷺ ، قال : « فإن لم تجد » ؟ قال : أجتهد رأيى ، فضرب صلى الله عليه وسلم فى صدره وقال : « الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يُرضى رسول الله » (١) .

---

(١) أخرجه أحمد فى المسند : ٥/٢٣٦ ، ٢٤٢ ، وأبو داود فى السنن برقم (٣٥٩٢) ، باب : اجتهاد الرأى فى القضاء ، والترمذى فى الجامع برقم (١٣٢٧) ، باب : ما جاء فى القاضى كيف يقضى ، كلهم من معاذ بن جبل رضى الله عنه ، وإسناده فيه الحارث ابن عمرو ابن أخى عفيرة بن شعبة عن إياس من أهل حمص من أصحاب معاذ رضى الله عنه . وقال الحافظ فى التقريب : ١/١٤٣ فى ترجمة الحارث المذكور ، رقم الترجمة (٥٢) : مجهول من السادسة ، بدون ترجمة .

قلت : ذكره الذهبى فى الميزان : ١/٤٣٩ ، رقم الترجمة (١٦٣٥) : عن رجال عن معاذ بحديث الاجتهاد . قال البخارى : لا يصح حديثه .

قلت : هكذا نقل هذا الكلام عن البخارى صاحب الصحيح ، وهكذا قال ابن عدى فى الكامل : ٢/٦١٣ ، أو قال ابن عدى : سمعت ابن حماد يقول : قال البخارى : الحارث بن عمرو ابن أخى المغيرة بن شعبة عن أصحاب معاذ ، عن معاذ روى عنه أبو عوف لا يصح ، ولا يُعرف . . . ثم ذكره . والحديث أورده الإمام ابن كثير فى =

فمعاذٌ رضى الله عنه أخَّر رأيه ونظره واجتهاده إلى ما بعد الكتاب والسُّنَّة ، ولو قدَّمه قبل الكتاب والسُّنَّة لكان من باب التقديم بين يدى الله ورسوله .

وقال علىّ بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما : ﴿ لا تقدموا بين يدى الله ورسوله ﴾ : « لا تقولوا خلاف الكتاب والسُّنَّة » (١) هذا هو الأدب الذى يجب أن يتصف به كل مؤمن مع كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ ، وهو أدب التلقى وأدب الامتثال والتنفيذ .

فلا يجوز لأى مؤمن أن يعمل عملاً أو يقول قولاً يخالف كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ .

يجب على المؤمن أن يكون هواه تبعاً لما جاء به نبينا محمد ﷺ فى جميع أعماله ونظام حياته (٢) .

= تفسيره : ٦/ ٣٦٦ ، ثم قال : رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذى ، وابن ماجه ، ثم سكت ولم يتكلم على إسناده .

قلت : قول البخارى حُجَّة ، والله أعلم .

(١) ذكره الإمام ابن كثير فى تفسيره : ٦/ ٣٦٧

(٢) إشارة إلى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ، وإسناده حسن ، أخرجه البغوى فى شرح السُّنَّة : ١/ ٢١٢ - ٢١٣ برقم (١٠٤) ، وفى إسناده نعيم بن حماد المروزى شيخ البخارى وقد تكلم فيه بعض الناس ، والتحقيق أنه ثقة يُحتج بحديثه ، ومن رجال البخارى وشيوخه ، وقال الحافظ : وقد تتبع ابن عدى ما أخطأ فيه وقال : باقى حديثه مستقيم (انظر : التقريب : ٢/ ٣٠٥ رقم الترجمة (١٢٤) .

قلت : وقد ترجم له ابن عدى فى الكامل : ٧/ ٢٤٨٢ ترجمة طويلة ، وقد تتبع أحاديث نعيم بن حماد فى هذه الترجمة ، وليس فيها هذا الحديث ، ثم قال فى نهاية الترجمة : ولنعيم بن حماد غير ما ذكرت وقد أثنى عليه قوم ، وضعَّفه قوم ، كان ممن يتصلب فى السُّنَّة ومات فى محنة القرآن فى الحبس ، وعامة ما أُنكر عليه هو الذى ذكرته ، وأرجو أن يكون باقى حديثه مستقيماً . =

فليس للمؤمن الحقيقى رأى أو إرادة يخالف منهج الله .

ولا يكون الإنسان كذلك إلا إذا عرف ثلاثة أشياء : إذا عرف عظمة الله وكمال قدرته وعظيم ملكوته : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١) .

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ (٢) .

الثانى : إذا عرف منزلة الرسول ﷺ وكمالَ رسالته وشمولَها وشهد له بالتبليغ والأداء والنصح لأُمَّته :

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٣) .

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (٤) .

الثالث : إذا عرف الإنسانُ نفسَه : أصلَه ونشأتَه ومآلَه : ﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۝٧ ﴾ (٥) .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن

= قلت : هكذا أنهى الترجمة ، والله أعلم . قال ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل (٨/ ٤٦٤) : سألت أبى عن نعيم بن حماد فقال : محله الصدق .

(١) سورة آل عمران : ٢٦

(٢) سورة الأنعام : ٩١ ، والحج : ٧٤ ، والزمر : ٦٧

(٣) سورة التوبة : ١٢٨

(٤) سورة الجمعة : ٢

(٥) سورة الطارق : ٥ - ٧

نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ﴾ (١) .

ولكن بعض الناس إذا انغمس فى أطماع هذه الدنيا وغمرته نشوتها نسى ربه ، ونبيه ، ودينه ، فيأخذ يتصرف تصرفات لا تتفق مع دين الإسلام ، ولا مع العقل والإنسانية ، فَيْستغلُه أعداءُ الإسلام وأعداء الإنسانية ، لتنفيذ مخططاتهم الهادفة إلى إضعاف الشعوب ، وسل الروح الإسلامية منهم ليسهل الاستيلاء عليهم ، واستعبادُهم ، وامتصَاصُ خيراتِ بلادهم ، فالطامعون المستعمرون لا يرون أمامهم معوقاً إلا دينَ الإسلام ، لأنه هو الذى يحفظ كرامة الفرد والجماعة ، ويحفظ حقوق الناس ، وهو الذى ينشر العدل ، ويرفع الظلم ، ويُحَرِّم استعباد الإنسان للإنسان الحر ، لذلك فإن تركيزهم على الإسلام والشعوب المسلمة ، وهم يعرفون أنه لن يكون للكافرين على المسلمين سبيلاً ، لذلك فهم يتصَيَّدون الشذاذ من المسلمين لتسخيرهم فى مصالحهم .

فحرام على المسلم أن يكون منجلاً فى يَدِ عدوِّه .

حرام عليه أن يكون مِعْوَل هدم للإسلام والمسلمين يخدِمُ مصالح أعدائهم .

يجب على المسلم أن يعرض الأمر على دين الإسلام : كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ ، فما وافق أخذ به ، وما خالف نبذه .

فاتقوا الله أيها المسلمون وراقبوه فى السر والعلن ، لن ينفعكم الناس إذا

---

(١) سورة الحج : ٥

أطعتموهم وعصيتم ربكم ، لن ينفعوكم إذا اتخذتم بعض الناس أرباباً من دون الله تقدمون طاعتهم على طاعة الله .

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ (١) .

* *

(١) سورة آل عمران : ٨

بسم الله الرحمن الرحيم

أدب مناجاة الرسول ﷺ

(الخطبة الثانية)

الحمد لله الهادى إلى سبيل الرشاد .

وأشهد أن لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له . . يهدى مَن يشاء ويُضل مَن يشاء [١] ، وإليه المعاد .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله خير العباد .

صَلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم التناد .

أما بعد . .

فيقول الخالق تبارك وتعالى فى محكم التنزيل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [٢] .

يأمر الخالق تبارك وتعالى عباده المؤمنين بأدب الخطاب والمناجاة مع رسول الله ﷺ وتوقيره فى القلوب والألسن خشية أن يغضب عليهم رسول الله ﷺ ، فيغضبُ الله لغضب نبيه فتحبط أعمالُهم فيهلكوا .

لما نزلت هذه الآية قال أمير المؤمنين أبو بكر عبدُ الله بن أبى قحافة رضى الله عنه للنبى ﷺ : والله لا أكلمك إلا كأخى السرار [٣] ؛ يعنى الهمس وخَفْض الصوت .

---

(١) إشارة إلى الآية ٤ من سورة إبراهيم ، والآية ٩٣ من سورة النحل ، والآية ٨ من سورة فاطر ، والآية ٣١ من سورة المدثر .

(٢) سورة الحجرات : ٢

(٣) عزاه الإمام ابن كثير فى تفسيره إلى مسند البزار : ٣٦٨/٦ عن أبى بكر الصِّدِّيق رضى الله عنه مع الشاهد الآخر .

وأمير المؤمنين عمر بنُ الخطَّاب رضى الله عنه ما كان يُسْمِع رسولَ الله ﷺ حتى يستفهمه (١) .

وقال ثابت بن قيس بن الشماس رضى الله عنه : أنا الذى كنت أرفع صوتى على رسول الله ، وخاف أنه حبط عمله فجلس حزيناً فى بيته حتى بشَّره النبى ﷺ بأنه من أهل الجنَّة (٢) ، وهكذا أصحاب رسول الله يتلقون الوحى من النبى ﷺ بفهم وقبول وتنفيذ فى الحال فأثنى الله عليهم بقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (٣) .

ولا شك أن أن حُرْمة النبى ﷺ بعد الْتحاقه بالرفيق الأعلى مِثْلُ حُرمته فى حياته عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ؛ فلا يجوز رفع الصوت عند قبره ولا فى مسجده - صلى الله عليه وسلم - ، احتراماً له وتأدباً معه وتوقيراً .

روى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أنه سمع صوت رجلين فى مسجد النبى ﷺ قد ارتفعت أصواتهما فجاء ، فقال : أتدريان أين أنتما ؟! ثم قال : من أين أنتما ؟ قالا : من أهل الطائف ، فقال : لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضرباً (٤) .

---

(١) البخارى : ٨/ ٥٩٠ برقم (٨٤٤٥) من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه وأحمد فى المسند : ٤/ ٤

(٢) البخارى ٨/ ٥٩٠ برقم (٤٨٤٦) من حديث أنس رضى الله عنه أورده ابن كثير فى التفسير : ٦/ ٣٦٨

(٣) سورة الحجرات : ٣

(٤) أخرجه البخارى مع الفتح : ١١/ ٥٦٠ ، وفى الصحيح برقم (٤٧٠) ، باب (٨٣) : رفع الصوت فى المسجد ؛ وهو من حديث السائب بن يزيد رضى الله عنه ، وقد أورد الحديث الإمام ابن كثير فى تفسيره : ٦/ ٣٧٠ وقال : قد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضى الله عنه - ثم ذكر الحديث . =

فلا يجوز للمؤمن أن يرفع صوته أمام قبر النبى ﷺ ، بل يُسَلِّم عليه بأدب واحترام كأنه حى تماماً ، حتى فى الصفة التى يُسَلِّم بها المؤمن على النبى تكون مثلَ سلامه عليه حياً ، فإذا صَلَّى فى المسجد ركعتين ذهب إلى المواجهة الشريفة فيُسَلِّم باختصار وإيجاز لأنه من الأدب والاحترام تقليل الكلام أمامه صلى الله عليه وسلم ، فيقول : « السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، أشهد أنْ لا إلَه إلا الله وأنك عبده ورسوله ، وأنك بلَّغتَ الرسالة وأديتَ الأمانة ونصحتَ الأُمَّة وجاهدت فى الله حق جهاده » (١) .

ثم يُسَلِّم على أمير المؤمنين أبى بكر الصِّدِّيق رضى الله عنه ، ثم يُسَلِّم على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ثم إذا أراد أن يدعو يتوجَّه إلى القِبْلة ، ويدعو الله بما أحب ، وإن قال : « اللَّهُمَّ آت محمداً الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه المقام الذى وعدته » ، فحسَنٌ ، ولا يجوز الطواف حول الحجرة النبوية المطهَّرة ، وإنما الطواف خاص ببيت الله الكعبة المشرَّفة فقط .

فاتقوا الله أيها المؤمنون . . إنكم فى بلد رسول الله ﷺ وفى حرمه

= قلت : وإن عنده إسناداً مستقلاً عن عمر بن الخطَّاب رضى الله عنه فللَّه دره رحمه الله تعالى . .

(١) هذا من خطبة النبى ﷺ فى يوم عرفة أخرجه مسلم فى الحج رقم الحديث (١٤٧) ، وابن ماجه برقم (٧٤٣٠) ، وهو جواب بعض أصحابه له عليه الصلاة والسلام حينما قال لهم فى خطبة : « وأنتم مسئولون عنى ، فما أنتم قائلون » ؟ ثم أجابوه رضى الله عنهم بهذا اللفظ ، وأخرجه أحمد فى المسند : ١٦/٥ ، وذلك من حديث خطبة سمرة ابن جندب، رضى الله عنه .

ومواطئ أقدامه ، فأحسنوا الاقتداء به ، وأحسنوا الأدب فى الأفعال والأقوال والجوار والأخلاق .

وصلُّوا على البشير النذير .....

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

* * *

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٢٤ - التوفيق للحج نعمة يجب شكرها (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ ﴾ (٢) . بعث محمداً ﷺ بالهُدَى ودين الحق ليُظْهِرَهُ على الدين كله (٣) .

أحمده وأستعينه وأستغفره وأتوب إليه ، وأعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور ، وهداهم به إلى صراطه المستقيم ، فبلَّغ ، ونصح ، وجاهد ، وتركنا على المحَجَّة البيضاء ليلُها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك (٤) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك محمد ، وعلىٰ آله وأصحابه وأتباعهم بإحسان وسَلِّم تسليماً كثيراً .

---

(١) ألقيت يوم ١٢/١٢/١٤٠٨ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى الآية ٣٣ من سورة التوبة ، والآية ٢٨ من سورة الفتح ، والآية ٩ من سورة الصف .

(٤) إشارة إلى حديث العرباض بن سارية رضى الله عنه ، أخرجه ابن ماجه فى السُّنَّة : ١/١٦ ، المقدمة ، باب (٦) : اتباع سُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين ، حديث رقم (٤٣) ، وإسناده حسن مع الشواهد الكثيرة .

أما بعد . .

فيا أيها الناس ؛ اتقوا الله تعالى فإن التقوى هى ملاكُ الأُمور وأساسُها فراقبوا الله تعالى فى كل أعمالكم ، وأحوالكم ، وفى جميع أوقاتكم ، إنه يعلم السر والعلن .

عباد الله ؛ إن يومنا هذا من الأيام المفضَّلة ، أيام الذِكْر والدعاء والإنابة والاستغفار ، أيام الخير والبركة ، فهو أحد الأيام المعلومات ، وثالث الأيام المعدودات ، وهو يوم النفر الأول من الحج لمن تعجَّل ، ويومنا هذا ويوم غد ، هما آخر الأيام المشرَّفة فى عامنا ، فقد تصرَّم هذا العام ، ومضت ساعاته ، وانقضت أيامه وشهوره ، بما فيها من مواسم الخير والبركة والأيام والليالى المفضَّلة .

وعلى وشك أن تُطْوَى صحائف هذا العام بما أودع فيها من الأعمال والأقوال ، فكم من صحيفة مضيئة مشرقة تحمل لصاحبها الخير والسعادة والعِزَّة والكرامة والفوز والفلاح ، وكم من صحيفة مظلمة كالحة تحمل لصاحبها الخيبة والخزى والعار والهلاك ، فعلينا أن نتدارك ما بقى من هذه الأيام القلائل قبل أن تُطْوَى الصحائف ، فمَن كان عمل عملاً صالحاً وسطر فى صحيفته خيراً ، فليحافظ على نقاء صحيفته ، وليتزوّد من الحسنات والأعمال الصالحة .

ومَن كان أساء فيما مضى وسطر فى صحيفته المعاصى والإهمال والأمانى ، فليتنبه من غفلته ويثيب إلى الله تعالى ، فليندم على ما مضى ، وليُقلع عن المعاصى ، وليعزم على إصلاح العمل والقول فى المستقبل ، ويبدأ حياةً عمليةً صالحة خالصة لوجه الله تعالى ، فإنَّ الله يتوب على مَن تاب ، ويقبل مَن أناب ، ويعفو عن السيئات ، فسبحانه من إله عظيم ، ورب كريم ، رؤوف

رحيم ، يقبل القليل ويجزى عليه الجزيل ، ويعفو عن الكبير ويستر الإثم العظيم .

عباد الله ؛ فى هذا اليوم يُوَدِّع الحُجَّاج مشاعر الحَج الطيبة المقدَّسة ، بعد أن وقفوا بين يدى الله فى تلك البقاع المفضلة ، سيعودون من تلك المجتمعات الإسلامية الخالدة ، بعد أن أفاض عليهم الرب جَلَّ جلاله ، وتقدَّست صفاته وسماؤه من نفحات جُوده وكرمه ، ووهب مسيئهم لمحسنهم ، وغفر لهم ولمن شفعوا فيه ، سينصرفون إلى أهليهم وبلادهم بعد أن فازوا بهذا الفضل العظيم وهذا الشرف الدائم بيُسْر وسهولة فى أمن وأمان وراحة واستقرار ورغد من العيش ، فهنيئاً لمن كان حَجّه مبروراً وسعيه مشكوراً وعمله مقبولاً ، وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أُمه (١) ، وفاز برضوان الله ورحمته ، فهذه نعمة كبرى يجب شكرها ورعايتُها ، فما جزاء النعمة إلا الشكر ، وما جزاء التوفيق إلا التزود من الخير والاستقامة ، وما جزاء المغفرة إلا الإكثارُ من العمل الصالح وإخلاص العمل لله وتعلقُ القلب بالله وحده لا شريك له .

أيها المؤمنون ؛ إذا تأمل الإنسان هذه الشعائر الإسلامية وتلك المجتمعات المقدَّسة ، علم أنها مجتمعات إسلاميةٌ ساميةٌ فى مقاصدها ، عاليةٌ فى أهدافها ، مثمرةٌ فى نتائجها ، تهدف إلى الخير وإسعاد الأُمَّة ، وجمع الشمل ، وتوحيد الكلمة ، وتوطيد روابط الأُخوة الإسلامية وتثبيت قواعدها ، وتحث على التضامن والاعتصام بحبل الله ، وكذلك إذا تأملنا جميع أصول الدين وفروعَه

---

(١) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضى الله عنه : أخرجه الشيخان فى صحيحيهما فى هذا المعنى ، البخارى : ١/ ٧٣ ، باب : « مَن قال : إن الإيمان هو العمل » ، وكذا مسلم فى كتاب الإيمان ، باب : بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال ، والبغوى فى شرح السُّنَّة : ٧/ ٤ برقم (١٨٤١) .

وجدناها تهدف لإسعاد الإنسانية وتحافظ على حقوقها وكرامتها ، وترتفع بها عن مشابهة الحيوانات فى طباعها .

فتشريع الإسلام - أمره ونهيه - كله فى مصلحة الإنسان فى عاجل أمره وآجله ، فالله غنىٌ عمن سواه ، لا تنفعه طاعة المطيع ولا تضره معصية العاصى .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ (١) .

﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (٢) .

كما أنها كلَّها تحث المسلمين على التعاون والتكاتف والتضامن ، فمثلاً : الإيمان بالله وربوبيته وإلهيته وعبادته وحده لا شريك له ، كما أنها حقٌ واجبٌ لله على عباده ، فهو الذى خلقهم ورزقهم ويسَّرَ لهم سُبُل الحياة ، وفضَّلهم على كثير ممن خلق تفضيلاً ، فهى الرابطة القوية بين المسلمين ، يلتفون حولها ويعملون لتحقيق معناها والدعوة لها والدفاع عنها .

والصلاة . . كما أنها صلة بين العبد وربه ، فهى أيضاً صلة بين المسلم وأخيه المسلم ، يجتمعون لها فى المساجد فيحصل بينهم التواصل والتعاطف والتَعرفُ على أحوالهم وتجديدُ روابط الإخوة الإسلامية كل يوم وليلة خَمْسَ مرات .

وكذلك صلاة الجمعة والعيدين . . مظهر من مظاهر الوحدة والإخوة ، فالمسلمون فى كل بلد يجتمعون للصلاة فى مكان واحد ، لهدف واحد ، ويقتدون بإمام واحد فى أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته .

الزكاة بركة فى المال ، وطُهْرة للنفس ، ومواساة للفقراء ، وتصل بين

---

(١) سورة فاطر : ١٥

(٢) سورة فصلت : ٤٦

المسلم الغنى وأخيه الفقير ، تبعث المودَّة بينهما والمحبة ، فيحصل توطيد الروابط والصلات الأخوية .

الصيام صلة خفية بين العبد وربه ، وفيه منافع للإنسان فى بدنه ونفسيته ، وفيه كسر شهوات النفس وتضييق مجارى الشيطان الذى هو حريص كل الحرص على تفريق شمل المسلمين ، وإيجاد الضغائن والخلاف بينهم ، كما أنه يُذكِّر الأغنياء بحالة إخوانهم الفقراء طيلة أيام العام .

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إصلاح للمجتمع ، يدفع ما يُفسده ويصدعُ وحدته وإخوتَه ، ويحافظ على بقائها واستقامتها .

وتحريم الزنا والربا والخمور ، والغيبة والنميمة ، وتحريم الأموال والأعراض والدماء إلا بحق : فيه حفظ الأنساب والكرامات والشيم والإخوة والمحبة بين جميع أفراد الأُمَّة ، وفيه قطعٌ لأسباب الخلاف والشقاق ، وحفظٌ للحقوق .

فمَن حافظ على تعاليم الدين وقام بها على الوجه المشروع ، فهو يدعو بعمله هذا إلى الإسلام وإلى التضامن والوحدة الإسلامية .

وأما مَن ضيَّعَ شرائع الإسلام وخالف أوامره ونواهيه وحدوده وحقوقه ، فهو بذلك دعاية سيئة ضد الإسلام وضد التضامن والوحدة الإسلامية .

وإننا - أيها المسلمون - فى وقت أحوج ما يكون فيه المسلمون إلى التعاون والتكاتف والاستعداد والقوة والاعتصام بحبل الله . فى هذا الوقت الذى قام فيه إمام المسلمين بتجديد الدعوة للإسلام والتضامن الإسلامى ، يجب أن يكون كل فرد منا قدوةً حسنةً ومثالاً صحيحاً للإنسان المسلم ، ينبغى أن نكون مثالاً فى القيام بشرائع ديننا والتأدب بآدابه ، والائتمار بأوامره ، والوقوف عند نواهيه ، والتحلِّى بالأخلاق الفاضلة والشِيَم الكريمة ، والعفة والنزاهة والترفع عن الدناءة ، ويجب الصدق فى القول والمعاملات ، والوفاء بالوعد والعهد ،

والنُّصح لكل مسلم ، وينبغى أن نكون مثالاً حقاً فى الإيمان الصادق والعقيدة السليمة المستقيمة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كما أمرنا رسول الله ﷺ حتى نكون حقاً خير أُمَّة أخرجت للناس (١) بالمعنى الصحيح .

فاتقوا الله تعالى واشكروه على هدايته وتوفيقه فى هذه البقعة المقدَّسة ، فى جوار المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فأحسنوا الجوار واعملوا بسُنَّته واهتدوا بهَدْيه .

اللَّهُمَّ ألهمنا رشدنا ، وقِنا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، ونزغات الشيطان .

اللَّهُمَّ أصلح شأن المسلمين ، وأخرجهم من الظلمات إلى النور ، واجمع كلمتهم على الهُدَى ، وقوِّ شَوْكتهم ووَحِّد صفوفهم وانصرهم على أعدائهم ، واحفظ كرامتهم ، وأعِدْ لهم مجدهم وعزَّتهم ، إنك أنت العزيز الحكيم .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (٢) .

بارك الله لى ولكم فى القرآن العظيم ، ونفعنى وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

* *

---

(١) إشارة إلى الآية ١١٠ من سورة آل عمران .

(٢) سورة آل عمران : ١٠٢ - ١٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

إكرام الزُّوّار

(الخطبة الثانية)

الحمد لله على نعمه التى لا تُحصَى .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

صَلَّى الله عليه وسَلَّم وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه واستنَّ بسُنَّته .

أما بعد . .

فيا أيها المسلمون ؛ اتقوا الله تعالى ، واستمسكوا بالعروة الوثقى [١] ، ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ [٢] .

عباد الله ؛ بعد وقت قليل سيفد إلى هذا المسجد الكريم الطاهر جَمٌّ غفيرٌ من وفود البيت الحرام لزيارة مسجد رسول الله ﷺ [٣] ، هذا المسجد الذى أُسس على التقوى من أول يوم [٤] ، فى هذا البلد الذى حرَّمه رسول الله ﷺ ، واختاره الله مكان هجرة لرسوله ﷺ ، فهو منبع الرسالة ومشع النور

---

(١) إشارة إلى الآية ٢٥٦ من سورة البقرة ، والآية ٢٢ من سورة لقمان .

(٢) سورة البقرة : ١٩٧

(٣) إشارة إلى حديث أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله عنهما ، أخرجهما البخارى مع الفتح : ٤/ ٢١٠ من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه بسياق طويل فى الصوم ، باب : الصوم يوم النحر ، ومسلم فى الصحيح برقم (٨٢٧) ، (٤١٦) فى الحج ، ومن حديث أبى هريرة رضى الله عنه مختصراً ، ومسلم فى الصحيح برقم (١٣٠٧) باب : « لا تُشَد الرِّحال إلا إلى ثلاثة مساجد . . . . . » .

(٤) إشارة إلى الآية ١٠٨ من سورة التوبة .

ومصدر الهدى ومأرز الإيمان ، فأحسنوا جوارهم ، وخالقوهم بالخُلُق الحسن ، وأصدقوهم فى المعاملة ، وانصحوا لهم ، وأحِبُّوا لهم كما تحبون لأنفسكم ، وكونوا لهم قدوة حسنة فى المعاملة الإسلامية والأخلاق الفاضلة ، فإنهم سينقلون الصورة التى يجدونها فى هذا البلد الشريف ، مدرسة محمد ﷺ .

فاتقوا الله فى ضيوف الله وزُوَّار مسجد رسول الله ، واتقوا الله فى دينكم ، تخلَّقوا بأخلاقه وتأدَّبوا بآدابه ، وصَلُّوا على النبى المصطفى فقد أمركم الله بذلك فقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك محمد ، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر .

وارض اللَّهُمَّ عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء : أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلىّ ، وعن بقية أصحاب نبيِّك أجمعين ، وعن التابعين ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللَّهُمَّ أعِزَّ الإسلام والمسلمين ، وأذِلَّ الشِّرك والمشركين ، ودَمِّر أعداء الدين ، واحم حَوْزة الإسلام يا أرحم الراحمين .

اللَّهُمَّ أدم علينا نعمة الأمن والإيمان ، وعُمَّ بها جميع بلاد المسلمين ، وزدنا من جودك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللَّهُمَّ احفظ إمامنا ووَفِّقه لما تُحب وترضَى ، وكَلِّل مساعيه بالنجاح ، وأعِزَّهُ بالإسلام وانصر به المسلمين ، واجمع كلمتهم على يديه يا خير مَن دُعِىَ وأجاب . . . . . إلى آخر الدعاء .

* * *

---

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٢٥ - وصية للحجاج [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [٢] .

اللَّهُمَّ لا نُحصى ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، لك الحمد ربنا : أكملتَ ديننا وأتممتَ علينا نعمتك ورضيت الإسلام لنا ديناً [٣] . . فلك الحمد إلهنا .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له . . واحد فى ربوبيته ، واحد فى أُلوهيته ، واحد فى أسمائه وصفاته ، واحد فى أمره ونهيه وتشريعاته .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، بلَّغ الرسالة وأدَّى الأمانة ونصح للأُمَّة وجاهد فى الله حق جهاده ، وتركنا على المحَجَّة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اتبع هَدْيه وسار على منهاجه .

أما بعد . .

فأُوصيكم وإياى بتقوى الله ، اجعلوا بينكم وبين غضبه وعقابه وقاية ، ولا واق إلا طاعتُه وطاعة رسوله ﷺ : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى

---

(١) ألقيت يوم ١٩/١٢/١٤٠٨ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى الآية ٣ من سورة المائدة .

﴿يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (١) ، ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (٢) ، ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ (٣) .

أيها الحاج الكريم ؛ لقد أديتَ شعائر حَجّ هذا العام ، واشتركتَ فى هذه العبادة الإسلامية الكبيرة ، واطلعتَ بنفسك على عدالة الإسلام وتسويته بين أبنائه فى الأقوال والأفعال واللِّباس والمواقف والهدف . الكل مُتَّجه لله ، والكل خاضع لله ، والكل مناجى لله ، والكل يعاهد الله بالإقامة على طاعته ، والله تعالى مُطَلِّع يَسْمَع ويرى .

لقد عرفت أخى المسلم كيف يقيم الإسلام تَصورات المسلمين ومناهجَهم وسلوكَهم وحياتهم كلها على أساس العقيدة الخالصة لله ، وعلى أساس الوحدانية المطلقة لله ، لقد زالت جميع التقاليد والعادات وجميع السمات إلا سمة العبودية لله ووحدانيته .

لقد أعلَنْتَ أيها الحاج التوبة لله وأشهدته عليها ، وأرقتَ دموع الندم فى تلك المشاعر ، وعاهدتَ ربك أن تُوَحِّده بالعبادة ، وأن تُفْرده بالعمل الخالص لوجهه ، ولقد رجوتَ من الله وحده المغفرة والرضوان ، ورجوتَ الخروج من ذنوبك ، ورجعتَ كيوم ولدتك أُمك ، لقد رجوتَ من الله وحده أن تعود صحيفتك بيضاءَ نقية لا سواد فيها ولا معصية .

فأوف بعهدك وحافظ على توبتك ، وانظر ماذا تَضَعُ فى صحيفتك ، احذر كل الحذر أن تنقض عهدك مع الله ، احذر كل الحذر أن تُدَنِّس صحيفة تعبت على تنقيتها .

---

(١) سورة آل عمران : ٣١

(٢) سورة النساء : ٨٠

(٣) سورة الحشر : ٧ ، وأولها : ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى .... ﴾ .

قد ترى إذا رجعت إلى بلادك من العادات والتقاليد ما يخالف شريعة دينك ، قد ترى ما ينافى الوحدانية لله ، قد ترى العبودية لغير الله ، قد ترى المثيرات والمغريات ، فإياك أن تقع فيها ، إياك أن يخدعك المخادعون ، اعتز بدينك وارفع رأسك به فخراً واعتزازاً ، قولاً وعملاً واعتقاداً ، فإنه دين خالد وشريعة ثابتة كاملة ، اختاره جَلَّ شأنه ونزَّله على خير رُسُله وأنبيائه صلى الله عليه وسلم ليكون شريعة ومنهجاً ونظاماً لكل أُمَّة ولكل جيل إلى أن تقوم الساعة ، فليس لكل زمان شريعة وليس لكل عصر دين وليس لكل إقليم نظاماً ، إنما هى الرسالة الأخيرة للبَشَر جميعاً ، إنما هو دين الله الذى اختاره لخلقه قد أكمله وأتمه ، وأتمَّ به النعمة ورضيه لهم ديناً ، فمَن أراد أن يُبْدِّل أو يُغَيِّر أو يُطَوِّر فقد ابتغى ديناً غير الإسلام : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (١) ، ولا يكفى إذاً أن يتخذ البَشَر لأنفسهم شرائع تشابه شريعة الله ، أو حتى شريعة الله إذا هم نسبوها إلى أنفسهم ووضعوا عليها شاراتهم ولم يردوها إلى الله : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (٢) ، إن تعديل شىء من هذا الدين أو إدخال ما ليس منه فيه كإنكاره كله لأنه إنكار لما قرر الله تمامه وكماله .

إن منهج الإسلام منهج إلَهى يشتمل على تصحيح الاعتقاد وإخلاص العبادة لله ، كما يشتمل على الشرائع المنظمة لنشاط الحياة كلها ، وهو يسمح للحياة بأن تنمو فى إطاره وترتقى وتتطور دون خروج على أصل فيه ولا فرع ، لأنه أُنْزِل من عند الله لتوحيد المصدر الذى تتلقى منه البَشَرية منهج حياتها ونظام مجتمعها وشرائع ارتباطاتها ومصالحها إلى يوم القيامة .

---

(١) سورة آل عمران : ٨٥

(٢) سورة المائدة : ٣ ، وأولها : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ .... ﴾ .

إن تطور الحياة فى ظل منهج الإسلام لا يعنى مجافاتها أو إهمالها لأصل من أُصوله ولا لفرع من فروعه ، ولكن يعنى أن طبيعة هذا المنهج تحتوى على الإمكانيات التى تتسع لهذا التطور ، وليكن معلوماً أنَّ كل تطور فى الحياة - سواء حاضراً ومستقبلاً - كان محسوباً حسابه فى ذلك المنهج الإسلامى ، لأن الذى أنزله ونظَّمه وشرَّعه لا يخفى عليه أنَّ هناك تطوراتٍ ستقع ، وأنَّ هناك حاجات ستبرز ، وأنَّ هناك مقتضيات تحتاج إليها هذه التطورات والحاجات ، ولقد أعلن فى أواخر الرسالة فى حَجَّة الوداع أنه أكمله وارتضاه للناس ديناً ، وما قَدَرَ الله حقَّ قدره مَن يظن غير هذا فى أمر من الأُمور .

فيجب على المسلم أن يكون سلوكه على منهج الإسلام ، وأن يكون نظام حياته وفق شريعة محمد ﷺ ، وأن يكون إيمانه وعقيدته ثابتةً قويةً راسخة لا تلعب بها الأهواء ، ولا تزعزعها الدعايات ، ولا تقبل البدع والخرافات .

أخى المسلم ؛ احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألتَ فاسأل الله ، وإذا استعنتَ فاستعن بالله ، واعلم أن الأُمَّة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك [١] .

أخى المسلم ؛ تعرَّف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة [٢] ، لا تُعَلِّق

---

(١) إشارة إلى الحديث الذى رواه الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، وأوله : « يا غلام ؛ إنى أعلمك كلمات . . . . . » ، وقال الترمذى : حديث حسن صحيح ، وفى رواية غير الترمذى : « احفظ الله تجده أمامك ، تعرَّف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة ، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسراً » .

(٢) جزء من الحديث السابق فى رواية غير الترمذى .

قلبك بأحد غير الله ، ولا تطلب الغوث والمدد إلا من الله ، ولا تطلب قضاء الحوائج وكشف الضُّرّ إلا من الله .

اللَّهُمَّ إنَّا نسألك الثبات على الأمر والعزيمة على الرُّشد والفوز بالجنَّة والنجاة من النار .

اللَّهُمَّ اغفر لنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

بسم الله الرحمن الرحيم

التوجه إلى الله وترك القُطْب والغَوْث

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٢ ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، الملك الحق المبين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فإن التناصح بين المسلمين واجب بل قاعدة من قواعد الدين وأصل من أصول الإسلام ، ومن حقوق المسلم على أخيه أن ينصح له ، فالجارُ يأتى يوم القيامة إلى جاره ويأخذ بتلابيبه يقول : رأيتنى على معصية ولم تنهنى ، والعامة تأخذ بتلابيب العلماء يقولون : رأيتمونا على معاصى ولم تُبَيِّنوا لنا .

ومن هذا الباب أنصحك أيها المسلم وأُبيِّن لك ، بأن دعاة الضلال قد كثروا ونشطوا ، سترى أُناساً يلبسون ثياب الإسلام والإسلام منهم برئ ، فمنهم مَن هو مغرور مخدوع تائه ، ومنهم مَن هو عميل للصليب واليهود والماسونية ، إنهم يريدون أن يقطعوا صلتك بربك ، يريدون أن تجعلهم واسطة بينك وبين خالقك ، ليتحكمُّوا فى سلوكك ، ولتكون عبداً لهم تُقَبِّل الأرض من تحت أقدامهم .

---

(١) سورة الفاتحة : ٢ - ٣

لقد أتاك الله السمع والبصر والفؤاد ، فاستعمل عقلك وفكِّر فى أمرك وقِس الأمور بمقاييس الشريعة وزِنْها بموازين الإسلام ، فما كان موافقاً فخذه وما كان مخالفاً فدعه وارفض الدعوة إليه .

إذا قال لك قائل : هَلُمَ بنا إلى القطب والغَوْث فقل له : المغيث هو الله ، والرازق هو الله ، والنافع والضار هو الله ، فتوجه إليه واترك مَن سواه .

وإذا قال لك : تعال إلى ضريح الرجل الصالح ، فقل : تعال إلى الحى الذى لا يموت ، تعال إلى الذى خلقه وأماته ، تعال إلى الحى القيوم : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ (١)

وإذا قال لك قائل : تعال إلى المسارح والكباريهات ، فقل : هَلُمَ بنا إلى بيوت الله محل العبادة والطاعات ، وإذا دعاك إلى الساحل حيث العراة ، فادعه إلى مجالس العلم وحلَق العلماء ، وإذا دعاك لتلعب القمار فقل : تعال إلى البيع والشراء والكسب الحلال ، وإذا دعاك إلى الشراب المحرَّم ، فادعه إلى ما أحلَّ الله من الطيبات ، وإذا دعاك لسماع المطربين والمطربات ، فادعه إلى سماع كلام رب الأرض والسموات القرآن الكريم ، وإذا دعاك إلى الزنا والمحرَّمات ، فادعه إلى الزواج الشرعى واحذر المومسات ، وإذا أعجبتك امرأة بجمالها فاذهب إلى زوجك ، فإن معها مثل الذى معها ، وإذا قال : تعال نسهر ليلنا على المسليات ، فقل : تعال نناجى ربنا فى الغفلات .

إنهما طريقان متغايران ومنهجان متضادان : منهج إبليس وجنوده وأعوانه يتبعه الغاوون ، ومنهج محمد ﷺ إلى ربه يتبعه المهتدون ، فاختر لنفسك أيها المسلم ما فيه سلامة عقيدتك ، ونظافة إيمانك ، وما يُقَوِّى صلتك بربك ،

---

(١) سورة الشعراء : ٧٨ - ٨٢

واحذر كل الحذر أن تخدعك الدعايات وأن يصطادك الضُّلال ، احذر أن تُصلح دنياك وتُفسد آخرتك ، احذر أن تُصلح بدنك وتُعذِّب روحك .

اتقوا الله أيها المسلمون ، إن دينكم واضح جلى كامل متكامل لا يحتاج إلى زيادة ولا يقبل النقصان ، فخذوا به واتركوا ما سواه .

وصَلُّوا على البشير النذير . . . . . .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

* * *

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٢٦ - تذكير الحاج بالأحوال أولاً ..

والمقارنة بينها وبين الوقت الحاضر [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ ﴾ [٢] .

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا ﴾ [٣] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .. نزَّل الذِكْر وحفظه من العابثين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، بعثه الله رحمة للعالمين [٤] .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإن الله تعالى اعتنى بهذه الأُمَّة ، أُمَّة محمد ﷺ وأكرمها وفضَّلها ، فاختار لها ديناً قِيَما ومِلَّة سمحة كاملةً شاملةً عزيزةً قويةً ثابتةً ، متلائمة مع الفِطْرة ،

---

(١) ألقيت يوم ١٣/١٢/١٤٠٧ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) سورة الكهف : ١

(٤) إشارة إلى الآية ١٠٧ من سورة الأنبياء .

وافية بمتطلبات العقل والروح والبدن ؛ شاملة لحاجات العمران والتقدم وحاجات البيئات المتنوعة ومتطلبات الحياة .

وما من صاحب ملَّة غير الإسلام ينظر إلى الإسلام نظرة مجردة من التعصب والهوى ، إلا ويقر بفقه هذا الدين وكماله وشموله ، وقدرته على قيادة البَشَر وسياسة الحياة قيادةً حكيمة رشيدة .

ولقد تحدَّى القرآن خصومه على أن يأتوا بمثله أو بعَشْر سور مثله ، أو بسورة واحدة فعجزوا واستسلموا : ﴿ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ﴾ (١) .

قد عجز أعداء هذا الدين أن يُبطلوه ؛ أو يُنقصوه ، أو يُحرفوه ، فقد كتب الله له الكمال وسجَّل له البقاء ، فهو الدين الذى بقى محفوظاً لا تصل إليه أيد العابثين على كثرة أعدائه ومحاولاتهم ، محفوظاً لا يناله الدثور ، فما كان لأعداء الإسلام أن ينالوا منه أبداً ، وما كان لهم أن ينالوا من أهله إلا إذا انحرفوا عنه ، فلم ينهضوا بتكاليفه ومقتضياه ، ولم يحققوا نصوصه وأحكامه ، اختاره الله ليكون خاتماً لرسالاته إلى الثَّقَلين الجن والإنس حتى تنقضى هذه الحياة .

لا يجوز للمؤمن أن يتصور أن فى هذا الدين نقصاً يستدعى الإضافة ، فيبتدع فيه ما ليس منه فيهلك ، ولا أن يعتقد أن فيه زيادة لا تتلاءم مع العصر فيُلغيها فيهلك : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (٢) .

إن ارتضاء الله الإسلام ديناً لهذه الأُمَّة يقتضى بذل جُهدها وطاقتها فى

---

(١) سورة المائدة : ٣

(٢) سورة المائدة : ٣

إدراك هذا الاختيار ، وبذل الوسع فى معرفة النعمة التى أتمها والاجتهاد فى شكرها والاستقامة عليها .

إنه من الجهالة والحماقة أن يرفض المسلم ما رضيه الله له ويختار غيره ، وإنها لجريمة نكدة لا تذهب بغير عقاب أن يرفض المسلم ديناً رضيه الخالق لعباده المؤمنين ، وقد يُمهل الله الذين لم يدخلوا فى الإسلام ولم يؤمنوا به فاتخذوا لأنفسهم منهجاً غير الإسلام ، قد يمهلهم الرب إلى يوم يلقونه : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾ (١)

الذين دخلوا فى الإسلام فتركوا منهجه إلى مناهج من وضع البَشَر ، لن يتركهم الله أبداً وسيذوقون وبال أمرهم فى هذه الحياة إن لم يتوبوا ويرجعوا إلى إسلامهم وإلى ربهم : ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ (٢) .

الإسلام نظامٌ متماسك يؤيد بعضه بعضاً ، غير قابل للتجزئة ولا التفرقة ، ولا الأخذ ببعض وترك بعض ، سواء ما يختص بالاعتقاد ، أو ما يختص بالشعائر والعبادات أو ما يختص بالمعاملات والحلال والحرام ، أو ما يختص بالتنظيمات الاجتماعية وغير ذلك من تشريعات الإسلام ، فمجموعها هو الدين الذى أكمله الله ، وهو النعمة التى أتمها ، فالخروج على قاعدة من هذا الدين كالخروج عليه كله : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٣) .

---

(١) سورة إبراهيم : ٤٢ - ٤٣

(٢) سورة الإسراء : ١٦ - ١٧

(٣) سورة البقرة : ٨٥

إن هذا الدين مُصَدِّقاً لما سبقه من الرسالات السماوية ومهيمناً عليها ، ولقد ظهر دين الله وامتد إلى المعمورة كلها ، ولا يزال دين الحق ظاهراً على الدين كله حتى بعد انحساره عن جزء كبير من الأرض التى فتحها ، وحتى بعد انحسار قوة المسلمين ، فوعد الله محقق : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ (١) .

فما يزال هذا الدين ظاهراً على الدين كله فى حقيقته ، أما ظهور المسلمين فهو متوقف على حملهم هذا الدين بالمعنى الحقيقى قولاً وعملاً واعتقاداً ودعوة وجهاداً .

روى البخارى رحمه الله فى صحيحه بسنده عن معاوية بن سفيان رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يزال من أُمتى أُمة قائمة بأمر الله لا يضرهم مَن خذلهم ولا مَن خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك » (٢) ، ولئن كان المنافقون فى كل زمان ومكان يتربصون بالمؤمنين الدوائر ويتوعدونهم بالخذلان ، فإن القرآن لا يبالى بكيد الكافرين والمنافقين :

﴿ هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ ۖ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ (٣) .

---

(١) سورة الفتح : ٢٨

(٢) البخارى مع الفتح : ٦/ ٤٦٤ ، ومسلم : ٣/ ١٥٢٤ برقم (١٠٣٧) ، كلاهما من حديث معاوية رضى الله عنه .

(٣) سورة آل عمران : ١١٩ - ١٢٠

ولئن كان المنافقون يغترون بأنفسهم وسياستهم ويرون أنهم أعزَّة أقوياء ، فهذا دليل على عمق جهلهم وغفلتهم عن صاحب العزَّة والقوة المتين ، فهم الأذِّلة والمحتقَرون الصاغرون : ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣) .

إن العدو الكامن فى صفوف المسلمين المستتر أشدُّ خطراً على المسلمين من العدو الخارجى الصريح ، ولذلك حذَّر الخالق تعالى نبيه ﷺ منهم ، فقال : ﴿ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ ﴾ (٢) .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، ليس الإسلام بالتمنى ولا بالتحلى ولا بالشعارات والهتافات ، وإنما الإسلام ما وقر فى القلب وصدقته الجوارح (٣) .

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم . . . . . إلى آخر الدعاء .

* *

---

(١) سورة المنافقون : ٨

(٢) سورة المنافقون : ٤

(٣) بمعناه ورد الحديث كما فى مسند البزار برقم (٢٠) وهو من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه ، وانظر : كشف الأستار عن زوائد البزار : ١/١٩ وإسناده حسن .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقارنة بين الماضى والحاضر

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ (١) ، يسَّرَ لحجاج بيته مناسكهم ، وأفاض عليهم من نفحاته .

اللَّهُمَّ احشرنا معهم فى الأجر يا حىُّ يا قيوم .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، هو الرحمن الرحيم .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعهم بإحسان أجمعين .

أما بعد . .

فيا أيها الحاج الكريم ، قد مَنَّ الله عليك فدعاك لأداء مناسك الحَجّ فى هذا العام ، ويسَّرَ لك أداءها فى يُسْرٍ وراحة وأمان واستقرار ، وفى رغد عيش وهناء ، وجئتَ لزيارة مسجد رسول الله ﷺ وللسلام عليه وصاحبيه ، ولعلك مكثت فى الطريق بين مكة والمدينة بضع ساعات ، وشاهدت السائرين معك فى الطريق عن يمينك وشمالك ، أمامك وخلفك ، الكل فى أمن وارتياح ، ورأيتَ الخدمات على طول الطريق لخدمة المسافرين وراحة السائرين ، ولعلك أدركتَ نعمة الله علينا وعليك وعلى إخواننا الحُجَّاج والزائرين ، فيجب علينا وعليكم شكر هذه النِعَم والاعتراف لله بها ، فهو الذى أعان ويَسَّرَ ، وهو

(١) سورة الفاتحة : ٢

الذى وَفَّقَ وسَدَّدَ ، وهو الذى حفظ وحرس ، ثم نشكر المسئولين الذين وفَّقهم الله لخدمة ضيوفه .

إننى أُذَكِّر الحُجَّاج بالحال التى كانوا عليها من مدة بضع سنوات ، كانت وسائل السفر فى البَرِّ هى الجمال والخيل والبغال والحمير ، وكانت المسافة بين المدينة ومكة عشرة أيام بلياليها تقريباً للسير الهادئ .

وكانت وسائل السفر فى البحر السُّفن البطيئة والشراعية ، يضاف إلى ذلك أنه كان فى الطريق الصحراوى الطويل قُطَّاع طريق لا يبالون بحُرْمة المسلم ولا بحُرْمة الإحرام ، همهم السلب والنهب ، فلما أراد الله بالبلاد وأهلها وبالحُجَّاج خيراً مَكَّن الملك عبد العزيز آل سعود غفر الله له لتولى شئون البلاد ، وعاهد الله على العمل بكتابه وتحكيم شريعته وسُنَّة نبيه ﷺ ، وصدق الله فى عهده ، فجعل القرآن نظام حياته ودستور بلاده ، وجعل سُنَّة الرسول ﷺ قائداً يسير خلفها ، فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وأقام الحدود ، وجعل القضاء بكتابه وسُنَّة نبيه ﷺ ، فألَّف الله القلوب عليه وصارت هذه البلاد حاضرتُها وباديتُها أُخوةً فى الله متحابين كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، وصار الشعب مع الدولة كالجسد الواحد متماسكاً متلاحماً ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحُمَّى (١) ، فأنجز الله له ما وعده ، فكان هذا الأمن وهذا الرخاء ، فالحمد لله على نعمه التى لا تحصى ، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ (٢) .

وخادم الحرمين الشريفين وولى عهده وأولاد عبد العزيز وحكومتهم ماضون

---

(١) إشارة إلى حديث النعمان بن بشير رضى الله عنه : البخارى مع الفتح : ١٠/٤٣٨ برقم (٦٠١١) الأدب ، ومسلم : البر والصلة (٦٦ - ٦٧) .

(٢) سورة الحج : ٤٠

على منهج أبيهم ، متمسكون بدين الله ، حاكمون بشرع الله ، متعاونون مع إخوانهم المسلمين فى أى مكان كانوا ، يشاركونهم مشاعرهم ، ويواسونهم ويقفون فى صفهم ، ويشدون عضدهم ، ويبذلون كل جهودهم وإمكانياتهم لخدمة الحرمين الشريفين وخدمة الحُجَّاج وراحتهم ، فجزى الله المحسنين خير الجزاء .

وواجب على كل مسلم أن يحفظ المعروف لأهله ، ومَن لا يشكر الناس لا يشكر الله [١] .

فاتقوا الله أيها المسلمون كونوا كما أمركم الله .

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [٢] .

وصلُّوا على البشير النذير .....

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [٣] .

* * *

(١) أحمد فى المسند : ٢٥٨/٢ من حديث أبى هريرة رضى الله عنه وإسناده صحيح .

(٢) سورة النساء : ١٣٥

(٣) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٢٧ - الاقتداء بالنبىّ ﷺ فى الحج [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله على فضله وإحسانه ، وأشكره على نعمه وآلائه .

اللَّهُمَّ لا نُحصى ثناءً عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، طَهَّر بيته للطائفين والقائمين والرُكَّعِ السجود ، وجعله مثابة للناس وأمناً [٢] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله بعثه بالهُدْى ودين الحق ، بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً [٣] .

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه واستنَّ بسُنَّته .

أما بعد . .

فإن قاصد بيت الله الحرام يحرص على أعمال الحج والاقتداء بالنبى ﷺ فى نُسُكه امتثالاً لقوله صلى الله عليه وسلم : « خذوا عنى مناسككم » [٤] .

---

(١) ألقيت يوم ١٨/ ١١/ ١٣٩٨ هـ .

(٢) إشارة إلى الآية ١٢٥ من سورة البقرة .

(٣) إشارة إلى الآية ٣٣ من سورة التوبة ، وإلى الآية ١١٩ من سورة البقرة ، وإلى الآية ٤٦ من سورة الأحزاب .

(٤) إشارة إلى حديث جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنه ، أخرجه مسلم فى الصحيح : ٢/ ٨٨٦ - ٨٩٢ بسياق طويل نحو هذا المعنى الذى أورده الخطيب وفقه الله وهو برقم (١٤٧) خاص وعام (١٢١٨) ، كتاب : الحج : ٢/ ٨٨٦ - ٨٩٢

لقد كانت حَجَّة النبى ﷺ درساً عملياً ، وكانت فى منتهى التمام والكمال ، وفيها الرأفة والرحمة بأُمته عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام .

خرج صلى الله عليه وسلم من المدينة ومعه جموع من المسلمين ، وخيَّرهم بين الأنساك الثلاثة : القِران ، والتمتع ، والإفراد . فأحرم - صلى الله عليه وسلم - من ذى الحليفة ، وهى الميقات المعروف الآن بآبار على ، أحرم قارناً وساق معه الهَدْى من الإبل ، وأهَلَّ ، فقال : « لَبَّيْك اللَّهُمَّ لَبَّيْك ، لَبَّيْك لا شريك لك لَبَّيْك ، إنَّ الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » ، وأمر مَن معه برفع الصوت بالإهلال والتلبية ، وساروا آمين البيت الحرامَ يبتغون فضلاً من ربهم ورضواناً ، فلما دخل - صلى الله عليه وسلم - المسجد الحرام قصد إلى البيت المطهَّر ، حتى حاذى الحجر الأسود فاستلمه ، وطاف بالكعبة المشرَّفة سبعة أشواط ، وكان يقول بين الركن اليمانى والحجر الأسود : ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (١) وكلما حاذى الحجر الأسود أشار إليه أو استلمه ، فلما فرغ من طوافه صَلَّى خلف المقام ركعتين ، واتخذ من مقام إبراهيم مُصَلًّى ، ثم خرج إلى الصفا فرقى عليه حتى رأى البيت فاستقبله وقال : « لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ، لا إلَه إلا الله وحده ، أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده » ثم دعا - كرر ذلك ثلاث مرات - ثم نزل إلى المروة ، فلما انصب فى الوادى أسرع حتى جاوزه ، فلما وصل إلى المروة رقى عليها واستقبل البيت وفعل مثل ما فعل على الصفا ، فلما أكمل سعيه قال : « لو استقبلتُ من أمرى ما استدبرت لما سُقت الهَدْى ولجعلتها عُمْرة » ، وأمر مَن لم يَسُق الهَدْى أن يتحلل إلى عُمْرة رحمة بهم وتخفيفاً

---

(١) سورة البقرة : ٢٠١

عنهم ، لأن فى بقاء الإحرام عليهم حتى يوم النحر مشقةً لِطُول الوقت فى الإحرام .

فلما كان يومُ التروية وهو اليوم الثامن من شهر ذى الحجة ، أحرم مَن كان حَلَّ من منازلهم ، وخرج صلى الله عليه وسلم ومعه المسلمون إلى مِنَى وبات فيها ، فلما طلعت الشمسُ يوم التاسع سار إلى عَرَفة ، وكان من أصحابه المُلَبِّى ومنهم المُكَبِّرُ وهو - صلى الله عليه وسلم - يسمع ذلك ولا يُنكر ، فلما وصل إلى نمرة نزل بها ، فلما زالت الشمسُ ركب ناقته حتى أتى وادى عُرنَة فخطب الناس ، فقرَّر قواعد الإسلام ، وهدم قواعد الشِّرك ، وأبطل أعمال الجاهلية ، وقرر تحريم الدماء والأعراض والأموال ، وأوصى بالنساء خيراً وذَكَرَ الحق الذى لهنَّ والحق الذى عليهن ، وأمر بالاعتصام بكتاب الله تبارك وتعالى ، وأخبر بأنهم لن يضلوا ما داموا معتصمين به ، فلما انتهى من خطبته الجامعة الشاملة أمر بلالاً فأذَّن ، ثم صَلَّى الظهر والعصر جمعاً وقصراً ، فلما قُضيت الصلاةُ ركب ناقته حتى أتى موقفه فى ذيل الجبل عند الصخرات فى عَرَفَة ، فجعل الجبل بينه وبين القِبْلة وقال : « وقفت ههنا وعَرَفة كلها موقف » ، وأمر بالارتفاع عن بطن عُرنة ، وأخذ نبينا صلى الله عليه وسلم فى الدعاء والتضرع والابتهال إلى الله تبارك وتعالى رافعاً يديه ، كاستطعام المسكين وهو مستقبل القِبْلة .

وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم يومَ عرفة : « لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شىء قدير » .

فلما غَربت الشمسُ ذلك اليوم ، أفاض من عَرَفة وأمر بالسكينة والهدوء ، فلما وصل إلى مزدلفة صَلَّى بها المغرب والعشاء جمعاً وقصراً ، ثم نام وأذِنَ لضَعَفة الناس بالانصراف من مزدلفة عند غياب القمر تلك الليلة ، فلما طلع الفجر صَلَّى الصبح فى أول الوقت ، ثم ركب حتى أتى موقفه عند المشعر

الحرام فاستقبل القِبْلة ، وأخذ فى الدعاء والتضرع والتكبير والتهليل والذكر حتى أسفر جداً ، وقال : « وقفتُ ههنا ومزدلفة كلها موقف » . ثم سار إلى مِنَى ، وأمر عبد الله بن عباسٍ أن يلتقط له حَصَى الجِمار فأخذ سبعَ حصيات من حصى الخَذْف ، فجعل صلى الله عليه وسلم ينفضهن فى كفه ويقول : « بمثل هؤلاء فارموا وإياكم والغلوَ فى الدين ، فإنما أهلك مَن كان قبلكم الغلوُّ فى الدين » ، وكان يُلَبِّى فى طريقه حتى أتى جمرة العقبة بعد طلوع الشمس يوم العيد فرماها بسبع حصيات الواحدةَ تلو الأُخرى يُكَبِّر مع كل حصاة . ثم رجع إلى مِنَى وخطب خطبةً فتح الله لها أسماع الناس ، حتى سمعه جميعُ أهلِ مِنَى فى منازلهم .

وقال فى خطبته : « اعبدوا ربكم ، وصَلُّوا خَمْسكم ، وصوموا شهركم ، وأطيعوا ذا أمركم ، تدخلوا جنَّة ربكم » ، وبَيَّن حُرْمة يوم النحر وفضلَه عند الله جَلَّ وعلا ، وحُرْمة مكة على جميع البلاد .

ثم انصرف إلى هَدْيه فنحره وقال : « نحرتُ ههنا ومِنَى كلها منحر ، وفجاج مكة كلها طريقٌ ومنحر » . فلما كَمُلَ نحرُ هَدْيه حَلَق رأسه ، ثم أفاض إلى البيت العتيق فطاف طواف الإفاضة ، ثم رجع إلى مِنَى فبات فيها ، فلما أصبح اليوم الثانى وهو اليوم الأول من أيام التشريق انتظر زوال الشمس ، فلما زالت نزل إلى الجمار فبدأ بالأولى ، وهى التى تلى مسجدَ الخِيْف فرماها بسبع حصيات واحدة بعد واحدة يُكَبِّر مع كل حصاة ، ثم تقدَّم إلى الجمرة الثانية وهى الوسطى فرماها بسبع كذلك ، ثم تقدَّم إلى الجمرة الثالثة وهى العقبة فرماها بسبع كذلك ، ثم فعل فى اليوم الثانى من أيام التشريق مثل ذلك ، بات بمِنَى ورمى الجمار الثلاث بعد الزوال .

ولم يتعجل - صلى الله عليه وسلم - وإنما بات بمِنَى ليلة اليوم الثالث من أيام التشريق ، ورمى الجمرات بعد الزوال ، ثم أفاض إلى مكة ، وقال :

« اجعلوا آخر عهدكم بالبيت » [١] فطاف طواف الوداع ، ثم ارتحل قافلاً إلى المدينة المنوَّرة ، مأوَى هجرته ، ومُنْتَشَر دعوته ، ومأرز الإيمان فى أُمَّته : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [٢] .

اللَّهُمَّ انفعنا بالقرآن العظيم وبسُنَّة رسولنا الأمين .

اللَّهُمَّ إنَّا نسألك الهداية والقول السديد ، ونسألك التوفيق والعمل الرشيد ، ونسألك الفوز والنجاة يوم الوعيد .

اللَّهُمَّ إنَّا نسألك شفاعة نبينا محمد ﷺ فشفِّعه فينا ، واسقنا من حوضه شربة تروينا ، وارزقنا العمل بسُنَّته على الوجه الذى يرضيك عنا .

أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لى ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

* *

---

(١) إشارة إلى حديث ابن عباس رضى الله عنهما : أخرجه مسلم فى الصحيح فى هذا المعنى ، حديث رقم (٣٧٩) خاص وعام (١٣٢٧) ، وقد عقد عليه النووى الباب بقوله : باب وجوب طواف الوداع وسقوطه عن الحائض : ٢/ ٩٦٣ ، وحديث رقم (٣٨٠) خاص ، وأخرجه الشافعى فى مسنده : ٢/ ٧٣ ، والبغوى فى شرح السُّنَّة : ٧/ ٢٣٢ برقم (١٩٧٢) عن طريق الشافعى به عنه .

(٢) سورة المائدة : ٣

بسم الله الرحمن الرحيم

المواقيت المكانية للحج

(الخطبة الثانية)

الحمد لله الهادى إلى سواء الصراط .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، منه المبتدا وإليه المعاد .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله خيرُ العباد .

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم التناد .

أما بعد . .

فإن النبى ﷺ خيَّرَ أصحابه عند الإحرام بين الأنساك الثلاثة وهى : التمتع ، والقران ، والإفراد ، فكان منهم مَن أهَلَّ بعُمْرة متمتعاً بها إلى الحَجِّ ، ومنهم مَن أهَلَّ بعُمْرة وحَجٍّ قارناً بينهما ، ومنهم مَن أهَلَّ بحَجٍّ مفرداً .

وقد أجمع أئمة الهُدَى وأهل العلم والتُقَى على جواز الأنساك الثلاثة ، وإنما اختلفوا فى أيها أفضل ، والذى يظهر والله أعلم أن التمتع هو الأفضل ، لأن النبى ﷺ أمر مَن لم يَسُق الهَدْى أن يجعلها عُمْرة فيكون متمتعاً ، ولأن التمتع أيسرُ وأسهلُ ، ولأنه يشتمل على نُسُكَيْن كل واحد مستقلٌ عن الآخر .

أيها المؤمنون ؛ لقد وقَّتَ نبينا محمد ﷺ للإحرام مواقيت مكانية ، فقال : « يُهل أهل المدينة من ذى الحليفة ، وأهلُ الشام من الجحفة ، وأهلُ نجد من قَرْن ، وأهلُ اليمن من يلملم » ، وقال : « هن لهن ولمن مَرَّ عليهن من غير أهلهن ممن أراد الحج والعمرة » (١) . فلا يجوز للحاج أو المعتمر أن يتجاوز

---

(١) إشارة إلى حديث ابن عباس رضى الله عنهما : أخرجه الشيخان فى صحيحيهما ،=

الميقات إلا مُحْرِماً إما من الميقات أو من محاذاته ، وأما مَن كان دون الميقات جهة مكة المشرَّفة ، فمن مكانه ، ويُسَن لمن أراد الإحرام أن يتنظف وأن يغتسل وأن يتطيب قبل الإحرام ، ولو تهيأ من منزله ثم ذهب إلى الميقات وعقد الإحرام منه جاز ، فإذا عقد الإحرام وجب عليه اجتناب المحظورات ، فلا يلبس المخيط ، ولا يَمُس الطيب ، ولا يأخذ شيئاً من شعره ولا من ظفره ، ولا يقتل صيد البر ، ولا يأكل لحم صيد البر إذا صيد من أجله ، ولا يغطى الرجل رأسه بملاصق . والمرأة فى الإحرام مثل الرجل فى الإحرام إلا أنها تخالف الرجل فى أمرين : فى لُبس المخيط وتغطية الرأس ، وما عدا ذلك فهى كالرجل فى الأعمال واجتناب المحظورات ، وأما الرَّفَث والفسوق والجدال فى الحج فحرام على الجميع .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، وراقبوه فى السِّر والعلانية ، وصَلُّوا على البشير النذير ، فقد أمرنا الله بذلك فى كتابه المنير ، فقال جَلَّ من قائل عليماً : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم وبارِك وأنْعِم على عبدك ورسولك نبينا محمد صاحب المقام المحمود والحوض المورود .

وارض اللَّهُمَّ عن الخلفاء الراشدين : أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلىّ ، وعن بقية الصحابة أجمعين ، وزوجاته أُمهات المؤمنين ، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

= البخارى : ٢/٣٠٧ : الحج ، باب : مهل أهل الشام ، وباب : مهل أهل مكة للحج والعُمْرة ، ومسلم برقم (١١٨١١) عام ، وكذا البغوى فى شرح السُّنَّة : ٧/٣٦ - ٤٣ برقم (١٨٥٩) ورقم (١٨٦٠) من حديث جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنه .

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

اللَّهُمَّ ارض عنا معهم بمَنِّك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلام والمسلمين ، وأذلَّ الشِّرك والمشركين ، ودَمِّر أعداء الدين ، وانصر عبادك المؤمنين ، واحم حَوْزة الإسلام يا رب العالمين .

اللَّهُمَّ مَن أراد الإسلام والمسلمين بسوء فاشغله مع نفسه واجعل كيده فى نحره ، واطمس على أمواله ، واشدد على قلبه ، ومَزِّقه كل ممزق إنك على كل شىء قدير .

اللَّهُمَّ أَدِم الأمن والاستقرار فى أوطاننا ، واحفظ إمامنا وولاة أمورنا ، ووفِّقهم لما فيه صلاح العباد والبلاد .

اللَّهُمَّ انشر الأمن فى جميع أوطان المسلمين ، وأصلح أئمتهم وولاة أُمورهم ، واهدهم سُبُل السلام وأخرجهم من الظلمات إلى النور .

اللَّهُمَّ اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ، اللَّهُمَّ اسقنا وأغثنا .

اللَّهُمَّ أغث قلوبنا بالإيمان ، وأغثنا بالمطر الزلال .

اللَّهُمَّ إنَّا خلق من خلقك فلا تمنع عنا بذنوبنا فضلك .

اللَّهُمَّ ارحم عبادك وبلادك وبهائمك وانشر رحمتك ، وأحيى بلدك الميت ، إنك على كل شىء قدير .

اللَّهُمَّ إنَّا نستغفرك إنك كنت غفاراً ، فأرسل السماء علينا مدراراً .

اللَّهُمَّ إنَّا نستغفرك ونتوب إليك ، ونعتمد فى إجابة دعائنا عليك .

ربنا تقبَّل منا إنك أنت السميع العليم ، وتُبْ علينا إنك أنت التواب الرحيم .

عباد الله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١) .

واذكروا الله العظيم يذكركم ، واستغفروه يغفر لكم : ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (٢) .

* * *

(١) سورة النحل : ٩٠

(٢) سورة العنكبوت : ٤٥

الباب الثانى

البيـــــوع

ويشتمل على عشر خطب

بسم الله الرحمن الرحيم

٢٨ - الحلال بيِّن والحرام بيِّن [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١ ﴾ [٢] . . أنزل على عبده الكتاب فيه بيانُ الحلال والحرام ، وتبياناً لكل شيء [٣] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، أمر بحفظ الدين ومراعاة المروآت .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله بيَّن للناس ما نُزِّلَ إليهم ، فترك أُمَّته على صراط مستقيم نَيِّر واضح الجنبات .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه أهل الفضل والتُقَى ، ومَن سار على نهجهم واهتدى .

أما بعد . .

فإن الإنسان يتكوَّن من الروح والجسد ، ولكل من الروح والجسد غذاء وداء ، فغذاءُ الروح صلتها بالله وحده بدون واسطة ، صلتُها بالذى خلقها ويرعاها وإليه معادها ، وبإرادته فجورها وتقواها ، فتأنس بطاعته ، وبإخلاص العبادة له ، وباتباع شرعه ، وتحكيم كتابه ، وبتوحيد الله فى ذاته وفى أفعاله ، وفى أسمائه وصفاته ، وفى عبادته .

---

(١) ألقيت يوم ٢/ ١١/ ١٤١٠ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى الآية ٨٩ من سورة النحل .

وداؤها معصيةُ الله بجميع أنواعها وأشدها الشِّرك وأسبابه ، وهى : البدع

واتباع الهوى وتقديم العقل على الشرع والإلحاد فى أسمائه وصفاته [١] ، وإرضاء الناس بسخط الله ، والحكمُ بغير ما أنزل الله ، والكفر برسالة محمد صلى الله عليه وسلم أو النفاق فيها .

﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [١] .

وأما الجسد فغذاؤه الطعام والشراب والهواءُ واللباس من الضروريات ، وأوجب الشرع أن يكون غذاؤه من الحلال .

وأما داؤه فحسىّ ومعنوى ، أما الحسى فالأمراض والأسقام التى ترد عليه ، وأما المعنوى فتعاطى المحرَّمات : « أيما جسد غُذى بالحرام فالنار أولى به » [٢] .

ومن رحمة الله بالإنسان يسَّر له ما يحتاج إليه وسخَّر له ما فى الأرض جميعاً وأعانه على فعل الأسباب وبارك له فى عمله .

فأهم الضروريات للإنسان الهواء الذى يستنشقه ، تجده متوفراً فى كل مكان ، فى متناول كل فرد كبير أو صغير ، غنى أو فقير ، يأتيه بلا طلب وبلا سبب .

ولم يكن لأحد فى تكوينه دور ، ولم يجعل الله لأحد عليه ملك ، ولا سلطان ، ولم يُكلِّف الإنسانُ ولا غيرهُ من الكائنات الحية جُهداً فى تحصيله ولا فى الانتفاع به ، وإنما الجهاز التنفسى يتحرك بإرادة الله وقدرته

---

(١) سورة البقرة : ١٠

(٢) الحاكم فى المستدرك : ١٢٧/٤ من حديث أبى بكر الصِّدِّيق رضى الله عنه ، وكذا من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وإسناده فيه ضعف ولكن معناه صحيح ، وقد جاء فى سورة البقرة (الآية : ٢٧٥) : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إلا كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ المَسِّ ﴾ .

شفطاً ودفعاً ، حركةً عادية لا مشقة فيها ولا عناء ، فالحمد لله على فضل الله

وإحسانه .

ولو كان لأحد دور فى تكوينه لتحكَّم فيه ، ولو كان لأحد عليه سلطان لباعوه بالأثمان .

ثم بعد الهواء فى الأهمية للإنسان : الماء ، فهو عنصر الحياة وأصلها الذى تنشأ به على وفق إرادة الله : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ﴾ (١) .

ومن رحمة الله بخلقه لم يجعل لأحد من البَشر دوراً فى تكوين الماء ولا تصنيعه ، بل ذلك لله وحده : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾ (٢) ، وإنما دور الإنسان البحث عنه وتحصيله من مظانه بأى سبب من الأسباب .

ثم بعد الماء فى الأهمية : الغذاءُ واللباس ، فللإنسان فيه دور الحرث والعمل والإصلاح .

أما الزارع ، والمنتج ، والمبارك فهو الله : ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾ (٣) .

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (٤) .

---

(١) سورة النور : ٤٥

(٢) سورة الواقعة : ٧٠

(٣) سورة الواقعة : ٦٣ - ٦٧

(٤) سورة المؤمنون : ٢١

﴿ ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين ﴾ (١) .

وقد يطرأ على ما يحتاجه الإنسان مفسداتٌ ، أو مخبثاتٌ ، أو مضراتٌ ، أو ما يجعل تعاطيه مخلاً بالعفة والشرف ، أو بالمصلحة العامة ، أو ظلماً لأحد من الخلق .

كما أن هناك أشياءَ مضرةٌ أو خبيثةٌ مِنْ أصل خلْقها أو مستقذرة فى البيئة التى نزل عليها الوحى بالتشريع أو لا تليق بوظيفة الإنسان ، والإنسان كرَّمه الله وأعزَّه ، وللمحافظة على كرامته ، وحِفْظ حقوقه ، وحَقْن دمه ، وصَيَان عِرضه ، وحِفْظ نسبه ، وتزكى نفسه : أحلَّ الله له الطيبات وحرَّم عليه الخبائث (٢) ورغَّبه فى ترك ما يشتبه عليه ، ونهاه عما يؤثر فى مرتبة العبودية .

روى البخارى ومسلم عن النعمان بن بشير رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « الحلالُ بيِّنٌ والحرامُ بيِّن ، وبينهما مُشبَّهاتٌ لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى المُشبَّهات استبرأ لدينه وعِرضه ، ومَن وقع فى المُشبَّهات كراعى يرعى حول الحِمَى يوشك أن يواقعه ، ألا وإن لكل ملك حِمَى ، ألا وإن حِمَى الله فى أرضه محارمه ، ألا وإن فى الجسد مُضْغةً إذا صلَحت صَلح الجسدُ كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب » (واللفظ للبخارى) (٣) .

قال فى عمدة القارى (١/ ٣٣٩) : أجمع العلماء على عِظَم موقع هذا الحديث ، وأنه أحد الأحاديث التى عليها مدار الإسلام ، وسبب عِظَم موقعه أنه عليه الصلاة والسلام نبَّه فيه على صلاح المطعم والمشرب والملبس والمنكَح

---

(١) سورة النحل : ٨٠

(٢) إشارة إلى الآية ١٥٧ من سورة الأعراف .

(٣) البخارى مع الفتح : ١/١١٦ ، ١١٩ ، باب : فضل مَن استبرأ لدينه ، ومسلم برقم (١٥٩٩) المساقاة من حديث النعمان بن بشير رضى الله عنهما .

وغيرها ، وأنه ينبغى أن يكون حلالاً ، وأرشد إلى معرفة الحلال وأنه ينبغى

ترك المشتبهات ، فتركها سبب لحماية دينه وعِرضه ، وحذَّر من مواقعة الشُبهات ، وأوضح ذلك بضرب المثل بالحِمَى ، ثم بَيَّن أهم الأُمور وهو مراعاة القلب .

فالحلال المحض بيِّن لا اشتباه فيه مثلُ الطيبات من الحبوب والثمارِ وبهيمة الأنعام والأشربة الطيبة ، واللباس من القطن والكتان والصوف والشعر والمنسوجات من الخامات الحلال ، ومثل النكاح الشرعى والتسرى بملك اليمين الصحيح وغير ذلك مما عُلم حله إذا كان اكتسابه بقصد صحيح كالبيع ، أو الهبة أو الهدية ، أو الميراث ، أو غنيمة مشروعة ، أو بعقد شرعى .

والحرام المحض مثل : الميتة ، والدم ، ولحم الخنزير ، والخمر ، والميسر ، والربا ، والزنا ، ونكاحِ المحارم ، ولُبْس الحرير والذهب والفضة للرجال إلا ما ورد الشرع بإباحته ، ومن الحرام المحض : الأموال المسروقة والمغصوبة والمنهوبة والمختلسة ، والرشوة ، والغلول ، وثمن ما لا يحل بيعه .

وهناك أُمور تشتبه على كثير من الناس لا يعلم هل هى من الحلال فينتفع بها ، أم هى من الحرام فيجتنبها .

والورع اجتناب المتشابه حذراً من الوقوع فى المحرَّم ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : « إنى لأنقلب إلى أهلى فأجد الثمرة ساقطة على فراشى فأرفعها لآكلها ثم أخشى أن تكون من الصدقة فألقيها » (خرَّجاه فى الصحيحين) [(١)] .

كما قال فى جامع العلوم : ولكل من الحلال والحرام حماية وحاجز مثل الغلاف يمنع من تجاوز الحلال ومن الوقوع فى المحرَّمات ، فغلافَ الحلال

---

(١) البخارى مع الفتح : ٥/ ٦٣ فى اللقطة ، باب : إذا وجد ثمرة فى الطريق من حديث أبى هريرة رضى عنه ، ومسلم برقم (١٦٣) خاص وعام (١٠٧٠) : الزكاة ، باب : تحريم الزكاة على رسول الله ﷺ ، ومن حديث أنس : مسلم (١٠٧١) .

المباحات ، وغلاف الحرام المكروهات ، فمَن خرج من الحلال إلى المباح تطرَّق إلى المكروهات ، ومَن أكثر من المكروهات تطرَّق إلى الحرام كالراعى يرعى حول الحِمَى ، فالورع أن يجعل المسلم بينه وبين الحرام حاجزاً وستراً من المباحات خشية الوقوع فى المكروهات ثم المحرمات ، ففى حديث عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنه أن النبى ﷺ أصابه أرق من الليل فقال له بعض نسائه : يا رسول الله ؛ أرقتَ الليلة ؟ فقال : « إنى كنتُ أصبتُ تَمْرة تحت جنبى فأكلتها ، وكان عندنا تمر من تمر الصدقة فخشيتُ أن تكون منه » (١) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على النبى المطهَّر صلى الله عليه وسلم .

وحاصل الأمر : أن الله تعالى أنزل على عبده الكتاب وبيَّنَ فيه الحلال والحرام ، ووكل بيان ما أشكل من التنزيل إلى الرسول ﷺ كما قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (٢) ، وما قُبِضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أكمل لأُمَّته الدين ، فأنزل عليه فى يوم عرفة فى حجة الوداع : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (٣) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « تركتكم على بيضاء نقيةٍ ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك » (٤) ، فما ترك رسول الله ﷺ حلالاً إلا مبيناً ،

---

(١) أخرجه أحمد فى المسند : ٢/١٩٣ وإسناده حسن ، وذلك من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنهم .

(٢) سورة النحل : ٤٤

(٣) سورة المائدة : ٣

(٤) ابن ماجه : ١/١٦ ، المقدمة برقم (٤٣) من حديث العرباض بن سارية رضى الله عنه ، وإسناده حسن .

ولا حراماً إلا مبيناً ، لكن بعضه كان أظهر بياناً من بعض ، فَيُرد ما خفى إلى ما ظهر : ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١) . . واتقوا الله أيها المؤمنون .

اللَّهُمَّ أغننا بالحلال عن الحرام ، وبفضلك عمن سواك ، واغفر لنا إنك أنت الغفور الرحيم . . . . . إلى آخر الدعاء .

* *

(١) سورة النحل : ٤٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحب لله والبغض لله

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه .

أما بعد . .

فهناك مَن يتكلم فى الولاء والبراء والذى يظهر من كلامه أنه لا يعرف الولاء والبراء .

فالولاء هو المحبة فى الله وموالاة كل مؤمن .

والبراء هو البغض فى الله ، والبراءة من غير المؤمنين ، فعلى المؤمن الصادق أن يُعادى فى الله ، وأن يُوالى فى الله ، فإذا كان هناك مؤمن أو مؤمنون وجبت على كل مؤمن موالاتهم ومحبتهم فى الله لأنهم مؤمنون بالله فيلتزمون بشريعة الله ، حتى لو حصل من مؤمن ظلم لمؤمن ، فإن الظلم لا يقطع الإيمان ولا الموالاة بالإيمان وإنما ينقصه .

والكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك ، فإن الله تعالى بعث الرُّسُل وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله ، فيكون الحب لأوليائه

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

والبغض لأعدائه ، والثواب والإكرام لأوليائه والإهانة والذلة والعقاب لأعدائه .

فإذا اجتمع فى الرجل الواحد خير وشر ، وفجور وطاعة ، وسُنَّة وبدعة ، استحق من الموالاة بقدر ما فيه من الخير ، واستحق من المعاداة بحسب ما فيه من الشر .

وقرابة النسب أو الجوار ، أو المصالح الدنيوية لا تأثير لها فى البراء والولاء : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ (١) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ﴾ (٢) فالذى يحب أن يعلن البراء من الكفرة والمشركين ، يعلنه فى مجتمعاتهم وفى عهده معهم ، وفى رفض توجيهاتهم ، ونبذ مخططاتهم ، فقد كان إعلان النبى ﷺ البراءة من المشركين يوم الحَجِّ الأكبر حينما كان المشركون فى مكة وكان بينهم وبين المسلمين عهود ، ولم يكن المشركون يحافظون على عهدهم ، وكانوا يتحينون الفُرَص للكَرَّة على المسلمين ، وكانوا يطوفون بالبيت عراة ويُصفقون ويُصفرون مُخلِّين بكرامة البيت العتيق ، مُحْتمين بعهدهم مع المسلمين ، فأمر الله نبيَه ﷺ بإعلان براءته وبراءة رسوله ﷺ منهم ، ومنع المشركين من الطواف بالبيت ومن القُرب من المسجد الحرام : ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ﴾ (٣) .

والحمد لله لم يَقْرُب المسجد الحرام مشرك بعد تلك البراءة إلى هذا الزمن ، فليس فى البيت العتيق ولا حوله إلا مؤمنون موحِّدون صادقون تجب محبتهم

---

(١) سورة المجادلة : ٢٢

(٢) سورة التوبة : ٢٣

(٣) سورة التوبة : ٢٨

وموالاتهم فى الله ، والذين يحجون البيت مؤمنون يحبون الله ويحبون رسوله ، فلأى شىء تُعلن البراءة من المشركين بين المؤمنين وليسوا من أهلها .

والنبى ﷺ أعلن البراءة من المشركين بين أظهرهم وواجههم بها ، فمَن أراد أن يقتدى به - صلى الله عليه وسلم - فليجعل براءته فى بلد الشِّرك ، وبين أظهر المشركين ، أما التعنت والمغاطات والنفاق فغير مظنة المسلم ، وكل دولة مسلمة وكل شعب مسلم ، وكل رجل يعقل ، وكل دولة معتدلة تحب موالاتها ومحبتها فى الله .

وصَلُّوا على البشير النذير .....

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

* * *

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٢٩ - المعاملات المنهى عنها [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله أحمده ، وأستعينه ، وأستغفره ، وأتوب إليه .

وأعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهدى الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلا هادى له .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه ، ومَن دعى بدعوته ، واستنَّ بسُنَّته .

أما بعد . .

فيا أيها المسلمون ؛ أُوصيكم وإياى بتقوى الله فإن تقواه هى أساس الصلاح والفلاح ؛ واعلموا أن الربا حرام بنص كتاب الله ، وسُنَّة رسوله ﷺ ، وإجماع المسلمين . قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [٢] .

---

(١) ألقيت يوم ٩/ ١١/ ١٤١٠ هـ .

(٢) سورة آل عمران : ١٣٠ - ١٣٢

وقال صلى الله عليه وسلم : « اتقوا السبع الموبقات » - أى المهلكات - قالوا : وما هُنَّ يا رسول الله ؟ قال : « الشِّركُ بالله ، والسِّحرُ ، وقتلُ النفس التى حرَّم الله إلا بالحق ، وأكلُ الربا ، وأكلُ مال اليتيم والتولى يوم الزحف » (١) ، وقال عليه الصلاة والسلام : « وكل ربا الجاهلية موضوع تحت قدمىّ هاتين » (٢) .

إن أكلَ الربا ، وكسبَ الربا من أشنع المعاصى وأعظم الآثام ، وعاقبتُه سيئةٌ فى الدنيا والآخرة ، فهو تعبٌ ونكد فى الدنيا ، وعذاب بعد الموت ، وخِزْى وعار عند البعث والنشور ، وحساب شديد عند العرض ، وحسرة وندامة ، وآخر أمره خلود فى النار ، قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (٣) .

وعن النبى ﷺ قال : « أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم ، وعلى شط النهر رجلٌ بين يديه حجارةٌ ، فأقبل الرجل الذى فى النهر ، فإذا أراد أن يخرج رمى الرجلُ بحجر فى فِيهِ ، فردَّه حيث كان ، فجعل كلما جاء ليخرجَ

---

(١) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضى الله عنه أخرجه الشيخان فى صحيحيهما : البخارى مع الفتح : ٥/٣٩٣ برقم (٢٧٦٦) ، ومسلم فى الصحيح : الإيمان ، حديث رقم (١٤٤) ، ولفظه : « اجتنبوا السبع الموبقات » ثم ذكره . .

(٢) من خطبة النبى ﷺ يوم عرفة أخرجها مسلم فى الصحيح برقم (١٤٧) : الحج من حديث جابر الأنصارى رضى الله عنه .

(٣) سورة البقرة : ٢٧٥

رمى فى فِيهِ بحجر ، فيرجعُ كما كان ، فقلت : ما هذا الذى رأيت فى النهر ؟ قال : آكل الربا » (١) .

وفى حديث آخرَ : « أيما لحم نبت من السُّحْت فالنار أولى به » (٢) .

الربا - عباد الله - ممحوق وممقوت عند الله تعالى ، ومآل الربا إن قَلَّ وإن كثر فهو محرَّم ، والكسب الحلال أعظمُ بركةً ، وأكثر نفعاً ، وإن قَلَّ ، وعاقبته حميدة ، والذى يتعامل بالربا إنما قصد الإكثار من المال لشدة جشعه ، فلم يقنع بما أحلَّ الله له من الكسب الطيب ، وإنما يسعى لأكل أموال الناس بأنواع المكاسب الخبيثة ، ولكن الله سيعامله بنقيض قصده ، فإما أن يسلبه المال بالكلية ، أو يحرمه من الانتفاع به فى الدنيا ، ويُعذِّبه به فى الآخرة ، المرابى يجحد نعمة الله ، أثيم بأكل أموال الناس بالباطل قال جلَّت عظمته وتقدَّست أسماؤه : ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ (٣) ، والذى يأكل الربا ويتعامل بالربا محارب لله ورسوله ، ومعاند لله فى شرعه وأمره ونهيه ، ما أذلّ وما أحقر مَن حارب الله ورسوله ؟ ويا حسرة من عاند الله وعصى أمره وانتهك محارمه .

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ ﴾ (٤) .

---

(١) أخرجه أحمد فى المسند : ٥/ ١٤ - ١٥ ، وذلك من حديث سمرة بن جندب رضى الله عنه ، وإسناده صحيح .

(٢) أخرجه الحاكم فى المستدرك : ٤/ ١٢٧ من حديث أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، وكذا من حديث أبى بكر الصِّدِّيق ، وفى إسنادهما ضعف .

(٣) سورة البقرة : ٢٧٦

(٤) سورة البقرة : ٢٧٨ - ٢٧٩

قال بعض المفسِّرين على هذه الآية ، عن ترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما : من كان مقيماً على الربا لا ينزع عنه كان حقاً أن يُستتاب ، فإن نَزَع وإلا ضُرِبَت عنقه (١) .

الربا - عباد الله - من أكبر الكبائر ، وعظائم الذنوب ، التى لا تُغفر إلا بالتوبة إلى الله ، ورد الأموال الربوية إلى أهلها ، والاكتفاء برأس المال الحلال ، ومَن تاب تاب الله عليه ، ومَن ترك شيئاً لله عوَّضه الله خيراً منه : ﴿ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢)

وأما قوله تعالى فى الآية السابقة : ﴿ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ﴾ (٣) فذلك ما كان قبل تحريم الربا .

« إن الربا بضع وسبعون شُعْبة ، أيسرها فى الإثم والشناعة أن ينكح الرجل أُمَّه » (٤) . . أعاذنا الله جميعاً من ذلك .

روى الحاكم فى مستدركه بسند قال : صحيحٌ على شرط البخارى ومسلم ولم يخرجاه ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « الربا ثلاث وسبعون باباً ، أيسرها

---

(١) قاله الإمام ابن كثير فى تفسيره (١/ ٥٨٧) : إذ قال : قال علىّ بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما ثم ذكره .

(٢) سورة البقرة : ٢٧٩ - ٢٨٠

(٣) سورة البقرة : ٢٧٥

(٤) ابن ماجه فى السنن برقم (٢٢٧٤) : التجارات ، من حديث أبى هريرة رضى الله عنه وفى إسناده نجيح بن عبد الرحمن أبو معشر السندى . قال الحافظ فى التقريب : ٢/ ٢٨٩ ، رقم الترجمة (٤٦) : ضعيف من السادسة ولكنه يُكتب حديثه ويُستشهد به ولا يُترك ، وله شاهد صحيح سوف يأتى فيما بعد .

أن ينكح الرجل أُمه » [١] لذلك لعن رسول الله ﷺ آكل الربا ، وموكله وكاتبه وشاهديه وقال : « هم سواءٌ » : أى فى الإثم [٢] .

وقد بيَّن الرسول ﷺ نماذج للمبايعات الشرعية وأباحها ، وأوضح لنا أنواعاً من المبايعات الربوية وحذَّرنا منها ، وهو - صلى الله عليه وسلم - رءوف رحيم بأُمته يُحِلَّ لهم الطيبات ويُحَرِمُ عليهم الخبائث ، فقال : « الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبُرِّ بالبرُ ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح ، مثلاً بمثل ، يداً بيد ، فمَن زاد أو استزاد فقد أربى » [٣] الآخذ والمعطى فيه سواء ، وفى حديث آخر : « ولا تبيعوا منها غائباً بناجز » [٤] ، وفى حديث : « فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم » [٥] إذا كان يداً بيد .

وجاء بلال إلى النبى ﷺ بتمر برنى ، فقال له : « من أين هذا » ؟ قال : كان عندنا تمر ردئ فَبِعْتُ منه صاعاً بصاعين ، فقال : « أوَّه ، عَيْنُ الربا عَيْنُ الربا ، لا تفعل ، ولكن إذا أردت أن تشترى فبع التمر ببيع آخر ثم اشتر به » [٦] .

---

(١) الحاكم فى المستدرك : ٢/ ٣٧ من حديث ابن مسعود رضى الله عنه وإسناده صحيح على شرط البخارى ومسلم ، هكذا قال الذهبى فى التلخيص .

(٢) مسلم فى الصحيح برقم (١٥٩٨) من حديث جابر الأنصارى ، وكذا حديث ابن مسعود رضى الله عنه : مسلم برقم (١٥٩٧) .

(٣) مسلم فى الصحيح برقم (١٥٨٧) من حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه ، وكذا أبو داود برقم (٣٣٤٩) .

(٤) الشيخان فى صحيحيهما من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه : البخارى : ٤/ ٣١٧ ، ومسلم (١٥٨٤) .

(٥) مسلم فى الصحيح : ٣/ ١٢١١ برقم (٨١) : المساقاة ، من حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه ، وأبو داود : البيوع ، باب رقم (١٢) .

(٦) الشيخان فى صحيحيهما ، البخارى : الوكالة ، باب (١١) ، ومسلم : ٣/ ١٢١٥ : المساقاة ، حديث رقم (٩٦) ، وهو من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه .

واعجباً لآكل الربا ، كيف يستريح له بال وهو محارب لله ورسوله ؟ وكيف تنعم له نفس وهو ملعون على لسان المصطفى ﷺ ؟ وكيف يَتلذذ بالحياة ومآله إلى الوعيد الشديد ؟

آكل الربا إن تصدَّق لم يُقبل منه : « إنَّ الله طيبٌ لا يقبل إلا طيباً » (١) ، وإن دَعَى لا يُستجاب له فمأكله حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذى بالحرام ، فأنَّى يُستجاب له » (٢) .

أما يخشى الذى يأكل الربا ويتعامل بالربا من سخط الله وعقابه أن ينزل به فى ساعة من ليل أو نهار بغتة أو جهرة ؟

فاتقوا الله عباد الله ، واحذروا مخالطة البيوع الربوبية ، فإنها تُفسد عليكم أموالكم وأعمالكم ، والله قد وسَّعَ الحلال وأطابه لنا .

فلا يُلجئنكم إلى معصية لله فاقة ، ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٣) .

ولا تغتروا بكثرة العاصين والمعاندين والمرابين ، ولا بقلة المطيعين المتقين ، فإن الحلال ما أحلَّ الله ورسولُه ، والحرامَ ما حرَّم الله ورسوله ، لا بمرغبات الشهوات ولا بنزغات الشيطان ، والأكثرية غالباً فى كل زمان ضالون أهل فسق وجهالة ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ (٤)، وقوله : ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ

---

(١) مسلم فى الصحيح : ٢/٧٠٣ : الزكاة ، حديث رقم (٦٥) خاص وعام (١٠١٥) ، من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

(٢) هو نفس هذا الحديث : مسلم فى الصحيح : الزكاة ، حديث رقم (٦٥) ، وأحمد فى المسند : ٢/٣٢٨

(٣) سورة التوبة : ٢٨

(٤) سورة الأنعام : ١١٦

﴿ أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴾ (١) ، وقوله : ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) فاتقوا الله أيها المؤمنون ، ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (٣) .

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم ، وانفعنا بالآيات والذكر الحكيم ، وأغننا بحلالك عن حرامك ، وبفضلك عمن سواك ، وبارك لنا فى عطائك يا أرحم الراحمين .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

* *

(١) سورة الأعراف : ١٠٢

(٢) سورة الأعراف : ١٨٧

(٣) سورة البقرة : ٢٨١

بسم الله الرحمن الرحيم

الخير فيما أَحَلَّ الله

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١) . . والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، إمامُ المتقين وقائد الغر المحجلين .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم وبارك على سيدنا ونبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه وأتباعهم بإحسان أجمعين .

أما بعد . .

فيا أيها الناس ؛ اتقوا الله تعالى واعلموا أن الخيرَ والبركةَ فيما أحَلَّ اللهُ ورسولُه ، والشرَّ والخبثَ فيما حَرَّم الله ورسوله ، والعزَّةُ والكرامة فى طاعة الله ، والذِّلَّةُ والهوان فى معصية الله ، فاقنعوا بما أحَلَّ اللهُ وازهدوا فيما حرَّم الله .

مَن يُطع الله ورسوله فقد رشد ، ومَن يعص الله ورسوله فقد غوى : « الكيس مَن دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى » (٢) . . والآجالُ وتصريفُ الأُمور بيد الله ،

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) من حديث شداد بن أوس رضى الله عنه : أخرجه أحمد فى المسند : ٤/ ١٢٤ ، والترمذى فى جامعه ، وابن ماجه فى سننه من هذا الوجه واللَّفظ ، وإسناده فيه ضعف=

لا يعلمها إلا هو ، فلا يدرى الإنسان ماذا يصيبه فى صباحه ومسائه ، فخذوا حذركم وحاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبوا ، وزِنوها قبل أن تُوزَنوا .

وأكثروا من الصلاة والتسليم على نبينا الكريم ، فقد أمرنا الله بذلك فى كتابه المبين ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَن صلَّى علىَّ مرة واحدة صلَّى الله عليه بها عشراً » (٢) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم وبارك وأنْعِم على عبدك ورسولك ، وصفوتك من خلقك ، صاحب الوجه الأنور ، والجبين الأزهر ، الشافع المُشفَّع فى المحشر .

وارض اللَّهُمَّ عن الأربعة الخلفاء ، الأئمة الحنفاء : أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلىّ وعن بقية أصحاب نبيك أجمعين ، وأهل بيته الطيبين الطاهرين ، وعن التابعين ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وارض عنا معهم بِمَنِّك وجودك يا أرحم الراحمين .

اللَّهُمَّ أعِزَّ الإسلام والمسلمين ، وأذِلَّ الشِّرك والمشركين ، ودَمِّر أعداء الدين ، وانصر عبادك المؤمنين ، واحم حَوْزة الدين يا رب العالمين .

= شديد ، لأن فيه أبو بكر بن أبى مريم وهو واه جداً ، ولكن معناه صحيح ولا يجوز أن يُنسب هذا الكلام إلى رسول الله ﷺ والله أعلم . انظر : الترمذى ، رقم الحديث (٢٤٦١) ، وابن ماجه برقم (٤٢٦٠) ، والبغوى فى شرح السُّنَّة برقم (٤١١٧) .

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

(٢) أخرجه إسماعيل القاضى فى فضل الصلاة على رسول الله ﷺ بطرق عدة وإسناده حسن ، وذلك من حديث أبى طلحة رضى الله عنه برقم (٣) ص ٢٣ ، وله شاهد من حديث أبى هريرة رضى الله عنه برقم (٨) ص ٢٦ ، وإسناده صحيح .

اللَّهُمَّ آمنا فى أوطاننا ، وانصر واحفظ إمامنا ، وأصلح ولاة أُمور المسلمين .

اللَّهُمَّ مَن أراد المسلمين بسوء فاشغله بنفسه واجعل كيده فى نحره ، واجعله عبرة للمعتبرين .

اللَّهُمَّ ادفع عنا الغلاء والوباء ، والربا والزنا ، والزلازل والمحن ، وسوء الفتن ، ما ظهر منها وما بطن ، عن بلدنا هذا خاصة ، وعن سائر بلاد المسلمين عامة يا رب العالمين .

اللَّهُمَّ تُبْ على التائبين ، واقض الدَّيْنِ عن المدينين ، واشف مرضى المسلمين ، واكتب الصحة والسلامة لنا ولجميع المؤمنين . .

اللَّهُمَّ اغفر للمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات ، واجمع شملهم ، ووحِّد كلمتهم ، وألِّف بين قلوبهم ، واهدهم سُبُل السلام ، وأخرجهم من الظلمات إلى النور ، إنك على كل شىء قدير .

عباد الله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١) .

فاذكروا الله يذكركم ، واشكروه يزدكم . . ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (٢) .

* * *

(١) سورة النحل : ٩٠

(٢) سورة العنكبوت : ٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

٣٠ - الحث على الكسب الحلال (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) .

أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ (٣) ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ (٤) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، طيب لا يقبل إلا طيباً (٥) .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله حَثَّ على الكسب الحلال ، وحذَّر من كسب الحرام : « أيما لحم نبت من حرام فالنار أولى به » (٦) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

---

(١) ألقيت يوم ٢١/٣/ ١٤١٠ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) سورة المؤمنون : ٥١

(٤) سورة البقرة : ١٧٢

(٥) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضى الله عنه : مسلم : الزكاة ، برقم (٦٥) خاص وعام (١٠١٥) .

(٦) الحاكم فى المستدرك : ٤/ ١٢٧ ، وفى إسناده ضعف يُتحمل .

أما بعد . .

فإن الله تعالى خلق بنى آدم على خِلقة قِوامها أربعة أشياء : اثنان ضروريان للحياة ، واثنان ضروريان للآداب والحياء ، وهى الطعام والشراب ، واللِّباس والسكن .

فلو فقد إنسان الطعام والشراب مدة هلك : ﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴾ (١) .

﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢) .

واللِّباس منَّةٌ من الله على بنى آدم يسترالسوأة وريشٌ وجمال : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ (٣) .

﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ (٤) .

وأما السكن فهو ضرورى للإنسان ، فله حاجات شخصية وأعمال ذاتية يكره أن يراها أحد ، فلا بد له من سكن يستتر فيه ويرتاح إليه ، وأيضاً فإن الإنسان خُلِقَ ضعيفاً لا يتحمل شدة الحر ولا صقيع البرد ، فلا بد له من سكن يتقى فيه ما لا طاقة له به : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ ﴾ (٥) .

وهذه الضروريات لا تحصل إلا بالعمل والكسب .

---

(١) سورة الأنبياء : ٨

(٢) سورة الأنبياء : ٣٠

(٣) سورة الأعراف : ٢٦

(٤) سورة الأعراف : ٢٧

(٥) سورة النحل : ٨٠

كما أن المسلم يحتاج إلى ما يُعينه على أداء الفرائض وما يُغنيه عن التطلع إلى ما فى أيدى الناس ، وهذا لا يكون إلا بالكد وابتغاءِ فضل الله .

والكسب إما أن يكون حلالاً وإما حراماً ، فطلب الحلال من عمل الأخيار ، وهو طريق الأبرار ، فيه قُرْبة وطاعة لله ، يُثيب عليه ويُبارك فيه : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ (١) .

﴿ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ (٢) .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ (٣) .

وأما الحرام فهو عارٌ ونارٌ وخزىٌ ودمار على ما كسبه ، قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾ (٤) .

﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ (٥) .

و﴿ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ (٦) .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ (٧) .

وفى الأحاديث المتفق عليها عن النبى ﷺ : « مَن ظلم سِبراً من أرض

---

(١) سورة الجمعة : ١٠

(٢) سورة المزمل : ٢٠

(٣) سورة البقرة : ٢٦٧

(٤) سورة البقرة : ٢٧٥

(٥) سورة البقرة : ٢٧٦

(٦) سورة النساء : ٢٩

(٧) سورة النساء : ١٠

طُوِّقه من سبع أرضين » [١] ، « مَن اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرَّم عليه الجنَّة وإن كان قضيباً من أراك » [٢] ، « إنكم تختصمون إليَّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحُجَّته من بعض فأقضى له بنحو ما أسمع ، فمَن قضيتُ له بحق أخيه فإنما أقطعُ له قطعة من نار » [٣] .

فآخذُ المال إما كاسب لنفسه وإما كاسب عليها ، فمَن أخذ المال من طريق حلال فهو كاسب لنفسه ، ومَن أخذه من طريق مُحرَّم فهو كاسب على نفسه . يرى بعض العلماء رحمه الله أن طلب الكسب فريضةٌ على كل مسلم كما أن طلب العلم فريضةٌ ، واستدلوا بأحاديث عن النبى ﷺ ، أحدها عن ابن مسعود والثانى والثالث عن أنس رضى الله عنهما : « طلبُ الحلال فريضة على كل مسلم » [٤] ، « مَن أمسى كالاً فى طلب الحلال بات مغفوراً له » (رواهما الطبرانى) [٥] ، « ما من عبد استحيا من الحلال إلا ابتلاه الله بالحرام » (رواه ابن عساكر) [٦] .

وأصول مكاسب الحلال ثلاثة هى : الزراعة ، والتجارة ، والصنعة ، وتدخل الإجارة فى التجارة .

---

(١) البخارى برقم (٢٤٥٢) : المظالم ، من حديث سعيد بن زيد رضى الله عنه ، ومسلم : المساقاة برقم (١٣٩) خاص .

(٢) مسلم فى الصحيح : الإيمان برقم (١٣٧) خاص من حديث أبى أمامة رضى الله عنه .

(٣) البخارى برقم (٢٦٨٠) : الشهادات من حديث أُم سلمة رضى الله عنها ، ومسلم : الأقضية برقم (٤) خاص .

(٤) المجمع : ١٠/ ٢٩١ أورده من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه ، وقال : إسناده حسن .

(٥) المجمع : ٤/ ٦٣ ، وقال : رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه جماعة لم أعرفهم .

(٦) لم أقف على هذا اللفظ فى تاريخ دمشق مع طول البحث ، والله أعلم بصحته .

إن فى كل أصل من هذه الأصول توكلٌ على الله وحسنُ ظن به وطلبٌ لفضله ، وفيه أجْرٌ إذا صلحت النِيَّة ، والمال سلاح هذا الزمان .

فأما الزراعة فما من مسلم يغرس غرساً ولا يزرع زرعاً إلا كان ما أكل منه إنسان ولا طير ولا دابة ولا شىء ، إلا كان له صدقةٌ إلى يوم القيامة (١) ، حتى الذى يُسرق منه أو يُغصب يكون له صدقة ، جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة عند مسلم (٢) .

وأما التجارة ففيها الاستغناء عن الناس والتوسعة على الأهل والعيال ، ومنها البر والصلة وعملُ المعروف ، وفيها الاختلاط بالناس فيتمكن من أمرٍ بمعروفٍ أو نهيٍ عن منكر ، أو عمل خير خاص أو عام ، وهى من أفضل الكسب وأطيبه .

قال بعض المفسِّرين فى قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ (٣) : أى التجارة ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ (٤) : أى التجارة ، ﴿ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ : أى التجارة (٥) .

وأما الصنعة . . فمجالها واسع ولا تحتاج إلى رأس مال ، وإنما قوامها النُصْح والمَعْرِفة والإخلاص ، وكسبها خير المكاسب . روى البخارى رحمه الله

---

(١) البخارى برقم (٦٠١٢) ، كتاب : الأدب ، من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه ومسلم : المساقاة (٧) ، ورقم (٨ - ١٢) من هذا الوجه واللفظ .

(٢) ذلك من حديث جابر الأنصارى : مسلم : المساقاة برقم (٧) خاص وعام (١٥٥٢) .

(٣) سورة البقرة : ١٧٢

(٤) سورة البقرة : ٢٦٧

(٥) سورة المزمل : ٢٠

فى صحيحه بسنده عن النبى ﷺ أنه قال : « ما أكل أحدٌ طعاماً قطُّ خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وكان داود عليه السلام يأكل من عمل يده » (١) .

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضى الله عنه يرى الرجل فيعجبه ، فيسأل : أَلَه صنعة ؟ فإذا قالوا : لا ، سقط من عينه » (٢) .

والخِراقُ فى المعيشة أخوف على المسلم من العَوْز فلا يَقِلُّ شىء مع حُسن التدبير والإصلاح ، ولا يبقى شىء مع التبذير والفساد ، وأفضل المكاسب ما كان نفعه أعم والناس إليه أحوج .

وليس فى طلب الرزق بالطرق المباحة ما ينافى المروءة ، ولا ما يُعَد دناءة ، ولا ما يخدش الكرامة .

وإنما الدناءة وسقوطُ المروءة وهبوط الرجولة ففى البطالة ومجالس الردى ومسالِك الخنا ، وفى أكل أموال الناس بالباطل بأى وسيلة كانت .

وأما الكسب بالطرق المباحة ، فسبيل المرسلين ، عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم ، فكان آدم مزارعاً وصانعاً ، وكان نوحُ نجاراً يصنع الفلك (٣) ، وإدريس خياطاً (٤) ، وإبراهيم بزازاً (٥) ، وكان إسماعيل

---

(١) البخارى برقم (٢٠٧٢) : البيوع ، باب (١٥) ، وهو من حديث عائشة رضى الله عنه .

(٢) لم أقف على هذا الأثر وإن معناه لصحيح ويؤيده : « اليد العليا خير من اليد السفلى » .

(٣) ذكره الحافظ فى الفتح : ٣٠٦/٤ ، ونسبه إلى الحاكم فى المستدرك وقال : إسناده ضعيف ، ولكن قوله تعالى : ﴿ اصْنَعِ الْفُلْكَ ﴾ (المؤمنون : ٢٧) يؤيد هذا المعنى .

(٤) ذكره الحافظ فى الفتح : ٣٠٦/٤

(٥) ورد ذلك فى قصص الأنبياء للإمام ابن كثير رحمه الله تعالى .

رامياً [١] ، وكان داود يصنع الدروع [٢] ، ونبينا محمد ﷺ كان تاجراً وراعياً للغنم [٣] ، ثم داعياً ومجاهداً وغانماً ، وكان أصحاب رسول الله ﷺ هم عمال أنفسهم وهم خدم أنفسهم ، يعملون ويأكلون من كسب أيديهم ، فمنهم التاجر والمزارع والراعى والعامل والأجير ، فلم يضرهم ذلك ولم يؤثر فى نشاطاتهم الإسلامية ، فكانوا سادة العالَم وقادَة الأُمَّة وأهل الحل والعقد والأمرِ والنهى ، وكانوا دعاةَ الإسلام وروَّاد الأمن والسلام وحملةَ مشاعل الهداية ، فأناروا الطريق للناس ، ووضعوا العدل ، ورفعوا الظلم ، وأخذ كلُّ فرد حريته ، وصارت العبودية لله وحده .

والمنهج الإسلامى يمتاز بالتوازن بين واجبات الحياة .

يوازن بين العمل والراحة ، وبين الكسب والعبادة ، وبين حق الخالق وحق المخلوق ، وحق الدنيا وحق الآخرة .

إن بعض الناس يظن أنه لا سبيل إلى الكسب إلا بالوظيفة الحكومية ، ولا شك أن الوظيفة من عمل اليد وفيها مشاركة فى خدمة الدولة ورعاية مصالح الأُمَّة ، ولكن الوظائف محدودة بحسب متطلبات الأعمال والمصالح فلا تتسع للراغبين ، والدولة - أدام الله عزها وتوفيقها وهدايتها - بذلت ما فى الوسع للتعليم والتوجيه وكثَّر اللهُ خيرها .

أما عمل السبب لطلب الرزق ، فواجب على الفرد نفسه ، وأسبابُ

---

(١) ورد فى صحيح البخارى برقم (٢٨٩٩) : الجهاد ، من حديث سلمة بن الأكوع رضى الله عنه .

(٢) إشارة إلى الآية ٨٠ من سورة الأنبياء ، وقد ورد ذلك فى الصحيح أيضاً .

(٣) أما التجارة فى حقه - صلى الله عليه وسلم - فقد كانت قبل النبوة كما فى الصحيح ، وأما رعى الغنم فى حقه عليه الصلاة والسلام فهو ثابت ، البخارى برقم (٢٢٦٢) : الإجارة ، من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

المكاسب وطرقُها متوفرة فى بلادنا كثيرة ، ولله الحمد والمَنَّة : هذه الشركات والمؤسسات والقطاعات والتجارات والزراعة والصناعة بأشكالها وألوانها ، والدولة اشترطت الأولوية للسعودى فيما يحسنه ، فعلى المواطن أن يطرق أبواب الرزق مثل هذا العالَم الذى نشاهده يهتز ويتحرك ، من صلاة الفجر إلى هزيع من الليل ، والتوفيق بيد الله ولا يحصل إلا ما قَدَّر .

أخى الشاب السعودى ؛ لا يَغْلبُك الناس على خدمة بلادك والاستفادة من خيراتها ، فالواجب عليك آكد ، وأنت إلى الخير أحوج وأحق ، ادْخُل فى ميدان العمل ولا تحقر شيئاً .

واعلم أن الصعود يبدأ بأول درجات السُّلَم ، والأُمور مقرونة بأسبابها . قال سعيد بن المسيب رحمه الله : « لا خير فيمن لا يطلب المال يقضى به دَيْنه ويصون به عِرضه ويقضى به ذِمامه » (١) .

ورأى سفيان الثورى رحمه الله أناساً جلوساً فى المسجد ، فقال : اطلبوا من فضل الله ولا تكونوا عيالاً على المسلمين .

وجاء رجل بابنه للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله يستشيره ، فقال : خذ ولدك إلى السوق وجَنِّبه الأقران (٢) .

واعلم أيها المسلم أن النُّصح والصِّدق والأمانةَ والوفاءَ واحترامَ النظام والمواظبةَ على العمل هى أسباب النجاح وضدُها أسباب الفشل ، استعن بالله ولا تعجزنّ ، ولا تقولنّ لو أنى فعلت كذا وكذا لكان كذا وكذا ، ولكن قل : قدَّر الله وما شاء فعل ، اعمل الأسباب ولا تستسلم لليأس والخمول .

---

(١) لم أقف عليه مسنداً ، ولكن معناه صحيح بدون شك .

(٢) لم أقف عليه مسنداً ، ولكن معناه صحيح بدون شك .

كل مخلوق كُتِبَ له رزقه ، لكن لا بد من فعل الأسباب ، انظر إلى الطير تغدوا خماصاً جائعةً وتروح بِطاناً إلى أوكارها ، فهى تعمل السبب بغدوها ورواحها (١) .

اللَّهُمَّ ألهمنا رشدنا ، ووفقنا لما يرضيك عنا ، ويَسِّر لنا أمورنا ، واهد التَّائه منا ، وارزقنا حلالاً طيباً مباركاً فيه ، واغفر لنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

(١) إشارة إلى الحديث الذى رواه أحمد فى مسنده ، والترمذى ، وابن ماجه فى سننهما ، والحاكم فى مستدركه ، عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وذكره السيوطى فى الجامع الصغير برقم (٧٤٢٠) ورمز له بالصحة .

بسم الله الرحمن الرحيم

آداب البيع والشراء

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١) . . فله الحمد والمنَّة .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد . .

فأُوصيكم وإياى بتقوى الله ومراقبته فى السِّر والعلن ، فما خاب مَن اتقَّى الله ، وما أفلح مَن نسى الله ، ثم اعلموا - رحمنى الله وإياكم - أن للمعاملات آداباً لا بد من التحلى بها ، فمنها الصدق ؛ فمن صدق بورك له فى أخذه وعطائه ، ومنها السماحة ؛ رحم الله عبداً سمحاً إذا باع ، سمحاً إذا اشترى ، سمحاً إذا قضى ، سمحاً إذا اقتضى (٢) ، ومنها أن صاحب السلعة أحق أن يذكر الثمن ، فيقول : أبيعها بكذا ؛ بالثمن الذى يبيعها به ، وحرام أن يزيد فى الطلب ، ثم يأخذ فى التخفيض قليلاً قليلاً ، ليخدع المشترى لعله يَسوم بأكثر مما تستحق ، وعلى المشترى أن يبذل الثمن الذى

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) إشارة إلى حديث جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنه : البخارى برقم (٢٠٧٦) : البيوع ، باب : السهولة والسماحة فى الشراء والبيع ، ومَن طلب حقاً فليطلبه فى عفاف .

يرغب الشراء به ، فلا يَسوم بقليل ثم يأخذ يزيد ، فإن الطريقة التى يتبعها بعض الباعة أن يطلب فى السلعة مائة وبعد المماكسة يبيعها بخمسين .

هذه الطريقة مع أنها كذب فهى خداع ، وكلاهما لا يليقان بالمسلم ، والآداب الإسلامية ، أن يحدد البائع السعر وأن يبذل الراغب الثمن مرة واحدة ، فإما أن يأخذ وإما أن يدع ، ومع ما فى ذلك من الصدق والأمانة ، ففيه راحة للنفس وتوفير للوقت .

وقد يقول قائل : إن الزبون لا يشترى بما يُعْرَض عليه أولاً ، فالجواب لأن الزبون تخمَّر فى ذهنه أن الباعة يكذبون ويزيدون ، لكن إذا عُرِف تاجر بالصدق وبتحديد السعر أقبل عليه الناس وائْتمنوه .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، وتخلَّقوا بآداب الإسلام .

صَلُّوا على البشير النذير . . . . . .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

* * *

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٣١ - التحذير من الكذب فى البيع والشراء [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [٢] . . ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [٣] . . ولا عدوان إلا على الظالمين [٤] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

صَلَّى الله عليه وسَلَّم وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان أجمعين .

أما بعد . .

فيا أيها المسلمون : أُوصيكم ونفسى بتقوى الله . . ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [٥] .

أيها الناس ؛ إن أعز شيء عند الإنسان هو حياته وسعادته ، فكل سعيه من أجل المحافظة على حياته ، وتحقيق سعادته .

إلا أن الإنسان كثيرُ الغفلة والخطأ والزلل ، فقد يعمل عملاً لا يفكر فى

---

(١) ألقيت يوم ٢١/ ٤/ ١٣٩٥ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) جزء من آية الأعراف (١٢٨) .

(٤) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة البقرة الآية : ١٩٣

(٥) سورة التوبة : ١١٩

عاقبته ، أو يتكلم بكلام لا يُلقى له بالاً ، يكون فيه هلاكه وشقاوته ، وإن أخطر بريد يركبه الإنسان يورده موارد الهلاك ، ويهوى به أبعد مما بين السماء والأرض ، وهو لا يدرى ؛ هو مطية الكذب ، الذى اتخذه الناس نزهة لمجالسهم ، وطريقاً للبيع والشراء ، وواسطة للتعارف والتزلف ، ومخرجاً من المسئوليات الواجبة .

إن الكذب مرض اجتماعى خطير يهدم الدين ويضيع الحقوق ، ويُورث البغضاء والشحناء ، فلا يصدر الكذب من إنسان يؤمن بالله واليوم الآخر ، ولا من شخص يؤمن بالعدالة ويتصف بها ، وإنما هو من صفات المنافقين الذين لا إيمان لهم ولا خَلاق لهم .

قال صلى الله عليه وسلم : « آية المنافق ثلاث ، وإن صلى وصام وقال إنه مسلم : إذا حَدَّث كذب ، وإذا وَعَد أخلف ، وإذا ائتمن خان » (١) .

هذه الخصال الثلاث فيها دمار الدين والدنيا ، لذلك لا تجتمع فى قلب مؤمن ، ومَن كانت فيه خصلة منها كان فيه خصلة من النفاق (٢) .

والكذب هو رأس هذه الخصال ومصدرها ، فلا يكون إلا من نفس شريرة وطوية خبيثة ، ذلكم أن الكذب يؤثر فى القلب نكتة سوداء ، فكلما زاد الكذَّاب فى الكذب ازداد السواد ، حتى يَسْوَد قلبه فيُكتب عند الله من

---

(١) أخرجه البخارى فى الصحيح : ١/ ٨٣ - ٨٤ فى الإيمان ، باب : علامة المنافق وهو من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، ومسلم فى الصحيح ، باب : خصال المنافق برقم (٥٩) .

(٢) البخارى فى الصحيح مع الفتح : ١/ ٨٤ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه ، باب : علامات النفاق ، ومسلم فى الصحيح برقم (٥٨) عام من هذا الوجه واللفظ .

الكذَّابين ، وحينئذ يكون القلب أغلف مطبوعاً عليه ، لا يعرف خيراً ولا يقبله ، ولا ينكر منكراً ولا يغيره .

ورد فى الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدى إلى البر ، وإن البر يهدى إلى الجنَّة ، وما يزال الرجل يصدُق ويتحرَّى الصدق حتى يُكتب عند الله صِدِّيقاً ، وإياكم بكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور ، وإن الفجور يهدى إلى النار ، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرَّى الكذب حتى يُكتب عند الله كذَّاباً » (١) .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ (٢) .

إنَّ من الكذب ما هو كفر مُخْرِجٌ من ملَّة الإسلام ، وهو الكذب على الله تبارك وتعالى ورسوله ﷺ ، كالذى يُحَرِّم ما أحَلَّ الله أو يُحلِّل ما حَرَّم الله (٣) ، ومَن زعم أن حكم القوانين أحسنُ فى حكم الله : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (٤) ، ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (٥) ، وأعظم من ذلك إثماً وجرأة على الله ورسوله الذى يزعم بأنه رأى النبى ﷺ بعد مماته ، يقظة لا مناماً ، وأعطاه

---

(١) إشارة إلى حديث ابن مسعود رضى الله عنه : البخارى برقم (٦٠٩٤) الأدب ، باب (٦٩) ، ومسلم : البر والصلة ، الأحاديث أرقام (١٠٣ - ١٠٥) من هذا الوجه واللفظ .

(٢) سورة غافر : ٢٨

(٣) إشارة إلى حديث عدى بن حاتم رضى الله عنه عزاه الإمام ابن كثير فى تفسيره : ٣/ ٣٨٥ إلى الإمام أحمد والترمذى وابن جرير فى تفسير سورة التوبة (آية ٣١) ، وقال : إسناده صحيح .

(٤) سورة المائدة : ٥٠

(٥) سورة المائدة : ١٠٣

أوراداً وأعمالاً ، وشرَّع له منهجاً جديداً لا يتفق مع كتاب الله وسُنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فلا يُصَدِّق بذلك مَن له عقل يُميِّز به ، ولا مَن له أدنى إلمام بشريعة الإسلام ، فإن الله تبارك وتعالى قضى على مَن انتقل من هذه الحياة الدنيا ألا يعود إليها ، وصفوة الخلق - صلى الله عليه وسلم - قد انتقل إلى الرفيق الأعلى ، وترك أُمَّته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك (١) . فمن المستحيل شرعاً وعادة أن يخرج بعد مماته فيقابل أحداً من الناس فى هذه الدنيا ، ولو قُدِّر حصول لذلك لخرج - صلى الله عليه وسلم - لإصلاح ما حصل بين أصحابه وأهل بيته من الخلاف فى القرون المفضَّلة ، ولكنه لم يخرج إليهم لأن الله قضى عدم خروجه بعد مماته عليه الصلاة والسلام .

وإنما تلك أكاذيب دُعاة الضلال ليصدُّوا المسلمين عن حقيقة دينهم ، وتعبدهم بما لم يأذن به الله (٢) ، والهدف من ذلك هو تفريق المسلمين ، وإضعاف قوة الإيمان من نفوسهم وعزلُهم عن ربهم تبارك وتعالى الذى منه مددهم وحده ، فاحذروا أيها المسلمون من دعاة الضلال ، وزِنُوا ما يقولونه بموازين الكتاب العزيز والسُّنَّة المطهَّرة ، فما وافق فهو حق ، وما خالف فهو باطل يجب رده على صاحبه (٣) .

---

(١) إشارة إلى حديث العرباض بن سارية رضى الله عنه الإمام أحمد فى المسند : ١٢٦/٤ ، وابن ماجه فى السنن ، المقدمة برقم (٤٣) ، وله شاهد من حديث أبى الدرداء رضى الله عنه ، أخرجه ابن ماجه فى مقدمة السنن ، وإسناده حسن .

(٢) إشارة إلى الآية ٢١ من سورة الشورى .

(٣) إشارة إلى حديث عائشة رضى الله عنها : البخارى مع الفتح معلقاً : ٢٩٧/٤ ، ومسلم فى الصحيح برقم (١٧١٨) عام ، ونحو معناه : « مَن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » هذا لفظ مسلم من حديث عائشة رضى الله عنها كما سبق بيانه .

ومن الكذب ما هو كبيرة من الكبائر ، كالذى يقول : سمعت أو رأيت فلاناً يقول كذا وهو لم يسمع ولم ير ، قاصداً فساد ذات البَيْن ، وإيجاد الخلاف والشقاق بين الناس .

أو كالذى يروج بضاعته بالكذب ليأكل أموال الناس بالباطل ، فيصف سلعته بما ليس فيها ، أو يقول : شريتها بكذا ، أو أُعطيتُ فيها كذا ، وهو كاذب اشتراها بأقل ولم يُعْط فيها ما قال .

ومثال ذلك الذى يتقرَّب إلى الناس بوصف آخرين بما ليس فيهم من طيب وردىء ، قاصداً التزلف دون خوف من الله ، ودون نظر فى مصالح الآخرين .

وأما الذى يُحدِّث ويكذب ليُضحك القوم ، فويل له ، ويل له ، ويل له . . إنَّ العبد يقول الكلمة لا يقولها إلا ليُضحك بها الناس ، يهوى بها أبعد ما بين السماء والأرض (١) ، وإن زَلَّة اللِّسان أشد من زَلَّة القدم .

فاتقوا الله - عباد الله - وكونوا مع الصادقين ، فإن الصدق يفتح القلب وينمى فيه نور الإيمان ، يهدى إلى البر ، والبرُ يهدى إلى الجنَّة (٢) .

احفظوا ألسنتكم عن الكلام إلا ما ظهر منه مصلحة ، فإن السكوت سلامة ، والسلامة لا يعدلها شىء ، ومَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر

---

(١) إشارة إلى حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه : الإمام أحمد فى المسند : ٣/ ٣٨ ، وإسناده صحيح ، وأخرجه الترمذى فى جامعه ، كتاب الزهد ، الباب الأول من هذا الوجه واللفظ .

(٢) إشارة إلى حديث ابن مسعود رضى الله عنه : البخارى برقم (٦٠٩٤) الأدب ، باب (٦٩) ، ونحوه مسلم فى الصحيح ، كتاب البر والصلة بأرقام (١٠٣ - ١٠٥) خاص ، من هذا الوجه .

فليقل خيراً أو ليصمت [١] ، ومن صمت نجا [٢] ، ومن كثر لغطه كثر غلطه [٣] .

اللَّهُمَّ ألهمنا رشدنا ، وقنا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، واحفظنا من حصائد ألسنتنا [٤] ، واغفر لنا ، وتجاوز عنا .

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله العظيم لى ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

* *

---

(١) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضى الله عنه : البخارى مع الفتح : ١١/ ٢٦٥ ، فى الرقاق ، ومسلم فى الإيمان ، حديث رقم (٤٧) ، باب : الحث على إكرام الجار .

(٢) إشارة إلى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه : أحمد فى المسند : ٢/ ١٥٩ ، ١٧٧ ، والترمذى فى جامعه (٢٥٠٣) : صفة القيامة ، وقال : حديث غريب .

قلت : إسناد الآخرين صحيح ما عدا الترمذى ، والله أعلم .

(٣) لم أقف على هذا اللفظ مرفوعاً ، وإنما معناه صحيح روى فى أحاديث كثيرة ، والله أعلم .

(٤) إشارة إلى حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه : الإمام أحمد فى المسند : ٥/ ٢٣١ ، وأخرجه بعض أصحاب السنن كالترمذى وابن ماجه وإسناده حسن ، والله أعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

كذبة إبريل مُحرَّمة

(الخطبة الثانية)

الحمد لله حمداً كثيراً (١) . .

وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له فى ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وصفوته من خلقه .

صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسَلَّم تسليماً كثيراً .

أما بعد . .

فيا أيها المسلمون ؛ اتقوا الله تعالى وراقبوه فى السر والعلانية فكلكم فى قبضته وتحت قهره ، يسمعكم ويراكم : ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ (٢) .

ثم اعلموا أنَّ من الكذب ما يستهين به بعض الناس ولا يبالى به ، ولكنه يُسَجَّل عليه كذباً .

روى عن النبى ﷺ أنه قال : « من الكذب أن تقول للصبى : تعال أعطك فلم تعطه » ، فكثير من الناس لا يعلم أن ذلك تعليم للصبى وتمرين له على الكذب (٣) .

---

(١) إشارة إلى حديث رفاعة بن رافع الزرقى رضى الله عنه : البخارى : الأذان ، حديث رقم (٧٩٩) ، باب رقم (١٢٦) ، وفيه هذا اللفظ المبارك وفيه فضل عظيم .

(٢) سورة غافر : ١٩

(٣) أخرجه الإمام أحمد فى المسند : ٢/٤٥٢ من حديث أبى هريرة رضى الله عنه وإسناده صحيح على شرط البخارى رحمه الله تعالى فى الصحيح لو كان الزهرى قد =

وأعظم من ذلك ما انتشر بين الناس مما يسمونه كذبة إبريل ، فلا يتماشى أن يكذب بما يفجع من الحوادث الكاذبة ، أو المواعيد الفاجرة ، والعاقبة وخيمة فى ذلك ، فقد نُقِلَ أن شخصاً مات بسبب كذبة إبريل ؛ وذلك أن مسلماً كان مريضاً بمرض ، فلما جلس على الطعام مع بعض أُسرته مرتاحاً فرحاً ، إذا بامرأة تكذب عليه كذبة إبريل ، فتقول : إن ابنك فلاناً حصل عليه حادث تصادم ، فأصابته الفجعة على غِرَّة وأُغمى عليه ، فمات بسبب كذبة إبريل .

اتقوا الله أيها الناس ، ما أبقيتم من الإسلام ، ولا من التقاليد ، ولا من العادات ، ولا حتى من اللُّغة العربية ، ما أبقيتم شيئاً إلا استبدلتموه بغيره من هنا وهناك !!

أيها المسلمون : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم وبارك وأنْعم على عبدك ورسولك نبينا محمد صاحب المقام المحمود والحوض المورود (٢) .

وارض اللَّهُمَّ عن الأربعة الخلفاء الراشدين : أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلىّ ، وعن بقية أصحاب نبيك أجمعين ، وأهل بيته الطيبين الطاهرين ، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللَّهُمَّ ارض عنا معهم بمَنِّك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

= سمع من أبى هريرة رضى الله عنه ولكنه لم يسمع ، وقد أورد الحديث العلامة الإمام الهيثمى فى المجمع : ١٤٢/١ وقال : الزُّهْرى لم يسمع من أبى هريرة رضى الله عنه ، والله أعلم ، وإن معنى هذا الحديث لصحيح ثابت عن رسول الله ﷺ فى عموم أحاديث الكذب .

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

(٢) إشارة إلى الآية ٧٩ من سورة الإسراء .

اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلام والمسلمين ، وأذلَّ الشِّرك والمشركين ، ودَمِّر أعداء الدين ، واحم حَوْزة الإسلام يا رب العالمين .

اللَّهُمَّ اجمع كلمة المسلمين واحفظ جيوشهم وألِّف بين قلوبهم وانصرهم على عدوك وعدوهم .

اللَّهُمَّ اخذل اليهود وأعوانهم ، وفَرِّق جمعهم وشَتِّت شملهم ، وأنزل الرعب فى قلوبهم .

اللَّهُمَّ أدم الأمن والاستقرار فى أوطاننا وجميع أوطان المسلمين ، وانصر واحفظ إمامنا ، وأيِّده بتوفيقك وعنايتك ، وكلل مساعيه بالنجاح ، وجميع ولاة المسلمين .

اللَّهُمَّ اغفر لجميع المسلمين الأحياء والميتين ، وفَرِّج هم المهمومين ، ونَفِّس كرب المكروبين ، واقض الدَّيْن عن المدينين ، واشف مرضى المسلمين .

عباد الله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (١) .

فاذكروا الله يذكركم ، واشكروه يزدكم ، ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (٢) .

* * *

(١) سورة النحل : ٩٠ - ٩١

(٢) سورة العنكبوت : ٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

٣٢ - التحذير من اليمين الكاذبة [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد الله أحمده وأستعينه ، وأستغفره وأتوب إليه ، وأعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا [٢] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومن اتبع مِلَّته واقتفى أثره .

أما بعد . .

فإن الإسلام حريص كلَ الحرص على ترابط أجزاء المجتمع وتقوية صِلاته ، وتوثيق التآخى والتعاطف .

ولما كانت الأموال محببة للنفوس بأصل الفِطْرة ، وهى من زينة الحياة الدنيا [٣] ، يتسابق الناس إليها ويتنافسون فيها ، فهى محك السرائر ومختبر الضمائر : ﴿وَلَا يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا ۝٣٦ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ﴾ [٤] من أجل ذلك نظَّم الإسلام المعاملات المالية

---

(١) ألقيت يوم ١٣٩٨/٨/١٦ هـ .

(٢) إشارة إلى حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : ابن ماجه ، النكاح ، باب (١٩) برقم (١٨٩٢) ، وهو خطبة النكاح ، وبرقم (١٨٩٣) من حديث ابن عباس رضى الله عنهما .

(٣) إشارة إلى الآية ٤٦ من سورة الكهف .

(٤) سورة محمد : ٣٦ - ٣٧

والصِّلات الاقتصادية ، وحَفِظ المِلْكية الفردية ، بما يضمن الترابط والتآخى بين المسلمين ، دون حاجة إلى زيادة أو نقصان . . كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعِرضه (١) .

ولما كانت النفوس تختلف فى اتجاهاتها بحسب ما وقر فى القلب من إيمان ، قوةً وضعفاً وفقداناً ، فقد يطمع بعضٌ فى مال الآخر ، أمر الإسلام بسد هذا الباب ، فأمر بحفظ الأموال وصيانتها ، كما أمر بكتابة الدَّيْن والإشهاد عليه (٢) ، لقطع مادة الخلاف والشِّقاق ، فإن لم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة (٣) .

ولكن بعض الأحوال قد لا يتأتى الإشهاد عليها ، وليست لها دلائل ظاهرة يُرجع إليها ، إما لخفاء السبب أو لعدم الأحقية . وقد عالج الإسلام هذه الحالة بما يرفع الخلاف فى هذه الدنيا مع بقاء القضية مرفوعة إلى المحكمة العظمى عند الله يوم القيامة ونِعْمَ الحَكَم العدل : ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ (٤) .

البيِّنة على المدَّعِى واليمين على مَن أنكر (٥) . وهذه قاعدة عظيمة فيها من المصالح والمنافع للناس ما الله به عليم ، وقد أشار صلى الله عليه وسلم إلى ذلك بقوله : « لو يعُطْىَ الناس بدعواهم لادَّعى رجال دماء أقوام وأموالهم ،

---

(١) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضى الله عنه : مسلم فى الصحيح : البر والصلة حديث رقم (٣٢) خاص وعام (٢٥٦٤) ، باب : تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ، ودمه ، وماله .

(٢) إشارة إلى الآية ٢٨٢ من سورة البقرة .

(٣) إشارة إلى الآية ٢٨٣ من سورة البقرة .

(٤) سورة الكهف : ٤٩

(٥) إشارة إلى حديث ابن عباس رضى الله عنهما : مسلم فى الصحيح فى الأقضية برقم (١٧١١) ، باب : اليمين على المدَّعَى عليه وهو المنكر إذا لم تكن عند المدعى البينة .

ولكن البَيِّنة على المدَّعِى واليمين على مَن أنكر » [١] ، وهنا المحك وموقع المعركة فيها ، إما النجاة وإما الهلاك ، إما السعادة وإما الشقاوة .

قد يظن بعض الناس أن اليمين سهلةٌ فهو يحسبها مجرد كلماتٍ معدوداتٍ يقولها ثم ينصرف سالماً غانماً ، وهذا تصور خاطئ ، وفهم قاصر ، ونظر دانى . إن اليمين جرأة على الله جَلَّ شأنه ، اليمين تخلُّص من المخلوق الضعيف ، ودخول تحت مسئولية الخالق تبارك وتعالى ، اليمين الكاذبة ربح فى العاجل وخسار ودمار فى المستقبل ، فكم من يمين كاذبة جعلت الديار بلقعاً ، شتتت الشمل وأهلكت الحرث والنسل .

والذى يحلف يميناً كاذبة يقتطع بها مال امرئ مسلم بدون حق [٢] عدو لله ، ليس له حظ من نعيم الآخرة ولا يُكلِّمه ربه بكلام له فيه خير ، ولا ينظر إليه نظرة رحمة وإحسان ، ولا يُطَهِّره من الذنوب والآثام ، وإنما مآله إلى عذاب مؤلم شديد .

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « مَن حَلف على مال امرئ مسلم بغير حق لقى الله وهو عليه غضبان » ، ثم قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مصداقه من كتاب الله عَزَّ وجَلَّ : ﴿ إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ﴾ [٣] .

---

(١) هذا الحديث : أخرجه مسلم فى الصحيح من حديث ابن عباس رضى الله عنه : الأقضية ، حديث (١) خاص وعام (١٧١١) باب : اليمين على المدَّعى . . . .

(٢) إشارة إلى حديث ابن مسعود رضى الله عنه : البخارى برقم (٧٤٤٥) : التوحيد باب (٢٤) بهذا اللفظ ، وأخرجه مسلم فى الصحيح : كتاب الأيمان ، حديث رقم (٢١٨) خاص ، والإمام أحمد فى المسند : ١/ ١٨٩

(٣) البخارى فى الصحيح : ١١/ ٤٨٥ فى الأيمان والنذور من حديث ابن مسعود =

وعن الأشعث بن قيس رضى الله عنه قال : خاصمتُ رجلاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بئر لى فى يده فجحدنى ، فقال رسول الله ﷺ : « بَيِّنتَك أنها بئرُكَ وإلا فيمينُه » ، قال : فقلت : يا رسول الله ؛ ما لى بَيِّنة وإن تجعلْها بيمينه تذهب بئرى ، إن خصمى امرؤ فاجر ، فقال رسول الله ﷺ : « مَن اقتطع مال امرئ مسلم بغير حق لقى الله وهو عليه غضبان » (١) .

فاتقوا الله أيها الناس . . كيف يتجرأ المسلم على مال أخيه المسلم بدون حق ينازعه فيه فيحضر بَيِّنة كاذبة أو يحلف يميناً فاجرة (٢) ، يجب على المسلم أن يراقب الله تعالى وأن يصاحب التقوى فى جميع أعماله .

يجب على العاقل أن يفهم أن الأُمور ليست مجرد انتصارٍ للرأى ولا كسبٍ للقضية ، وإنما الأمر حلال وحرام ، ثواب وعقاب ، كيف يتجرأ المسلم على خالقه ورازقه يحلف به كاذباً ليأكل به حقوق الناس ظلماً وعدواناً .

إنَّ حُكم الحاكم وفتوى المفتى تُبْنى على الأُمور الظاهرة ، فلا يُحل القاضى حراماً ولا يُحَرِّم حلالاً (٣) ، وإنما الحلالُ ما أحَلَّ الله والحرام

= رضى الله عنه ، ومسلم فى الصحيح فى الأيمان برقم (١٣٨) ، باب : وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة ، وأخرجه البخارى فى الصحيح برقم (٢٤١٦) ، (٢٤١٧) : الخصومات - والآية من سورة آل عمران : ٧٧

(١) هو نفس هذا الحديث - أى حديث ابن مسعود رضى الله عنه - وله شاهد من حديث أُم سلمة رضى الله عنها بمعناه ، أخرجه مسلم فى كتاب الأقضية ، حديث رقم (٤) خاص وعام (١٧١٣) ، وعقد عليه النووى الباب قائلاً : باب الحكم بالظاهر واللحن بالحُجَّة ، ولفظه الذى أورده الخطيب عزاه ابن كثير فى تفسيره : ٢/ ٦١ إلى الإمام أحمد فى مسنده .

(٢) إشارة إلى هذا الحديث : البخارى برقم (٢٤١٦) ، (٢٤١٧) من حديث ابن مسعود رضى الله عنه ، ومسلم فى الصحيح : الإيمان برقم (١٣٨) خاص .

(٣) إشارة إلى حديث أُم سلمة رضى الله عنها : مسلم فى الصحيح : الأقضية ، حديث رقم (٤) خاص وعام (١٧١٣) .

ما حرَّمه الله ورسوله ، فمَن حُكِم له من مال أخيه بشيء ، فإنما هو قطعة من نار فليأخذها أو ليدعْها [١] ، فاتقوا الله أيها المسلمون ، ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [٢] سواء أكانت نقوداً أو مصاغات ، أو عروضاً أو أراضى وعقارات أو طعام ، ولو كانت شبراً من أرض أو قضيباً من أراك [٣] .

وينبغى للعاقل أن يحتاط لنفسه وأن يدع ما يُريبه إلى ما لا يُريبه [٤] ، وأن يجعل دنياه فداءً لدينه وآخرته ، وأن يُسخِّر ماله لخدمته ، ولا يُسخِّر نفسه لخدمة ماله وعبادته ، فاتقوا الله وراقبوه : ﴿ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [٥] .

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم ، ووفقنا إلى نهجه القويم ، وثبتنا على الصراط المستقيم [٦] .

اللَّهُمَّ أغننا بالحلال عن الحرام ، ومتعنا بما رزقتنا ، وبارك لنا فيما أعطيتنا [٧] ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

---

(١) إشارة إلى هذا الحديث : البخارى : ٥/ ٢١٢ فى الشهادات من حديث أُم سلمة رضى الله عنها ، ومسلم برقم (١٧١٣) فى الأقضية .

(٢) سورة البقرة : ١٨٨

(٣) إشارة إلى حديث أبى أمامة رضى الله عنه : مسلم فى الصحيح : الإيمان ، حديث رقم (٢١٨) خاص وعام (١٣٧) .

(٤) إشارة إلى حديث حسن بن على رضى الله عنهما : الترمذى برقم (٢٥٢٠) : صفة القيامة ، وقال : حسن صحيح ، والنسائى : ٨/ ٣٢٧ فى الأشربة ، وابن حبان فى الصحيح (٥١٢) كما فى الموارد .

(٥) سورة النور : ٣١

(٦) إشارة إلى الآية ٢٧ من سورة إبراهيم .

(٧) إشارة إلى حديث علىّ رضى الله عنه : أخرجه الإمام أحمد فى مسنده : ١/ ١٥٣ ، وإسناده جيد وفيه : « اللَّهُمَّ اكفنى بحلالك عن حرامك واغننى بنفعك عمن سواك » .

بسم الله الرحمن الرحيم

شهادة الزور جُرم اجتماعي

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١) . . ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٢) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، قَيُّوم السموات والأرضين .

وأشهد أنَّ نبينا محمداً عبده ورسوله سيد الأوَّلين والآخرين .

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فإن من أعظم الآثام وأكبر الكبائر شهادةَ الزور (٣) ، شهادة الميل والحَيْف ، شهادةً بغير الحق وبغير الواقع ، شهادةً بالكذب والبهتان ، سواء أكانت بأجر أو بدون أجر ، شهادةُ الزور كلها ظلم وظلمات ، ظلم من الشاهد لنفسه إذ عرَّضها لسخط الله ، وأوجب لنفسه عقوبة الدنيا والآخرة ، وظلم للمشهود عليه فيأخذ ماله بشهادة الزور ، وظلم للمشهود له ، لأن شاهد الزور ساق له بشهادته ما هو محرَّم عليه .

شهادة الزور . . إجرام اجتماعى شنيع ، وخطر على المجتمع ، فبشهادة الزور تُستباح المُحرَّمات ، وتُحَرَّم المباحات ، وتُسفك الدماء البريئة ، وتُنهك

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) سورة الأعراف : ١٢٨

(٣) إشارة إلى حديث أبى بكرة رضى الله عنه : البخارى : ٥/١٩٢ فى الشهادات ، باب : ما قيل فى شهادة الزور ، ومسلم فى الصحيح فى الإيمان ، باب : بيان الكبائر وأكبرها برقم (٢٨٧) .

الأعراض النزيهة ، وتُستحل الأموال المعصومة ، فهى خُلُق قبيح لا يصدر إلا عن نفس خبيثة ، ولا يستشهد بها إلا امرأ سوء لا خير فيه .

قال صلى الله عليه وسلم : « ألا أنبؤكم بأكبر الكبائر : الإشراك بالله ، وعقوقُ الوالدين ، ألا وقول الزور ، ألا وشهادةُ الزور » ، فما زال يكررها - صلى الله عليه وسلم - حتى قال الصحابة : ليته سكت [١] ، كل ذلك تحذيراً منها وبياناً لقبحها وخطرها .

فاتقوا الله أيها المسلمون . . ﴿ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ﴾ [٢] .

وصَلُّوا على البشير النذير ، فقد أمرنا الله بذلك فى كتابه المنير ، فقال جَلَّ من قائل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [٣] .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم وبارك وأنعم على عبدك ورسولك نبينا محمد صاحب الحوض المورود والمقام المحمود [٤] .

وارض اللَّهُمَّ عن الخلفاء الراشدين : أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلىّ ، وعن بقية الصحابة أجمعين ، وزوجات نبيك أُمهات المؤمنين ، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللَّهُمَّ ارض عنا معهم بمَنِّك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

---

(١) إشارة إلى حديث أبى بكرة رضى الله عنه : البخارى : ٥/١٩٢ فى الشهادات ، ومسلم فى الأيمان برقم (١٨٧) .

(٢) سورة الحج : ٣٠ - ٣١

(٣) سورة الأحزاب : ٥٦

(٤) إشارة إلى الآية ٧٩ من سورة الإسراء .

اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلام والمسلمين ، وأذلَّ الشِّرك والمشركين ، ودَمِّر أعداء الدين ، واحم حَوْزة الإسلام يا رب العالمين .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ الأمن والاستقرار فى أوطاننا ، واحفظ إمامنا وولاة أُمورنا ، ووفقهم لما نحب ونرضى ، وارزقهم بطانة صالحة يا رب العالمين .

اللَّهُمَّ آمن المسلمين فى أوطانهم ، وأصلح أئمتهم وولاة أُمورهم ، وأخرجهم من الظلمات إلى النور .

اللَّهُمَّ فَرِّج هم المهمومين ، واقض الدَّيْن عن المدينين ، واشف مرضى المسلمين .

عباد الله : أكثروا من ذكر الله تعالى والتسبيح والتهليل والاستغفار . . ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (١) .

* * *

(١) سورة العنكبوت : ٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

٣٣ - السماحة فى البيع [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٢ ﴾ [٢] . . أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة [٣] ، فله الحمد والثناء الدائم الذى لا يُحصى .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، له الأوَّلين والآخرين ، وإليه مَرْجع الخلق أجمعين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، بلَّغ الرسالة وأدَّى الأمانة ونصح للأُمَّة .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه ودعا بدعوته .

أما بعد . .

فإن الشريعة الإسلامية جاءت بمكارم الأخلاق وصفاء القلوب ، وإزالة ما يؤثر فى الخُلُق ويُعكر صفو المَودَّة .

فالناس لا بد لهم من تبادل الأموال والمنافع لسد حاجاتهم ، فلا يخلو مُكلَّف غالباً من بيع وشراء ، ولو فى مأكول ومشروب وملبوس ، لذلك

---

(١) ألقيت يوم ٢٦/ ٥/ ١٤٠٣ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢ - ٣

(٣) إشارة إلى الآية ٢٠ من سورة لقمان .

اعتنت شريعة الإسلام السمحة بالبيوع والمعاملات ، وأمرت بتطهيرها ونقائها . قال تعالى : ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ (١) .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾ (٢) .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ﴾ (٣) .

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ (٤) .

﴿ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ (٥) .

وروى البخارى فى صحيحه عن المقداد بن معدى كرب قال : قال رسول الله ﷺ : « ما أكل أحدٌ طعاماً قَطَّ خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يديه » (٦) .

وعن رافع بن خَديج رضى الله عنه قال : قيل لرسول الله ﷺ : أى الكسب أطيب ؟ قال : « عمل الرجل بيده وكلُّ بيع مبرور » (رواه الإمام أحمد) (٧) .

---

(١) سورة البقرة : ٢٧٥

(٢) سورة النساء : ٢٩

(٣) سورة البقرة : ٢٨٢

(٤) سورة الجمعة : ١٠

(٥) سورة المزمل : ٢٠

(٦) البخارى : ٤/٢٥٩ : البيوع ، باب : كسب الرجل وعمله بيده من حديث المقداد بن معدى كرب رضى الله عنه .

(٧) الإمام أحمد فى المسند : ٤/١٤١ من حديث رافع بن خديج رضى الله عنه وإسناده جيد .

وحثَّتْ الشريعة المباركة على السماحة فى البيع والشراء وحُسن الوفاء والاستيفاء ، إبقاء على الأُخوة والمَودَّة ، فقال عليه الصلاة وأزكى السلام : « رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى » (رواه البخارى بسنده عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه) (١) .

وأمر الرَّحيم بأُمَّته - صلى الله عليه وسلم - بالصدق فى البيع والشراء ، ونهى عن الكذب والحلف ، فقال : « إياكم وكثرةَ الحلف فى البيع ، فإنه يُنفق ثم يَمْحَق » (رواه مسلم عن أبى هريرة) (٢) .

وفى الصحيحين عنه أيضاً قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الحلف مَنْفَقَة للسلعة مَمْحقة للبركة » (٣) .

وفى حديث أبى ذر رضى الله عنه عند مسلم : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : المُسبل ، والمنَّان ، والمنفق سلعته بالكذب » (٤) .

ومن السماحة فى البيع فتحُ باب التروى والتأمل أمام المتبايعين ، فجعل

---

(١) البخارى مع الفتح : ٤/ ٢٦٠ فى البيوع ، باب : السهولة والسماحة فى الشراء والبيع ، من حديث جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنه ، والترمذى فى جامعه برقم (١٣٢٠) وقال : حسن صحيح غريب .

(٢) مسلم فى الصحيح : ٣/ ١٢٢٨ من حديث أبى قتادة رضى الله عنه بهذا اللفظ ، حديث رقم (١٦٠٧) عام ، ومن حديث أبى هريرة نحوه برقم (١٦٠٧) ، كتاب المساقاة .

(٣) البخارى : ٤/ ٢٦٦ فى البيوع ، باب : يمحق الله الربا ويُربى الصدقات ، ومسلم برقم (١٦٠٦) المساقاة ، كلاهما من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

(٤) مسلم فى الصحيح ، كتاب الإيمان ، حديث رقم (١٠٦) من حديث أبى ذر رضى الله عنه .

لهما الخيارَ ما داما فى مجلس المبايعة لم يتفرقا ، وكذلك اشتراط أحدهما أو كلاهما فى الخيار لنفسه (١) ، فإذا صدق المتبايعات وبَيَّنَا بورك لهما فى بيعهما (٢) .

وإن كتما وكذبا مُحقت بركة بيعهما (٣) .

ولا ينبغى لأحد المتبايعين أن يحرص على مُفَارقَة صاحبه من المجلس خشية أن يَسْتَقِيلَه .

ومن حرص شريعة الإسلام على مصالح الأُمَّة وإبقاء المحبة والأُخوة نهت عن كل بيع فيه غَرَرٌ وجهالةٌ (٤) ، لأنه يؤدى إلى إجحافٍ بأحد المتبايعين فيحصل الخلاف والشِّقاق .

فحرَّم الإسلام الربا بجميع أنواعه ومشتقاته ووسائله وحيله ، كما حَرَّم تطفيف الكيل والوزن ، وبخسَ المقياس ، ونهى عن بيع المخابرة (٥) والمزابنة (٦)

---

(١) إشارة إلى حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : البخارى مع الفتح : ٤/٢٧٦ فى البيوع ، ومسلم برقم (١٥٣١) .

(٢) البخارى مع الفتح : ٤/٢٦٢ من حديث حكيم بن حزام رضى الله عنه ، ومسلم برقم (١٥٣٢) من هذا الوجه واللفظ .

(٣) هو نفس هذا الحديث : البخارى : ٤/٢٦٢ من حديث حكيم بن حزام رضى الله عنه ، ومسلم برقم (١٥٣٢) .

(٤) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضى الله عنه : مسلم فى الصحيح برقم (١٥١٣) باب : بطلان بيع الحصاة والغَرَر .

(٥) مسلم فى الصحيح : المساقاة برقم (١٥٣٦) من حديث جابر رضى الله عنه .

(٦) هذا هو نفس هذا الحديث ، فقد وردت فيه الألفاظ الآتية : نهى عن المخابرة والمحاقلة والمزابنة ، ثم ذكره . . .

والمحاقلة [١] والثُّنيا المجهولة ، كما نهى عن بيع الملامسة والمنابذة [٢] ، وعن بيع الثمار حين يبدو صلاحُها [٣] ، وأمر بوضع الجوائح [٤] ، ونهى عن النَّجْش [٥] ، والبيع على البيع [٦] والشراء على الشراء ، وعن تلقى الركبان [٧] ، وبيع حاضرٍ لبادٍ ، وقال : « دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض » [٨] .

ونهى عن الغش والتدليس ، وقال صلى الله عليه وسلم : « مَن غشنا فليس منا » [٩] ، وأمر ببيان العيوب فى المبيعات ، فمن أخفاها فقد غش ودلَّس ، والغاش يبغضه الله ، ومن أبغض اللهُ هلك . روى ابن ماجه عن واثلة بن الأسقع قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَن باع عيباً لم يبينه لم يزل فى مقت الله » أو : « لم تزل الملائكة تلعنه » [١٠] .

---

(١) هو نفس هذا الحديث وفيه : المحاقلة : أن يبيع الرجل الزرع بمائة فرق حنطة .

(٢) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضى الله عنه : البخارى : ٤/ ٣٠٠ فى البيوع ، باب : بيع المنابذة ، ومسلم برقم (١٥١١) .

(٣) البخارى : ٤/ ٢٧٨ من حديث ابن عمر رضى الله عنهما ، ومسلم برقم (١٥٣٤) عام وخاص (٥٢) : المساقاة .

(٤) حديث جابر رضى الله عنه : مسلم فى الصحيح برقم (١٥٣٦) عام وخاص (١٠١) .

(٥) البخارى : ٤/ ٢٩٨ من حديث ابن عمر رضى الله عنه .

(٦) البغوى فى شرح السُّنَّة : ٨/ ١٢٠ وإسناده حسن .

(٧) البخارى مع الفتح : ٤/ ٣٧٣ معلقاً عقد به الباب ، ثم روى تحت معناه عدة أحاديث .

(٨) البخارى برقم (٢١٥٩) من حديث ابن عمر رضى الله عنه : البيوع .

(٩) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضى الله عنه : مسلم فى الصحيح ، الإيمان ، حديث رقم (١) خاص وعام (١٠٢) باب : قول النبى ﷺ : « مَن غَشَّنا فليس منا » وهذا لفظ أبى داود برقم (٣٤٥٢) .

(١٠) ابن ماجه برقم (٢٢٤٧) التجارات ، باب (٤٥) ، وعقد عليه باباً بقوله : باب =

لا بد من إزالة أسباب الخلاف والشِّقاق ، فلا بد من معرفة المبيع قَدْراً وجِنْساً وصفةً ، وكذلك الثمن .

فإذا كان المبيع أرضاً أو مربعاً من مخطط ، فلا بد من رؤية المشترى لها ، ليكون على بيِّنة من الموقع والحدود والصفة .

أما بيع المربعات فى المكتب على المخطط دون رؤية المبيع فلا يجوز ، فقد تكون على صفة لا يرضاها المشترى ، إما على رأس جبل ، أو فى حفرة عميقة ، أو على صخور يصعب تسهيلها ، وإذا كانت الأرض مسوَّاة ومعدلة ومدفونة حفرها ، ولم يعلم المشترى حتى أخذ يحفر للبناء فوجدها هوة عميقة مردومة بأنواع من النفايات ، وقد تكون سياراتٍ خربة ، فله إذاً أرش العيب وله رد المبيع بالعيب ، والواجب أن يخبر البائعُ المشترى أن هذا المكان كان عميقاً فَدُق ، بل الأولى أن تُترك الأرض على طبيعتها ليراها المشترى ، وتكون التسوية للشوارع فقط .

أما الديون المؤجلة ، فشُرِعَت فيها الكتابة والإشهاد : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ﴾ (١) (اقرأوا الآية) ، فإذا لم يكن كاتب فرهان مقبوضة (٢) .

والواجب على مَن يرغب فى البيع والشراء أن يتعرف على البيوع الممنوعة ، وعلى النظام الإسلامى فى المعاملات .

= مَن باع عيباً فليبينه ، وهو من حديث واثلة بن الأسقع رضى الله عنه وإسناده فيه ضعف لأجل بقية بن الوليد الدمشقى وهو مدلس ، وإن معنى هذا الحديث لثابت بأحاديث أُخرى .

(١) سورة البقرة : ٢٨٢ ، وهذه الآية هى أطول آية فى القرآن الكريم فى أطول سورة كما قال الإمام ابن كثير فى تفسيره : ١/ ٥٩٣

(٢) سورة البقرة : ٢٨٢ ، ٢٨٣

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضى الله عنه يتفقد الأسواق ويُخرج منها مَن لا يعرف البيوع الجائزة من الممنوعة [١] .

فاتقوا الله عباد الله . . المسلم أخ المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يُسلمه ، كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعِرضه [٢] ، « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » [٣] .

اللَّهُمَّ ألهمنا رشدنا ، وقنا شرور أنفسنا وأطماعها ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ، ولا غاية مقصودنا ، واجعلها متاعاً لنا وعوناً على طاعتك يا أرحم الراحمين .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

* *

(١) لم أقف عليه مسنداً عنه ، لعله أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف ، والله أعلم .

(٢) مسلم فى الصحيح : البر والصلة من حديث أبى هريرة رضى الله عنه برقم (٣٢) خاص وعام (٢٥٦٤) .

(٣) البخارى مع الفتح : ١/ ٥٣ - ٥٤ : الإيمان ، باب : من الإيمان أن يحب المرء لأخيه ما يحب لنفسه ، ومسلم برقم (٤٥) عام ، من هذا الوجه واللفظ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الظلم ظلمات

(الخطبة الثانية)

الحمد لله على ما هدانا ، وأشكره على ما أوْلانا .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، هو إلهنا ومولانا .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك ، نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد . .

فإن بعض الناس يشترى سلعة - وخاصة العقارات - على أنه ينقد الثمن فوراً ، فيعطى العُربون والباقى عند الإفراع ، ثم يأخذ يماطل ويتهرب عن الإفراع ، ينتظر السلعة تربح فيبيعها ، يتكسب بأموال الناس بدون رضاهم وغصباً عليهم ، وإذا لم تربح قال : هذه أرضك خذها وإلا اصبر ، والبائع إنما باع لينتفع بالثمن ، ومطله فى حقه ظلم ، وقد يكون المشترى لا يستحى من الله ولا من الناس ، فيضطر البائع للشكوى والمحاكمة ويتنكر له ، من أجل تطويل المدة وإتاحة الفُرْصة له ، فأين الأمانة الإسلامية ، وأين صدق المؤمن ، وأين التعاطف والتراحم ؟ لِمَ لَمْ يُخبره من أول مرة ويطلب أجلاً معلوماً بالثمن ليكون الطرفان على بَيِّنة ؟

أما من أخلفته الأمور وأعسر بالدَّيْن الذى فى ذِمَّته ، فيجب إنظاره إلى ميسرة ، وليس للغرماء إلا ما فى ملكه يُباع ، ويقسم ثمنه ، لكن مَن وجد عَيْن ماله لم يتغير عند المفلس فهو أحق به [١] .

---

(١) البخارى : ٤٧/٥ فى الاستقراض ، باب : إذا وجد ماله عند مفلس ، من حديث أبى هريرة رضى الله ، ومسلم فى الصحيح (١٥٥٩) المساقاة .

وما ظنكم بالتواضع عن المعسر ، وإعانته . قال عليه الصلاة والسلام : « مَن سرَّه أن يُنجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه » (رواه مسلم عن أبى قتادة) (١) .

كما روى مسلم عن أبى اليَسَر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من أنظر معسراً أو وضع عنه أظلَّه الله فى ظلِّه » (٢) .

وينبغى للعاقل أن يبتعد عن الدَّيْن ولا يَحملُه حبُّ الدنيا والرغبة فى التجارة أن يستدين ويشغل ذمَّته ، ومن ابْتُلِىَ فليحرص على الوفاء وملاطفة الغرماء ، فإنَّ نفس المؤمن معلَّقةٌ بدينه حتى يقضى عنه (٣) ، وكان صلى الله عليه وسلم لا يُصلِّى على الميت إذا كان عليه دَيْنٌ وليس له وفاء (٤) .

فاتقوا الله عباد الله .. أحسنوا معاملاتكم ، وأصلحوا ذات بينكم ، وتناصحوا فى معاملاتكم ، فمَن أخذ أموال الناس يريد أداءها أدَّى الله عنه ، ومَن أخذها يريد إتلافها أتلفها الله عليه ، وحاسِبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبوا (٥) .

وصلُّوا على البشير النذير .....

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (٦) .

* * *

(١) مسلم فى الصحيح ، المساقاة برقم (١٥٦٣) ، باب : فضل إنظار المعسر من حديث أبى قتادة رضى الله عنه .

(٢) أخرجه مسلم فى الصحيح ، الزهد والرقائق ، حديث رقم (٧٤) خاص وعام (٣٠٠٦) فى قصة طويلة ، وهو من حديث أبى اليَسَر صاحب رسول الله ﷺ .

(٣) أحمد فى المسند : ٢/ ٤٤٠ ، ٤٧٥ من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، والترمذى برقم (١٠٧٩) ، وإسناده حسن .

(٤) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضى الله عنه : البخارى برقم (٢٢٩٨) ، ومسلم فى الفرائض ، حديث رقم (١٤) خاص ، وهذا لفظ النسائى وأبى داود ، والدارمى الذى أورده فضيلة الشيخ الخطيب وإسناده صحيح .

(٥) هذه مقالة طيبة مشهورة لم أقف عليه مسنداً مرفوعاً أو موقوفاً أو مقطوعاً من كلام التابعين ، والله أعلم .

(٦) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٣٤ - التحذير من البيوع المنهى عنها [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٢] . . بعث فينا رسولاً من أنفسنا رحمة بنا ، ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [٣] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، كما شهد لنفسه بذلك ، ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [٤] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، بلَّغ الرسالة ، وأدَّى الأمانة ونصح الأُمة وجاهد فى الله حق جهاده .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فما من إنسان إلا ويحتاج إلى شراء وبيع ولو لحاجيات نفسه من مطعوم ومشروب وملبوس ، فالإنسان لا يستطيع أن يُؤمِّن كل ما يحتاج إليه من عمل يده ، فهو يحتاج إلى بعض ما فى يد الآخرين . ومن حكمة الخالق تبارك

---

(١) ألقيت يوم ١١/٤/١٤٠٧ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) سورة التوبة : ١٢٨

(٤) سورة آل عمران : ١٨

وتعالى جعل الناس يتفاوتون فى الرغبات والأعمال ، ليحصل التعاون فى هذه الحياة لتحقق مصالح الناس ، فيوجد عند إنسان ما لا يوجد عند الآخر ، ليتخذ بعضهم بعضاً سُخْرياً (١) .

فالكل فى هذه الحياة خادم من جهة ومخدوم من جهة أُخرى ، والإسلام وهو نظام الخالق لعباده لإصلاح معاشهم ومعادهم ، ولترابط الأُمة بعضها ببعض ، جعل نظاماً لكل مرفق من مرافق الحياة لنظم الأعمال وتنسيق الجهود ، وتوفير التآخى والتعاطف ، وقطع دابر الخلاف والشقاق . هذا النظام السماوى العادل الشامل يحفظ الحقوق والكرامات بجمع الشمل ، يلاحظ صلة الإنسان بخالقه طاعة وامتثالاً وانقياداً . وصلة الإنسان بالإنسان عدلاً وتعاطفاً وتراحماً ، فكما أن الخالق يتعبد خلقه بالصلاة والصيام فهو يتعبدهم بامتثال أمره واجتناب نهيه فى المعاملات . . والربا بطرقه كلها وأبوابه حرام ، والبيع حلال مباح ، وهناك بيوع منهى عنها ، إما لأنها وسيلة للربا أو لأن فيها جهالة وغرراً ، وهذه البيوع المنهى عنها تخفى على بعض الناس للغفلة من مذاكرة العلم ومن دراسة السُّنَّة المطهَّرة ، منها : بيع الملامسة (٢) ، وبيع المنابذة (٣) ، وبيع الحصاة (٤) ،

---

(١) إشارة إلى الآية ٣٢ من سورة الزخرف .

(٢) بيع الملامسة : البخارى مع الفتح : ٤/ ٣٠٠ فى البيوع من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، ونحوه مسلم فى الصحيح برقم (١٥١١) عام ، أول كتاب البيوع .

(٣) مسلم فى الصحيح عن عطاء بن ميناء عن أبى هريرة رضى الله عنه ، حديث رقم (١٥١١) أول البيوع من حديث أبى هريرة رضى الله عنه (انظر سنن النسائى الصغرى : ٦/ ٢٦١ - ٢٦٢) .

(٤) هو حديث أبى هريرة رضى الله عنه : « نهى رسول الله ﷺ عن بيع الحصاة وعن بيع الغرر » أخرجه مسلم فى الصحيح برقم (١٥١٣) عام فى البيوع ، باب : بطلان بيع الحصاة والبيع الذى فيه الغرر .

والمخاطرة والمزابنة [١] ، والمحاقلة [٢] ، وبيع المجر ، وبيع عسب الفحل [٣] ، وبيع العينة [٤] ، وبيعتان فى بَيْعة [٥] ، وبيع الإنسان ما ليس

---

(١) بيع المخاطرة : إشارة إلى حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : « أن رسول الله ﷺ نهى عن بيع الثمار حتى يبدو صلاحها ، نهى البائع والمشترى . . » : البخارى مع الفتح : ٤/ ٣٣٠ فى البيوع ، باب : بيع الثمار قبل أن يبدو صلاحها ، وأخرجه مسلم فى الصحيح برقم (١٥٣٤) فى البيوع ، باب : النهى عن بيع الثمار قبل بدو صلاحها ، من هذا الوجه واللفظ .

وأما المزابنة والنهى عنها فهو بيع الثمر بالثمر إلا لأصحاب العرايا ، فإنه قد أذن لهم صلى الله عليه وسلم ، وعن بيع العنب بالزبيب ، وإن حديثه أخرجه الترمذى فى جامعه برقم (١٣٠٣) ، وهو من حديث سهل بن أبى حثمة رضى الله عنه ، وقال الترمذى : حسن صحيح غريب من هذا الوجه ، ثم وقفت على أن مسلماً أخرجه فى الصحيح برقم (١٥٤٠) عام وخاص (٧٠) فى البيوع .

(٢) إشارة إلى حديث جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنه : مسلم فى الصحيح ، البيوع ، باب : النهى عن المحاقلة والمزابنة برقم (٨٥) خاص وعام (١٥٣٦) ، وفيه النهى عن المحاقلة والمزابنة والمخابرة والمعاومة .

والمعاومة هى : بيع السنين ، وقد أخرج هذا الحديث مسلم برقم (١٥٤٣) فى البيوع ، باب : كراء الأرض ، وهو من حديث جابر رضى الله عنه .

(٣) إشارة إلى ما أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى : ٥/ ٣٤١ من طريق أبى عبيد - أى موسى بن عبيدة الربذى - عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه نهى عن المجر ، قال أبو زيد : المجر أن يباع البعير أو غيره بما فى بطن الناقة ، وقد ذكر البيهقى أن ابن إسحاق رواه عن نافع عن ابن عمر أيضاً .

قلت : حسن لغيره مع الشواهد الكثيرة ، والله أعلم .

وأما بيع عسب الفحل فهو حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : أخرجه البخارى فى الجامع الصحيح : ٤/ ٣٧٩ فى الإجارة ، باب : عسل الفحل ، ومسلم فى الصحيح برقم (٣٥) خاص وعام (١٥٦٥) فى المساقاة ، باب : تحريم فضل بيع الماء الذى يكون فى الفلاة .

(٤) ، (٥) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضى الله عنه : أخرجه الترمذى برقم =

عنده [١] ، فبيع الملامسة [٢] مثل أن يقول : أى ثوب أو سلعة تلمسها بيدك فهى لك بعشر ريالات . والمنابذة : أى شىء تنبذه إلىَّ فهو لى بعشرة . وبيع الحصاة : أى شىء تقع عليه هذه الحصاة إذا رميتها فهو لك بعشرة . هذه بيوع منهى عنها ولا تصح لوجود الجهالة والغَرَر . ومن شرط البيع أن يكون المبيع معلوماً قدراً وصفة ، ومثل هذا ما يسمى « شختك بختك » ، واليانصيب .

أما بيع المخاطرة فهو بيع الزرع الأخضر فى المزرعة قبل بدو صلاح الحب بشرط البقاء فهذا لا يصح ، لأن الحب قبل أن يصلح مُعرَّض للآفات ، أما لو شرط حصده فى الحال كالبرسيم يحصده علفاً فإنه يجوز .

وبيع المزابنة : هو بيع الرطب فى رؤوس النخل بخرصه تمراً ، فإن التماثل

= (١٢٣١) ، وأبو داود برقم (٣٤٦١) بلفظ : « من باع بيعتين فى بيعة » ، وأخرجه النسائى : ٧/ ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، وإسناده حسن ، وأخرجه عبد الرزاق فى المصنف برقم (١٤٦٣٢) من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، وله شاهد من حديث ابن مسعود رضى الله عنه : أخرجه أحمد برقم (٣٧٢٥) ، و(٣٧٨٣) من نسخة أحمد محمد شاكر . . .وهو بيع العينة . وله صور كثيرة ذكرها البغوى فى شرح السُّنَّة : ٨/ ١٤٣ فراجعه ، وفى بعضها إباحة وجواز .

(١) إشارة إلى حديث حكيم بن حزام قال : نهانى رسول الله ﷺ عن بيع ما ليس عندى ، أخرجه الترمذى فى جامعه برقم (١٢٣٣) من حديث حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن يوسف بن ماهك به ، وحسَّنه الترمذى ، وأخرجه النسائى فى الصغرى : ٧/ ٢٢٨ ، وأبو داود فى السنن (٣٥٠٣) من هذا الوجه واللفظ .

(٢) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله ﷺ نهى عن الملامسة والمنابذة : أخرجه البخارى فى البيوع ، باب : بيع المنابذة ، ومسلم فى الصحيح برقم (١٥١١) فى أول كتاب البيوع .

والمنابذة : أن ينبذ الرجل إلى الرجل ثوبه وينبذ إليه الآخر ثوبه على غير تأمل منهما يقول كل واحد منهما لصاحبه : هذا بهذا ، فهذا الذى نهى عنه .

وأما الملامسة : فأن يلمس كل واحد منهما ثوب صاحبه بغير تأمل ، فهذا أيضاً منهى عنه للجهالة والغرر ، كما فسَّره فضيلة الخطيب حفظه الله ورعاه .

مجهول هنا ، لأن الرطب ينقص إذا يبس فيحصل التفاضل فى جنس واحد ربوى ، والجهل بالتماثل كالعلم بالتفاضل ، وتستثنى العرايا ، فإذا كان إنسان عنده تمر وجاء الرطب وليس لديه ثمن يشترى به رطباً جاز له أن يشترى رطباً فى رأس النخلة بخرصه تمراً حويلاً على قدر حاجته فقط .

ومن البيوع المنهى عنها بيع العينة (١) : وهو أن يبيع إنسان لآخر سلعة بعشرة آلاف ريال مؤجَّلة سنة ثم يشتريها بائعها بثمانية قبل حلول الأجل وقبل استلام الثمن وقبل تغير الصفة ، وهذا مثل ما يفعله بعض أهل معارض السيارات بأن يبيع لإنسان سيارة على آخر بخمسة عشر ألف ثم يشتريها بائعها باثنى عشر ، فهذا منهى عنه لأنه وسيلة للربا ، فالواقع أنه أعطاه اثنى عشر ألف بخمسة عشر مؤجلة ، وإنما جُعِلت السيارة فى الوسط حيلة .

ومن البيوع المنهى عنها : بيعتان فى بَيْعة ، وهذا يحصل غالباً بين بائعى المصاغات بأن يأتى إنسان إلى بائع الذهب بحلى قديم ، فيقول صاحب الدكان : أشتريه كل مثقال بخمسين على أن تشترى منى حُلياً آخر كل مثقال بستين ريالاً ، فهذا منهى عنه . كان النبى ﷺ نهى عن بيع بيعتين فى بَيْعة (٢) ، ولأنه يُلْزم أحد المتبايعين بما لا يرغبه .

ومن البيوع المنهى عنها : ما يفعله بعض الناس فى المداينات إذا جاء إليه الزبون اتفق معه على سعر الكيس أو السيارة بكذا ويتم العقد والكتابة ، ثم

---

(١) إشارة إلى حديث جابر رضى الله عنه : مسلم فى الصحيح برقم (١٥٣٦) عام وخاص (٨٥) فى رُخْصة العرايا ، وحديث سهل بن أبى حثمة رضى الله عنه : أخرجه البخارى : ٤/ ٣٢٤ فى البيوع ، ومسلم فى الصحيح برقم (١٥٤٠) عام وخاص (٦٩) ، وقد عقد عليه النووى الباب قائلاً : باب تحريم بيع الرطب بالتمر إلا فى العرايا .

(٢) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضى الله عنه : الترمذى برقم (١٢٣١) ، وأبو داود (٣٤٦١) وإسناده حسن .

يذهب فيشترى له من التاجر أو يحوله عليه ليستلم المبيع ، فهذا لا يصح لأن البائع باع ما ليس عنده . والنبى ﷺ نهى أن يبيع الإنسان ما ليس عنده [١] .

فاتقوا الله أيها المسلمون . . اعرفوا البيوع المنهى عنها فاخشوها .

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ [٢] .

* *

(١) هو نفس هذا الحديث وله صور كثيرة ، أخرجه النسائى فى الصغرى : ٧/ ٢٩٥ ، وعبد الرزاق فى المصنف برقم (١٤٦٣٢) من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، وإسناده حسن .

(٢) سورة محمد : ٣٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الشروط فى البيع

(الخطبة الثانية)

الحمد لله كما أمر . . وأشكره وقد تأذَّن بالزيادة لمن شكر [١] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، إرغاماً لمن جحد به وكفر .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله سيد البَشر ، الشافع المشفع فى المحشر .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمداً وعلى آله وأصحابه السادة الغرر ، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم المُسْتَقَرّ .

أما بعد . .

فإن من الشروط فى المبيع شروط فاسدة تُفسد البيع ، وشروط فاسدة وحدها .

أما الشروط المبطلة للبيع : فكل شرط يتنافى مع مقتضى العقد ، مثل أن يشترط البائع على المشترى أن لا يبيعه ولا يهبه .

والشروط التى تبطل وحدها مع صحة العقد : كأن يشترط المشترى على البائع أنها إن نفقت السلعة وإلا ردَّها ، فالشرط فاسد والبيع صحيح ، ولو تلف المبيع أو أُصيب بنقص ، فإن كان بعد القبض فهو من ضمان المشترى ، والقبض بحسب العادة والعُرْف فى كل زمان ومكان بحسبه ، وأما إن نقصت الكمية أو زادت فإن كان مكيلاً أو موزوناً فيأخذ المشترى المقدار الذى وقع عليه العقد والباقى للبائع ، وأما إن كانت أرضاً كأن يشتريها على أنها عشرة مخازن

---

(١) إشارة إلى الآية ٧ من سورة إبراهيم .

بمائة ألف فبانت أحد عشر مخزناً ، فلكل من المتبايعين الخيار [١] ، إما أن يشتركا كلٌ بقدر حصته للمشترى ما اشترى وللبائع الزائد ، أو يأخذ المشترى الزائد بحصته ، أو يتقاسمان ، لكن إن بذل البائع الزائد للمشترى مجاناً فليس له الخيار ، وأما إن نقصت بأن اشتراها على أنها عشرة مخازن فثبتت ثمانية ، فالخيار للمشترى وحده ، إما أن يرد البيع أو يأخذ منه قيمة النقص أو يتسامح .

فاتقوا الله عباد الله ، وراقبوه مراقبة مَن يعلم أنه يسمعه ويراه .

وصلُّوا على النبى النذير . . . . . .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [٢] .

* * *

(١) إشارة إلى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما : أبو داود فى السنن برقم (٣٤٦٥) ، والترمذى برقم (١٢٤٧) ، وإسناده حسن ، وله شواهد كثيرة أخرجها البخارى ومسلم ، ومنها حديث ابن عمر رضى الله عنهما : البخارى مع الفتح : ٤/ ٢٧٤ ، ومسلم فى الصحيح برقم (٤٥) خاص وعام (١٥٣١) : البيوع .

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٣٥ - الرِّبا ضد البيع والشراء [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [٢] ، ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [٣] ولا عدوان إلا على الظالمين .

وأشهد أنْ لا إلَه الله وحده لا شريك له ، خَلَق فقَدَّر ، وشَرَّعَ فيَسَّر .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، بشَّر وأنذر ورَغَّب وحَذَّر .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد . .

فإذا كان الجو عاصفاً دخل غباره فى كل بيت ، ولو حاول أحدٌ اتقاء الإعصار لم يستطع أن يتقى الغبار .

وإنَّ العالَم قد اجتاحته عاصفة مُدمرة من الحركة الرِّبوية ، والمسلمون فى مواجهة هذا الإعصار ثلاثة أقسام : فمنهم مَن دخل فى دوَّامته ليس بخارج منها إلا أن يشاء الله ، ومنهم مَن وقف على جانبٍ تلفحه الرياح ، ومنهم مَن هرب لكن أصابه الغبار والبخار .

---

(١) ألقيت يوم ٢٤/١/١٤٠٠ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) جزء من آية الأعراف (١٢٨) .

وهذا مصداق ما أخبر عنه نبينا محمد ﷺ كما فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : « ليأتين على الناس زمانٌ لا يبقى أحد إلا أكل الربا ، فإن لم يأكله أصابه من بخاره » ، ويروى : « من غباره » (رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه) (١) .

النظام الرِّبوى نظام يهودىٌ جاهلى من رواسب الجاهلية الأولى ، وهو نظام احتكارى استبدادى لا يعرف الرحمة ولا العطف ولا الأُخوة الإنسانية ، يقطع المعروف والتضامن ، فالمرابى لا يريد إلا المال والكسب ، فإذا حَلَّ دَيْنه على معسر قال له : إما أن تقضى وإما أن تُربى ، فلا يُنْظِره إلى ميسرة ، الربا بلاء وخسارة على المجتمعات أياً كان نوعها وعقيدتها ، فليس خطر الربا مقتصراً على الدين والأخلاق والأُخوة ، بل وعلى الاقتصاد والسياسة .

فالرِّبا يحصر الأموال والأرباح والحركة الرِّبوية فى أشخاص معدودين ، تصيبهم التخمة والشره ، بينما السواد الأعظم فقراءُ مدينون ، وحينئذ يتحكم المرابون فى أولئك : فى مصالحهم ومشاعرهم الظاهرة ، وفى سياسة الأُمور .

لما رَفَعت بعض البنوك الأرباح الرِّبوية توجهت إليها رؤوس الأموال المرابية ، وأُقْفِلت مصانع كان يعمل فيها آلاف العمال ، فتعطلوا عن العمل ، وبقوا لا مورد لهم ، ولما انتشر الربا بين الناس انشلَّت الحركة التجارية ، وتعطَّل كثير من الناس كانوا يستفيدون من حركة البيع والشراء .

الرِّبا وجه كالح ممقوت ، حرَّمه الإسلام وبالغَ فى تحريمه ، وتوعَّد المرابين وأغلظ فى الوعيد .

---

(١) أخرجه أحمد فى المسند : ٢/ ٤٩٤ من حديث أبى هريرة رضى الله عنه وإسناده صحيح ، وأخرجه أبو داود برقم (٣٣٣١) فى البيوع ، وابن ماجه برقم (٢٢٧٨) التجارات ، والنسائى فى السنن الصغرى : ٢٤٣/٧ ، وأخرج البخارى فى الصحيح : ٢٥٣/٤ فى البيوع من حديث أبى هريرة مرفوعاً : « يأتى على الناس زمان لا يبالى المرء ما أخذه منه أمن الحلال أم من الحرام » .

فما ذُكِرَ فى القرآن أنَّ صاحب معصية محاربٌ لله ورسوله إلا الرِّبا ، فالمرابى عدو لله ورسوله ، محارب لله ورسوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ (١) ومَن حاربه الله هُزِم ، إننا نشاهد آثار الهزيمة على المحاربين لله ، فما تلك المصائب والكوارث وتسلط الشيوعية ، وأعوان الشيوعية ، إلا مصائبُ يُرسلها الله على مَن عصاه وخالف أمره ولم يبال بمحارمه وحدوده : ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (٢) ، ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ (٣) .

المرابى ملعون على لسان نبينا محمد ﷺ ، وما لُعن الكاتب والشاهد إلا فى الربا : « عن جابر رضى الله عنه قال : لعن رسول الله ﷺ آكل الرِّبا وموكله وكاتبه وشاهديه ، وقال : هم سواء » (رواه الإمام مسلم فى صحيحه) (٤) .

آكل الرِّبا لا يقوم يوم القيامة ﴿ إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ﴾ (٥) ، ولم يكن ذلك فى معصية غير الربا ، وهذا دليل قبحه وسوء عاقبته . الربا حرام وأى بدنٍ غذى بالحرام فالنار أولى به (٦) .

---

(١) سورة البقرة : ٢٧٨ - ٢٧٩

(٢) سورة آل عمران : ١١٧ ، وسورة النحل : ٣٣

(٣) سورة الكهف : ٤٩

(٤) أخرجه مسلم فى الصحيح : المساقاة ، حديث رقم (١٥٩٨) ، باب : لعن آكل الربا وموكله ، ومن حديث ابن مسعود رضى الله عنه أيضاً برقم (١٥٩٧) ، وأخرج الحاكم فى المستدرك : ٢/٣٧ من حديث أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعاً ولفظه : « الربا ثلاثة وسبعون باباً أيسرها مثل أن ينكح الرجل أُمه » ، وصحَّحه ووافقه الذهبى على تصحيحه فى التلخيص .

(٥) سورة البقرة : ٢٧٥

(٦) الحاكم فى المستدرك : ٤/١٢٧ من حديث أبى بكر الصِّدِّيق رضى الله عنه .

الرِّبا وإن تكاثر فلا قيمة له عند الله ومآله إلى قِلَّة لأنه ممحوق حساً ومعنى ، يُحْرَم صاحبُه من لذَّة المال ولذَّة الحياة .

الإسلام لا يُحَرِّم شيئاً تحتاج إليه الأُمَّة ، ولا يُحَرِّم شيئاً إلا وقد عوَّض عنه خيراً منه : ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ (١) ، الإسلام نظام حيوىٌ عادل ينظم الحياة والمجتمع والاقتصاد بما يحفظ المصالح ويدرأ المفاسد ، ويوفر العِزَّة والكرامة لكل فرد على أساس العدل ، والمِلْكية المطلقة لله وحده ، فهو مالك كل شيء وخالق كل شيء ، وما فى أيدى الناس ملكه عاريةٌ عندهم .

الإسلام يفتح أبواب العمل والتعاون والحرية الكاملة للإنسان ، ويغلق أبواب الفساد والاستبداد والاستعباد .

الإسلام لا يقف أمام الحركة الاقتصادية ، ولا أمام العمل والإنتاج ، بل يحث على ذلك ويُرَغِّب فيه ، وقد وضع لها نظاماً يحقق الخير ويدفع الفساد ، ويضمن العدل .

وليس الرِّبا خاصاً بالبنوك ، بل يشمل غيرها .

عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : « الذهبُ بالذهبِ ، والفضةُ بالفضةِ ، والبُرُ بالبُرِ ، والشَّعيرُ بالشَّعيرِ ، والتمرُ بالتمرِ ، والمِلحُ بالمِلحِ مثلاً بمثل يداً بيد ، فمَن زاد أو استزاد فقد رابى ، الآخذ والمعطى سواء » . وفى حديث آخر : « فإذا اختلفت هذه الأجناس فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد » (رواه مسلم) (٢) .

---

(١) سورة البقرة : ٢٧٥

(٢) إشارة إلى حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه : مسلم فى الصحيح ، المساقاة ، حديث رقم (١٥٨٧) ، وأبو داود برقم (٣٣٤٩) فى البيوع ، والترمذى فى جامعه (١٢٤٠) .

وجاء بلال إلى النبى ﷺ بتمر برنى ، فقال : « من أين لك هذا » ؟ قال : كان عندنا تمر ردىء ، فبعتُ منه صاعين بصاع ، فقال : « أوه ، عينُ الربا عينُ الربا ، لا تفعل ، ولكن إذا أردت أن تشترى فبع التمر ببيع آخر ثم اشتر به » (متفق عليه) (١) .

ففى وجوب التساوى بين الجنس الواحد فى البيع دون اعتبار الجودة والصَّنعة ، منع احتكار الأغنياء بالأموال ، فلا يشترى التاجر رديئاً بمقداره جيداً ، وحينئذ يُباع الردىء بثمن ، ويُشترى الجيد بثمن ، وفى هذا إتاحة الفُرْصة لأكثر من واحد ليشترى أو يبيع ، فمن الناس مَن لا يجد إلا ثمن الردىء ، فلو احتكره التاجر لحُرِم منه المحتاج .

اتقوا الله أيها المسلمون .

الأحكام الشريعة لا تُعلَّل ، ولا يتوقف اتباعها على معرفة العِلَّة أو الحكمة ، بل يجب الرضا والتسليم لأمر الله وحُكمه ، وما يُذكر من الفوائد والمصالح الظاهرة إنما هو محاولةً لإقناع المعاند ودفع الشك عن المرتاب .

فاتقوا الله يا أُمَّة الإسلام . . لا تجعلوا معاملاتكم كمعاملات اليهود والنصارى ، ولا يحملنكم حب المال على معصية الله ورسوله ، ولا على محاربة الله ورسوله .

﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن

---

(١) إشارة إلى حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه : البخارى برقم (٢٣١٢) الوكالة ، باب (١١) ، باب : إذا باع الوكيل شيئاً فاسداً فبيعه مردود ، ومسلم نحوه : المساقاة من هذا الوجه واللفظ ، حديث رقم (٩٦) .

﴿ جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (١) .

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، وتُبْ علينا إنك أنت التوَّاب الرحيم ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

(١) سورة البقرة : ٢٧٥

بسم الله الرحمن الرحيم

يُباع الذهب بالذهب مثلاً بمثل يداً بيد

(الخطبة الثانية)

الحمد لله مُعزُّ مَن أطاعه ، ومُذِلُّ مَن عصاه .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسَلَّم تسليماً كثيراً .

أما بعد . .

فإن بيع الذهب بالذهب يُشترط فى صحته شرطان : التماثل فى الوزن قيراط بقيراط ، ولا عِبْرة بالصنعة ولا الجودة ، والثانى : التقابض قبل التفرق (١) .

وعلى هذا . . فإن ما يفعله بعض الناس ، وخاصةً بائعى المجوهرات والصاغة ، إذا جاءه إنسان بحُلى قديم من الذهب للبيع . قال : أشتريه على أن تشترى منى مصاغاً جديداً ، فيُقدِّر للقديم ثمناً وللجديد ثمناً ، ثم يدفع التاجر الجديد لذلك الإنسان ويأخذ منه القديم مع فرق الثمن ، هذا غير جائز لأن حقيقته هى أن التاجر باع مصاغاً جديداً من الذهب بمصاغ قديم من الذهب وبزيادة ريالات ، وهذا عَيْنُ الربا المحرَّم ، والذى ينبغى فى هذه الحالة أن يشترى القديم بثمن يسلمه للبائع ، ويترك له الحرية ، إن شاء اشترى منه جديداً ، وإن شاء اشترى من غيره .

---

(١) إشارة إلى حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه : مسلم فى الصحيح ، المساقاة ، حديث رقم (١٥٨٧) ، وفيه هذا اللفظ : « يداً بيد . . . . » .

وهناك مسألة غَفَل عنها بعض الناس ، يشترى إنسان مصاغاً من الذهب بريالات من التاجر ، ويكون معه بعض الثمن يسلمه ويؤخر تسليم الباقى إلى غد أو إلى آخر النهار ، هذا البيع لم ينعقد ولا ينفذ ، لأن من شرط صحة بيع الذهب بالريالات الحلول والتقابض قبل التفرق ، فإذا تفرَّق البَيِّعان قبل قبض الثمن ، أو بعضه ، أو قبل قبض الذهب لم يصح البيع .

وأما مسألة التورق ، أى السَلَم المعروف بالمداينات ، فهو مستثنى من قاعدة « التقابض » مراعاة لمصالح الناس وتيسيراً لهم ، ولكن بشروط منها : أن يكون أحد العوضين نقداً ، وأن يكون الثمن مقبوضاً فى المجلس قبل التفرق ، ولها صورتان :

الأولى : أن يكون الثمن عَرضاً من عروض التجارة يُسلَّم حال العقد ، والعوض نقداً مؤجلاً إلى وقت معلوم مع وصف الثمن : نوعه وجنسه وما يتميز به .

مَثَل هذه الصورة : أن يبيع إنسان على آخر سيارة أو أرضاً أو طعاماً أو قماشاً بمبلغ عشرة آلاف ريال مؤجَّلة إلى سنة من تاريخ العقد ، هذا جائز بشرط قبض السيارة أو الأرض فى المجلس قبل التفرق .

الصورة الثانية : أن يشترى الدائن من المدين عَرَضاً موصوفاً فى الذمَّة ، كالمكيل أو الموزون أو ما ينضبط بالصفة ، بعشرة آلاف ريال مثلاً مسلَّمة للمدين فى المجلس .

مَثَل هذه الصورة أن يدفع التاجر عشرة آلاف ريال إلى المدين بعشرة آلاف كيلو من التمر أو السكر ، أو آصع من البُرِ أو الأرز ، أو بسيارة موصوفة حجماً ولوناً وقوة وقياساً ونوعاً وجنساً ، فهذه الصورة جائزة بشرطين : الأول : قبض الثمن حال العقد ، والثانى : وصف العَرَض وصفاً شاملاً يتميز به من غيره ويقطع مادة الخلاف فى المستقبل .

هذه البيوع خير من بيوع الرِّبا ، لأن المدين قد يكسب فى صفقته ، فيستفيد ، أما الرِّبا فربحه مضمون للتاجر وحده .

فاتقوا الله أيها المسلمون . . تعرَّفوا على البيوع الجائزة ، واجتنبوا البيوع الباطلة ، فالخير فيما وافق شرع الله .

وصَلُّوا على البشير النذير . . . . . .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

* * *

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٣٦ - مقارنة بين الصَدَقة والرِّبا [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [٢] ، له الحكم والأمر ، وهو الحكيم الخبير .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، طيِّبٌ لا يقبل إلا طَيِّباً ، توَّابٌ يُحب التوَّابين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، إمام المتقين وقائد الغر المحجَّلين .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فإن سُنَّة الله تعالى فى القرآن العظيم مطردةٌ ، يقارن بين المتضادات ويُبيِّن نتائجها وعواقبها للترغيب والترهيب ، رحمة بخلقه لعلهم يختارون سبيل النجاة ، ولعلهم يسلكون طريق السعادة ، فإذا تأملنا كلام الله نجده إذا ذكر الإيمان والمؤمنين ذكر الكُفر والكافرين ، وإذا ذكر الجنَّة ونعيمها ذكر النار وجحيمها ، وإذا ذكر الحلال وفوائده ذكر الحرام ومضاره ، وإذا ذكر الآخرة ودوامها ذكر الدنيا وزوالها ، وإذا ذكر الطائعين وثوابهم ذكر العاصين وعقابهم .

---

(١) ألقيت يوم ١٨/ ٤/ ١٤٠٧ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

ومن هذا القبيل نجد مقارنة بين الصَدَقات والرِّبا فى أكثر من آية فى القرآن .

قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (١) .

ثم قال سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (٢) .

وقال : ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ (٣) .

وفى سورة الروم : ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾ (٤) .

قال فى التفسير الكبير : اعلم أن بين الرِّبا والصَدَقة مناسبةً من جهة التضاد ، وذلك لأن الصَدَقة عبارة عن تنقيص المال بسبب أمر الله بذلك ، والرِّبا عبارةٌ عن طلب الزيادة على المال مع نهى الله عنه ، فكانا متضادَّين ، ولهذا قال : ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ .

وقال ابن كثير فى تفسيره : لما ذكر الله الأبرار المؤدِّين النفقات المُخرِجين الزكوات المُتفضِّلين بالبِّر والصَدَقات لذَوى الحاجات والقُربات فى جميع الأحوال والأوقات : شرع فى ذكر أكلة الرِّبا وأموال الناس بالباطل وأنواع

---

(١) سورة البقرة : ٢٧٤

(٢) سورة البقرة : ٢٧٥

(٣) سورة البقرة : ٢٧٦

(٤) سورة الروم : ٣٩

الشُبهات ، ففرقٌ شاسعٌ بين مَن أطاع الله ورسوله وأحسن إلى الناس ، وبين مَن عصا الله ورسوله وأخذ أموال الناس فى غير مقابل ، وفرق شاسع بين صَدَقة يتقبَّلها الرحمن ويربيها وينميها ، وتُطَهِّر النفس وتُزَكيها ، وتزيد الأموال وتضع فيها البركة ، وبين الرِّبا الذى حرَّمه الله ورسوله ، وأخبر بأنه يعود إلى قل وإن كثر لأن الله يمحقه حِسّاً ومعنى .

والشُبهة التى ألقاها أكلة الرِّبا فى عهد النبى ﷺ بقولهم : ﴿ إنما البيع مثل الربا ﴾ يعترضون على حكم الله كيف يُحِل البيعَ ويُحَرِّم الرِّبا ، مردودة بأن الله تعالى حكيم عليم رؤوف رحيم ، هو العالِم بحقائق الأُمور ومصالحها وما ينفع عباده فيُبيحه وما يضرهم فيُحرِّمه ، وهو أرحم بهم فى الوالدة بولدها ، فيجب أن يعلم الإنسان أنه ملك لله وتحت إرادة الله وأمره ، يجب عليه اتباعُ شرعه واجتناب نهيه ، ويجب السمع والطاعة لنصوص الشريعة سواء عُلمت الحكمة أم خفيت ، يجب القبول والرضا سواء أدركنا المصالح أم لم ندركها .

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ (٢) .

وهذا لا يتنافى مع التدبر والتأمل والتعرف على ما يظهر من أسرار الشريعة وفوائدها . قال بعض العلماء : سبب تحريم الرِّبا أمورٌ منها : أن الرِّبا يقتضى أخْذُ مال الإنسان من غير عوض ، إذ الزيادة التى يأخذ المرابى من المدين ليس لها مقابل .

---

(١) سورة النساء : ٦٥

(٢) سورة الأنبياء : ٢٣

فإن قيل : إنما الزيادة فى مقابل بقاء المال عند المدين ولو كان المال عند الدائن لاستفاد من ربحه ، قيل : هذا تعليل غير صحيح لأن المال الذى عند الدائن لو استعمله لكانت فائدته مظنونة ، إذ التجارة لا يُعلم هل تربح أم لا ، فأخذ الزيادة المتيقنة فى مقابل الربح المظنون غير وارد .

ومن فوائد تحريم الرِّبا : الرِّبا يمنع الناس من الاشتغال بالمكاسب والحركة التجارية ، لأن صاحب الدرهم إذا عرف أنه يكسب بالرِّبا كسباً محققاً خَفَّ عليه الاكتساب ، فلا يتحمل مشقة التجارة والصناعات ، وذلك يفضى إلى انقطاع منافع الخلق ، ومن المعلوم أن مصالح العالَم لا تنتظم إلا بالتجارة والحِرَف والصناعات .

ومنها : أن الرِّبا يُفضى إلى انقطاع المواساة والمعروف والإحسان بين الناس.

ومنها : أن منفعة الرِّبا منحصرة فى التاجر وحده ، والتجار قليلون بالنسبة للعامة ، وذلك يؤدى تحكم المرابين فى الاقتصاد والتحكم فى مصالح الناس واستعبادِ المحتاجين وإخضاعِهم إلى التمشى على هواهم ، كما هو المشاهَد فى المجتمعات التى يقوم اقتصادها على الرِّبا ، يتحكمون فى الصناعات والزراعات وحتى فى السياسة ، فكم من مصنع أثقله الرِّبا بالديون فقُفِل ، وكم من مقاول أثخنه الرِّبا بالديون فأفلس ، وكم من بيت ملكه الرِّبا وأخرج منه أهله ، وإذا نظرنا إلى الشعوب التى تَحكَّم فيها الرِّبا نجدهم فى قلق واضطراب ، وفى أنواع من الأمراض النفسية والعصبية والحيرة والسآمة مما هم فيه ، والسبب هو الرِّبا الذى ينمى الأموال نماءً غير مُعتدل ، نماءً احتكارياً خاصاً بطائفة من الناس ، إنها أضرار تعود على الرِّبا والمرابى ، وأضرار تعود على المدين ، وأضرار تعود على المجتمع كله .

وما هو المَخْرَجُ من هذه المصيبة العامة ، المَخْرَج قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ (١) .

إنَّ الأُمَّة الإسلامية عاشت قروناً ومعاملاتُها طاهرةٌ مُطهَّرةٌ من الرِّبا ، وكانت اقتصادياتها فى تقدم ، وكانت أموالها مباركة ، وكانت حركاتها مُوَفَّقة ، ودعواتها مُسْتجابة ، واقتصادياتها مُثْمِرة ، وارتباطها بربها وثيق . كانت متحدةً متعاونة ، فلما انغمست فى ردغة الرِّبا وصار مأكلها حرام ومشربها حرام وغَذَّت أولادها بالحرام تفرَّق جمعها وتشتَّت أمرها واختلفت كلمتها وانهارت قُوامها وأُبْعِدت عن ربها ورُدت دعوتها ، فصارت ذليلة مغلوبة على أمرها ، ولا ملجأ إلا إلى الله ، ولا نجاة إلا بالاعتصام بكتاب الله والتمسك بحبل الله ، وترك الرِّبا والتعامل بالبيع الذى أحلَّه الله ، وما أحَلَّ اللهُ كفيلٌ بأن يحفظ مصالح الأُمَّة وأن ينمى اقتصادياتها .

الرِّبا معصية لله ورسوله ، والمرابى ملعون على لسان محمد ﷺ .

روى مسلم فى صحيحه عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : « لعن رسول الله ﷺ آكل الربا - أى المتعامل به - وموكله ، وكاتبه ، وشاهديه » وقال : « هم سواء » (٢) أى فى الإثم .

فاتقوا الله أيها المؤمنون . . اتقوا الله أيها الناس . . لا تُفسدوا على الناس

---

(١) سورة البقرة : ٢٧٨ - ٢٧٩

(٢) البخارى : اللباس (٨٦) ، و(٩٦) ، ومسلم : المساقاة (١٠٦) ، وأبو داود : البيوع (٤) ، وأحمد : ١/ ٨٢ ، والترمذى : البيوع (٢) ، والنسائى : الزينة (٢٥) ، وابن ماجه : التجارات (٥٨) .

معائشهم وأموالهم ، ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١) .

اللَّهُمَّ بارِك لنا فى القرآن العظيم . . . . . إلى آخر الدعاء .

* *

(١) سورة البقرة : ٢٨١

بسم الله الرحمن الرحيم

الرفق بالمسلم

(الخطبة الثانية)

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد . .

فاتقوا الله أيها المؤمنون . . ففى هذه الأيام التى اضطرب فيها الاقتصاد واختفت الأموال ، وركدت فيها الحركة التجارية وصار الناس كما يقال : غاصب ومغصوب ، يجدر بالمسلم أن يرفق بأخيه المسلم وأن يُقَدِّر ظروفه ، فعلى الدائن أن يُنظر المدين حتى يتيسر له الوفاء ، ويجدر بأهل الأموال أن يعطفوا على إخوانهم فيواسونهم مما آتاهم الله ، كما أنه يتعين على المدين القادر أن يُبرأ ذمته من حقوق الناس ، فهو لا يدرى متى أجله فيذهب ومعه عناء الديون وحسابها وعقابها ، ويترك الأموال لورثته ، نفس المؤمن مُعَلَّقة بيد الله ، وإنظار المعسر والرفق بالعاجز عن الوفاء من شِيَم الكرام ومن صفات المؤمنين ، وقد أمر به رب العالمين .

بل الأفضل والأكمل أن يتواضع الغنى عن بعض دَيْنه للمعسر . قال تعالى :

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

ولا يجوز للدائن أن يشتكى المدين ويحبسه وهو يعلم أنه لا وفاء له .

أما الذين يتواطئون على مداينات صورية ويدخل المدين السجن حتى تُسَدِّد عنه الدولة ، أو لجنة الوفاء عن المعسرين ، فهؤلاء محتالون خاسرون ، هم عُبَّاد الدرهم والدينار ، فإذا تحقق أمرهم فيجب تأديبهم وعدم الرأفة بهم ، وأما الذين يأخذون أموال الناس ويرحلونها إلى أماكن أُخرى ويدَّعُون الإعسار ، فهؤلاء يجب الحذر منهم وعدم تمكينهم وأمثالهم من الأموال ، والمؤمن لا يُلْدَغ من جُحْرٍ مرتين ، المؤمن كَيِّسٌ فَطِن ، لا ينبغى أن يلعب به المحتالون الماكرون ، فاتقوا الله أيها المؤمنون . . .

وصَلُّوا على البشير النذير . . . . . .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٢) .

* * *

(١) سورة البقرة : ٢٨٠

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٣٧ - عقوبة آكل الرِّبا (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ الحمد لله رب العالمين ۝١ الرحمن الرحيم ۝٢ مالك يوم الدين ۝٣ ﴾ (٢) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، الملك الحق المبين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين .

صَلَّى الله عليه وعلى آله وصحابته ومَن تبعهم بإحسان وسَلَّم تسليماً كثيراً .

أما بعد . .

فقد روى الإمام البخارى رحمه الله فى صحيحه حديثاً عن سمرة بن جندب رضى الله تعالى عنه قال : كان رسول الله ﷺ مما يُكثر أن يقول لأصحابه : « هل رأى أحد منكم من رؤيا » ؟ قال : فيقص عليه مَن شاء الله أن يقص ، وإنه قال ذات غداة : « إنه أتانى الليلة آتيان ، وأنهما قالا لى : انطلق ، وإنى انطلقتُ معهما ، وإنَّا أتينا على رجل مضطجع وإذا آخر قائم عليه بصخرة ، وإذا هو يهوى بالصخرة لرأسه ، فيثلغ رأسه ، فيتدهده الحجر ههنا ، فيتبع الحجر فيأخُذُه ، فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان ، ثم يعودُ عليه فيفعل به مثل ما فعل المرة الأولى ، قال : قلت لهما : سبحان الله ! ما هذان ؟ قالا لى : انطلق انطلق . فانطلقنا فأتينا على رجل مستلق على

---

(١) ألقيت يوم ١٩/٧/١٣٩٣ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢ - ٤

قفاه ، وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد ، وإذا هو يأتى أحد شِقى وجهه فيشرشر شِدقه إلى قفاه ، ومنخره إلى قفاه ، وعينه إلى قفاه ، ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول ، فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان ، ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل بالمرة الأولى ، قال : قلت : سبحان الله ! ما هذان ؟ قالا لى : انطلق انطلق ، فانطلقنا فأتينا على مثل التنور - فأحسبه قال : فإذا فيه لغط وأصوات - فاطلعنا فيه ، فإذا فيه رجال.ونساء عُراة ، وإذا لهب يأتيهم من أسفل منهم ، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضؤا قال : قلت : ما هؤلاء ؟ قالا لى : انطلق انطلق . فانطلقنا فأتينا على نهر - حسبت أنه كان يقول : أحمر مثل الدم - وإذا فى النهر رجل سابح يسبح ، وعلى شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة ، وإذا ذلك السابح يسبح ما يسبح ثم يأتى ذلك الذى قد جمع عنده الحجارة فيغفر له فاه فيُلقمه حجراً ، فينطلق فيسبح ، ثم يرجع إليه ، كلما رجع إليه فغر له فاه فألقمه حجراً ، قلت لهما : ما هذان ؟ قالا لى : انطلق انطلق . فانطلقنا فأتينا على رجل كريه المرآة - أو كأكره ما أنت راء رجلاً مرأى - وإذا هو عنده نار يحشها ويسعى حولها ، قلت لهما : ما هذا ؟ قالا لى : انطلق انطلق . فانطلقنا فأتينا على روضة معتمة فيها من كل نَوْرِ الربيع ، وإذا بين ظهرى الرَوْضة رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طولاً فى السماء ، وإذا حول الرجل من أكثر ولدان ما رأيتهم قَطُ . قلت : ما هذا وما هؤلاء ؟ قالا لى : انطلق انطلق . فانطلقنا فأتينا على دَوْحة عظيمة لم أر دَوْحة قَطُ أعظم منها ولا أحسن ، قالا لى : إرق فيها ، فارتقينا فيها إلى مدينة مبنية بلَبِنٍ ذهب ولَبِنٍ فِضة ، فأتينا باب المدينة فاستفتحنا ففُتِح لنا فدخلناها فتلقانا رجال شطر من خلقتهم كأحسن ما أنت راء ، وشطر منهم كأقبح ما أنت راء ، قالا لهم : اذهبوا فقعوا فى ذلك النهر ، وإذا هو نهر معترض يجرى كأن ماءه المخِض فى البياض ، فذهبوا فوقعوا فيه ، ثم رجعوا

إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا فى أحسن صورة ، قال : فقالا لى : هذه جنَّة عَدْن ، وهذا منزلك ، فسما بصرى صُعُداً ، فإذا قصر مثل الرَّبابة البيضاء ، قالا لى : هذا منزلك ، قلت لهما : بارك الله فيكما فذرانى أدخله ، قالا لى : أمَّا الآن فلا ، وأنت داخله .

قلت لهما : فإنى رأيتُ منذ الليلة عجباً ، فما هذا الذى رأيت ؟ قالا لى : أما إنَّا سنخبرك ؛ أما الرجل الأول الذى أتيت عليه يُثلغ رأسه بالحجر : فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة ، وأما الرجل الذى أتيتَ عليه يُشرشر شِدقه إلى قفاه ، ومنخره إلى قفاه ، وعينيه إلى قفاه : فإنه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق ، وأما الرجال والنساء العراة الذين هم فى مثل التنور : فإنهم الزناة والزوانى ، وأما الرجل الذى أتيت عليه يسبح فى النهر ويُلْقَم الحجارة : **فإنه آكل الربا** ، وأما الرجل الكريه المرآة الذى عند النار يحشها ويسعى حولها : فإنه مالكٌ خازن النار ، وأما الرجل الطويل الذى فى الرَوْضة : فإنه إبراهيم ، وأما الولدان الذين حوله : فكل مولود مات على الفِطْرة ، وأما القوم الذين كانوا شطرٌ منهم حسن وشطرٌ منهم قبيح : فإنهم قوم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً تجاوز الله عنهم »[1] .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على الصادق الأمين الذى لا ينطق عن الهوى[2] ، لقد أخبر صلى الله عليه وسلم بأنه رأى دار عامة المؤمنين ودار الشهداء المخلصين ليُرغِّب أُمَّته فى سلوك الطريق الموصل إلى جنَّات النعيم ، وأخبر بما رآه من عذاب أهل هذه الكبائر الأربع ، يُحَذِّر أُمَّته من الوقوع فيها لأن هذه الكبائر هى المعاول الهدَّامة لكيان الأُمَّة الإسلامية ، وسببُ الفساد فيها وخرابها .

ذلك أن الرِّبا فيه فساد المعاملات والأموال التى فيها معاش الأُمَّة وقِوَام

---

(١) البخارى مع الفتح : ١٢/ ٤٣٨

(٢) إشارة إلى الآية ٣ من سورة النجم .

حياتها ، وفيه تضييع لكثير من الحقوق ، وسدُ أبواب الكسب عن الطبقة غير الغنية ، بخلاف البيع والشراء الذى أحَلَّه الله فإنه يستفيد منه المتسبب والعامل ، وقد يزيد السلعة ثمناً فيربح المشترى .

وأما الزِّنا ففيه فسادُ الأخلاق واختلاطُ الأنساب وهتكُ المحارم وخدشُ الكرامات .

والكذب من أخطر عوامل الهدم لبناء الأُخوة الإسلامية ، وفيه تشتيت شملها وإيجادُ الإحن والضغائن فيها ، وحَمَلة القرآن هم أُمناء هذه الأُمَّة على كتابها ، ومطلوب منهم أن يتخلَّقوا بخُلُق القرآن ، وأن يكونوا قُدوة يُقتدَى بهم فى الأقوال والأفعال ، فإذا لم يفعلوا ذلك فى أنفسهم ، اقتدت بهم الأُمَّة فضلَّت كما ضلَّت بنو إسرائيل ، فلعنهم الله على لسان داود وعيسى ابن مريم .

كما يُبيِّن - صلى الله عليه وسلم - فى هذا الحديث حكمة الله تعالى وعدله فى عباده ، وأن الجزاء من جنس العمل ، فعوقبت هذه الأعضاء التى باشرت معصية الله ، وتلذَّذت وتنعَّمت بما حَرَّم الله بالعذاب المجانس لمعصيتها عذاباً برزخياً مستمراً حتى تقوم الساعة .

فاتقوا الله عباد الله ، وراقبوه فى السر والعلانية ، فإنه أقرب إلى أحدكم من حبل الوريد : ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١)

اللَّهُمَّ إنَّا نسألك خشيتك فى الغيب والشهادة ، ونعوذُ بك من شرور أنفسنا وسيئآت أعمالنا ، ونسألك نعيماً لا ينفد ، وقُرَّة عَيْن لا تنقطع .

اللَّهُمَّ انفعنا بهدى كتابك ، واجعلنا ممن يستمع القول فيتبع أحسنه .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

* *

(١) سورة النور : ٣١

بسم الله الرحمن الرحيم

الربا حرام

(الخطبة الثانية)

الحمد لله . . ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعهم بإحسان .

أما بعد . .

فيا أيها المسلمون ؛ إن الرِّبا من أعظم الكبائر التى حرَّمها الله ورسوله ﷺ ، فاتقوا الله ﴿ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ (٢) ، ولا تغتروا أيها المؤمنون بكثرة المتاجر التى تتعامل بالرِّبا وكثرة الأموال فيها ، فإنما هى رجوع إلى معاملات الجاهلية الأولى ومآلها إلى قلَّة ، وما هى إلا من سُنَن اليهود الذين ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ ﴾ (٣) ، وما هى إلا محاربة لله ورسوله ، ويا ندامة مَن حارب الله ورسوله ، وليست العِبْرة بكثرة العاصين وقِلَّة المطيعين ، وإنما العِبْرة بمقاييس سيد الأوَّلين والآخرين .

عباد الله ؛ إنَّ الله تعالى أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه فقال عَزَّ قائلاً عليماً :

---

(١) سورة غافر : ٣

(٢) سورة البقرة : ٢٧٨

(٣) سورة البقرة : ٢٧٥

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر الشافع المشفع في المحشر .

اللَّهُمَّ ارض عن الأربعة الخلفاء ، أئمة الهُدَى ومصابيح الدُّجَى : أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلىّ ، وعن بقية أصحاب نبيك أجمعين ، وأهل بيته الطيبين الطاهرين ، وعن التابعين ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللَّهُمَّ ارض عنا معهم بمنَّك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلام والمسلمين ، وأذلَّ الشِّرك والمشركين ، ودَمِّر أعداء الدين ، واحْم حَوْزة الإسلام يا رب العالَمين .

اللَّهُمَّ اغفر للمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات .

اللَّهُمَّ أدم علينا نعمة الأمن والإيمان والرخاء والاستقرار ، وارزقنا شكر نعمك ، وزدنا من فضلك ، وعُمَّ بالخير والأمن جميع بلاد المسلمين .

اللَّهُمَّ احفظ إمامنا وأدم توفيقه لما يُصلح العباد والبلاد ، واجعل ولايتنا وولاية المسلمين فى يد مَن آمن بك واتبع رضاك يا حى يا قيوم .

اللَّهُمَّ فَرِّج هَم المهمومين ، ونَفِّس كرب المكروبين ، واقْضِ الدَّيْن عن المدينين ، واشْفِ مرضَى المسلمين .

عباد الله ؛ أكثروا من ذكْر الله ، فَبه تطمئن القلوب وترتاح النفوس ، ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (٢) .

* * *

---

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

(٢) سورة العنكبوت : ٤٥

الباب الثالث

الأطعمـــــة

ويشتمل على تسع خطب

بسم الله الرحمن الرحيم

٣٨ - تفاوت الأرزاق

دليل على تفاوت منازل الآخرة [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه [٢] كما يحب ربنا ويرضى [٣] ، ونشكره على نعمه التى لا تُحصى [٤] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، الحكيمُ فى خلقه وقَدَره وشرعه ، الخبيرُ بعباده .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله البشيرُ النذير والسراجُ المنير .

صَلَّى الله عليه وسَلَّم وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فإن الله تعالى قسَّم الأرزاق بين خلقه ، وفاوتَ بينهم فى الرزق [٥] كما

---

(١) ألقيت يوم ١٣/ ١٠/ ١٣٩٨ هـ .

(٢) إشارة إلى حديث رفاعة بن رافع الزرقى : البخارى مع الفتح : ٢/ ٢٨٤ برقم (٧٩٩) : الأذان .

(٣) انظر هذا الدعاء : الدارمى فى سننه ، الصيام ، باب (٣) ، حديث رقم (١٦٩٤) ، وأخرجه أبو داود والنسائى والترمذى من هذا الوجه واللَّفظ ، وإسناده جيد .

(٤) إشارة إلى الآية ٣٤ من سورة إبراهيم .

(٥) إشارة إلى الآية ٣٢ من سورة الزخرف .

فاوت بينهم فى الخَلْق والخُلُق ، فمنهم غنى وفقير ، وطويل وقصير ، ودميم ونضير ، وعلِّى وحقير ، وكريم ولئيم ، وحليم وسفيه ، وهو سبحانه هو العليم الحكيم فهو أعلَم بما يُصلح خلقه ، فمن الناس مَن لا يُصلحه إلا الفقرُ ولو اغتنى لفسد ، ومنهم مَن لا يُصلحه إلا الغنى ، ولو افتقر لفسد : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ (١) ، وليس الغِنَى علامة للسعادة والرضا ، وليس الفقر علامة للشقاوة والسخط ، وإنما علامة السعادة الاستقامةُ على طاعة الله والثباتُ على صراط الله المستقيم ، فالمال يُعْطَى للبَرِّ والفاجر : ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٢) .

وأما الدين والتوفيق والهداية فلا يُعطاه إلا مَن يحبه الله (٣) : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (٤) ، ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ ﴾ (٥) ، مَن يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين (٦) ، وإنما الغِنَى والفقرُ ابتلاءٌ واختبار لمعرفة الشاكرين ومعرفة الصابرين .

---

(١) سورة الإسراء : ٣٠ ، وبمعناه فى الآية ٢٦ من سورة الرعد ، ٨٢ من القصص ، ٦٢ من العنكبوت ، ٣٧ من الروم ، ٣٦ من سبأ ، ٥٢ من الزمر ، ١٢ من الشورى .

(٢) سورة الزخرف : ٣٣ - ٣٥

(٣) إشارة إلى حديث ابن مسعود رضى الله عنه ، أخرجه أحمد فى المسند : ١/ ٣٨٧ - ٣٨٨ ، وأخرجه الحاكم فى المستدرك : ٤/ ١٦٥ من هذا الوجه واللفظ وإسناده صحيح .

(٤) سورة آل عمران : ٣١

(٥) سورة القصص : ٥٦

(٦) إشارة إلى حديث معاوية رضى الله عنه : البخارى مع الفتح : ١/ ١٥٠ - ١٥١ فى العلم ، ومسلم فى الزكاة ، حديث رقم (١٠٣٧) ، ومن حديث ابن عباس رضى الله عنهما بهذا اللفظ : الترمذى برقم (٢٦٤٧) : العلم .

﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ ﴾ (١) .

وفى تفاوت الأرزاق إشارة إلى تفاوت منازل الآخرة ونعيمها .

﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ (٢) .

وفيه أيضاً مصالح للناس ليحصل التعاون على شؤون الحياة : ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (٣) .

فيجب على الإنسان أن يرعى نعمة الله إذا أنعم عليه ، وأن يؤدِّى حقها ، وأن يرضى بقَسم الله له إذا قَدر عليه رزقه ، وأن يعمل الأسباب المباحة لطلب الرزق ، ولا يُكَلِّف نفسه بما لا يطيق من النفقات ليجارى الأغنياء فى نفقاتهم : ﴿ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ ﴾ (٤) .

وقد بيَّن الخالق تبارك وتعالى آداب الانتفاع بما أحَلَّ لعباده من الطيِّبات والرزق ، فأمر بالعدل والاستقامة والوَسَط بين الإفراط والتفريط على كُلٍّ بحسبه حاله ومقدرته ، فأذن فى الأكل والشرب ، ونهى عن الإسراف : ﴿ ۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ (٥) . والإسرافُ كلُ ما خرج عن الحاجة ، وقد بيَّن

---

(١) سورة الفجر : ١٥ - ١٦

(٢) سورة الإسراء : ٢١

(٣) سورة الزخرف : ٣٢

(٤) سورة الطلاق : ٧

(٥) سورة الأعراف : ٣١

صلى الله عليه وسلم مقدار الحاجة للإنسان من الطعام والشراب ، فقال صلى الله عليه وسلم : « ما ملأ آدميُ وعاءً شراً من بطنٍ ، بحَسْب ابن آدم أُكيلاتٌ يُقِمن صلبْه ، فإن كان لا محالة فثُلُثٌ لطعامه وثُلُثٌ لشرابه وثُلُثٌ لنفسه » (١) .

والقاعدة التى ينبغى للإنسان أن يتبعها فى الأكل والشرب لينتفع بلا ضرر ، أن يجلس على الطعام وهو يشتهيه ، وأن يقوم عنه وهو يشتهيه ، قال صلى الله عليه وسلم : « إنَّا نأكل ولا نشبع » كما بَيَّن تبارك وتعالى آداب الإنفاق ، وأنه يكون وَسَطاً بين البخل والتقتير وبين البذخ والتبذير : ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (٢) .

إذا علمنا هذا ، فينبغى أن ننظر بتأمل وإنصاف إلى ما يصنعه بعض الناس فى ولائم الزواجات والمناسبات ، يصنعون من الطعام ما يزيد على كفاية المدعوين بمقدار كبير ، ويُسرفون فى الإنفاق إلى حد التبذير ، من أجل الفخر والخيلاء والمماراة ، وقد يكون بعضهم قد استدان قيمة الحفل ولكنه عائل مستكبر ، ثم إنَّ أُولئك يُلقون فضل الطعام الكثير الصالح للأكل فى صناديق النفايات أو جوانب الشوارع أو يُدفنُ فى الأرض . أليس هذا من الإسراف الممقوت عند الله وعند رسوله ؟ أليس هذا من إهانة النعمة وكفرها ؟ أليس

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فى المسند : ٤/ ١٣٢ ، والترمذى فى جامعه برقم (٢٣٨١) فى الزهد ، باب : ما جاء فى كراهية كثرة الأكل ، وابن ماجه فى الأطعمة برقم (٣٣٤٩) كلهم من حديث المقدام بن معدى كرب رضىَ الله عنه وإسناده حسن ، وأخرجه الحاكم فى المستدرك : ٤/ ٣٣١ ، وصحَّحه ووافقه الذهبى فى التلخيص .

(٢) سورة الإسراء : ٢٦ - ٢٩

من التبذير والتكبر ترك الطعام الذى يتكوَّن من كيس وذبيحتين سمينتين فى قدرها لم يُمَس حتى الصباح ثم يُدفنُ فى التراب وهو يُشبع مائة فقير ؟ أليس هذا من الإسراف والتبذير المحرَّم ؟ أليس هذا من عدم الاهتمام بأحوال البائسين المحتاجين ؟ ألا يستحى صاحب الوليمة من الله ثم من الناس ، إذ يقول للطباخ : احفر له وادفنه فى التراب ؟ أليس هذا من الجهل بأحوال الناس ؟ ألم يعلم بأن هناك مَن يتمنى ريح اللَّحم وطعم الدَّسم فى بعض الجهات ؟ أليس الواجب نقلُ فضلِ الطعام إلى المساكين الذين فى الأربطة والعشش والصنادق لينتفعوا به إبراءً للذمَّة واحتراماً للنعمة واحتساباً للثواب عند الله ؟ « مَن تواضع لله رفعه » (١) .

فاتقوا الله أيها الناس . . ألا تخشون من زوال النعمة إذا كفرتم بها ؟ أما تخشون من نقمة الجبار إذا لم تشكروا نعمته ؟

﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ (٢) .

اللَّهُمَّ أعِنَّا على شُكرك وذِكرك وحُسْن عبادتك (٣) .

اللَّهُمَّ إنَّا نعوذ بك من الأشر والبطر والفخر والكِبْر والخيلاء ، ونسألك خشيتك فى الغيب والشهادة ، وكلمة الحق فى الغضب والرضا ، والقصد فى الفقر والغنى ، « ونسألك نعيماً لا ينفد ، وقرة عَيْن لا تنقطع » (٤) ،

---

(١) أخرجه مسلم فى الصحيح : البر والصلة ، حديث رقم (٦٩) خاص وعام (٢٥٨٨) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، وأحمد فى المسند نحوه : ٢/ ٣٨٦

(٢) سورة إبراهيم : ٧

(٣) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضى الله عنه : ٢/ ٢٩٩ : مسند الإمام أحمد وإسناده صحيح .

(٤) إشارة إلى حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : الإمام أحمد فى المسند : ١/ ٣٨٦ ، وإسناده صحيح .

ونسألك الرضا بعد القضا ، وبرد العيش بعد الموت ، ولَذَّة النظر إلى وجهك الكريم ، والشوق إلى لقائك من غير ضرَّاء مُضِرَّة ولا فتنة مُظِلَّة (١) .

اللَّهُمَّ انفعنا وارفعنا بالقرآن العظيم وبما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله العظيم لى ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

* *

(١) إشارة إلى حديث أبى مجلز رضى الله عنه : أحمد فى المسند : ٤/ ٢٦٤ وإسناده حسن .

بسم الله الرحمن الرحيم

احذروا الشيطان فإنه عدو

(الخطبة الثانية)

الحمد لله الذى خلق الإنسان من طين [١] ، وأسجد له الملائكة المقرَّبين ، فسجدوا إلا إبليس أَبَى واستكبر وكان من الكافرين [٢] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، الإله الحق المبين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الطاهر الأمين وقائدُ الغر المحجلين .

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعهم بإحسان أجمعين .

أما بعد . .

فإنَّ من أكبر نِعَم الله على بنى آدم أن أنزل عليهم لباساً يوارى سوءآتهم [٣] ويُغَطِّى عوراتهم وزينة يتجملون بها ، فهو يمن بها على بنى آدم وله الحمد والمنَّة : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦ ﴾ [٤] ، ولكن الشيطان الذى هو أعدى عدو للإنسان عداوته سابقة وباقية إلى أن تقوم الساعة لا يكل عنها ولا يفتر . قد أوقع بعض بنى آدم وفتنهم كما فتن أبوينا آدم وحواء وأخرجهما من الجنَّة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءآتهما [٥] ، فبعض النساء

---

(١) إشارة إلى معنى فى الآية ١١ من سورة الصافات .

(٢) إشارة إلى الآية ٣٤ من سورة البقرة .

(٣) إشارة إلى الآية ٢٦ من سورة الأعراف .

(٤) سورة الأعراف : ٢٦

(٥) إشارة إلى الآية ٢٧ من سورة الأعراف .

كاسياتٌ عاريات ، يلبسن الرقيق من الثياب الذى يصف البَشرة ولونها ، وبعضهن يلبس الضيِّق من الثياب يصف الأعضاء وحجمها ، فلا يُخفى من المرأة شيئاً ، وبعضهن تلبس المزلط تكشف نصف الظهر والصدر والكفين واليدين ، وأخنع من ذلك وأشر اللاتى يلبسن البنطلونات الضيقة التى تصف حجم العَوْرة فى أبشع صُورةٍ وأخسِ منظر وأقبح حال . فالكل ينطبق عليه قول النبى ﷺ : « صِنفان من أهل النار لم أرهما : قومٌ معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مُميلات مائلات رؤوسُهن كأسنمة البُخْت المائلة لا يدخلن الجنَّة ولا يجدن ريحها ، وإنَّ ريحها يوجد من مسيرة كذا وكذا » (رواه مسلم) (١) .

مميلات : يُعَلِّمن غيرهن فعلهن القبيح ويُملن الشباب إلى أنفسهن بزيهن البشع .

مائلات إلى الخلاعة والدعارة وتقليد أعداء الإسلام فى لباسهن ، مائلات عن الحق ودين الإسلام وفضائله ومكارمه ومحاسنه .

وأولياء أُمور هذا النوع من النساء ليست عندهم غيرة إسلامية ولا شيمة عربية ولا روح إنسانية ، كثر عزهم وازداد ترفهم ويتركون نساءهم تخرج على الفضيلة وعن أخلاق الإسلام وشيمه ، إنهم ليسوا برجال وإنما هم أشباه الرجال ينطبق عليهم قول النبى ﷺ : « يكون فى آخر أُمّتى رجال يركبون على سُرُجٍ كأشباه الرجال ينزلون على أبواب المساجد نسائهم كاسياتٌ عارياتٌ على رؤسهن كأسنمة البُخْت العجاف ، إلعنوهن فإنهن ملعونات ، لو كان

---

(١) مسلم فى الصحيح : اللِّباس والزينة ، حديث رقم (١٢٥) خاص وعام (٢١٢٨) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

وراءكم أُمَّة من الأُمم خدمتهم نساؤكم كما خدمكم نساءُ الأُمم قبلكم »[١] ، وباقى المسلمين إزاء هذا المنظر البشع ، إذا رأوه ولم يغيروا ، مُقَصِّرون فى أداء واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، مهملون فى حق التناصح والتعاون على البرِّ والتقوى . فالكل على خطر أن يعمهم الله بعذاب من عنده : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[٢] .

وبعض الشباب يلبس ثوباً رقيقاً يصف البَشرة ، وسروالاً قصيراً لا يستر كلَّ العَوْرة ، يتحاشى مَن خلفه أن ينظر إليه ، وهذا ليس من صفات الرجولة ولا من أخلاق المسلمين ، فإذا كان ولا بد من لبس الرقيق للرجل للتبرد فلا بد من كساءٍ إزار أو سروال يستر ما بين السُّرَّة والرُّكبة .

فاتقوا الله - أيها المسلمون - وكونوا مسلمين حقاً ، وتمسَّكوا بجميع أطراف الإسلام وتعاليمه .

وكونوا دعاةً لإسلامكم بالعمل والقول ، ولا تُشوِّهوا إسلامكم بسيئ أفعالكم فتتحملوا مسئولية مَن ينصرف عنكم ، ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٣] .

ثم اعلموا أنَّ الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه وثَنَّى بملائكته المقرَّبين وثَلَّث بكم أيها المؤمنون تعظيماً لنبيه وإكباراً لمقامه ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ

---

(١) هذا لفظ الإمام أحمد فى المسند : ٢/٢٢٣ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه ، وإسناده جيد .

(٢) سورة الأنفال : ٢٥

(٣) سورة النور : ٣١

﴿وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ (١) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَن صَلَّى علىَّ مرةً واحدة صَلَّى الله عليه بها عشراً » (٢) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم وبارِك وأنْعِم على عبدك ورسولك نبينا محمد صاحب المقام المحمود والحوض المورود .

وَارضَ اللَّهُمَّ عن الخلفاء الراشدين : أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلىّ ، وعن بقية أصحاب نبيك أجمعين ، وزوجاته أُمهات المؤمنين ، وأهل بيته الطيبين الطاهرين .

وارض اللَّهُمَّ عن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، وعنا معهم بمَنِّك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلام والمسلمين ، وأذلَّ الشِّرك والمشركين ، ودَمِّرْ أعداء الدين ، وانصر عبادك المؤمنين ، واحم حَوْزة الدين يا رب العالمين .

اللَّهُمَّ اخذل اليهود وأعوانهم ، وفَرِّق جمعهم وشَتِّت شملهم ، وأنزل الرعب فى قلوبهم ، ورُدَّ كيدهم فى نحورهم إنك على كل شىء قدير .

اللَّهُمَّ آمنا فى أوطاننا ، واحفظ إمامنا وولاة أُمورنا ، واجعلهم هُدَاة مهتدين يقولون بالحق وبه يعدلون .

---

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

(٢) أخرجه مسلم فى الصحيح برقم (٤٠٨) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، باب : الصلاة على النبى ﷺ ، والترمذى فى جامعه برقم (٤٨٥) .

اللَّهُمَّ آمن جميع المسلمين فى أوطانهم ، وأصلح قادتهم وولاة أُمورهم ، واهدهم سُبُل السلام وأخرجهم من الظلمات إلى النور .

اللَّهُمَّ ادفع عنا الغلا والوبا ، والربا والزنا ، والسِّيما والمحن وسوء الفتن ، ما ظهر منها وما بطن ، عن بلدنا هذا خاصة ، وعن جميع بلاد المسلمين .

اللَّهُمَّ اغفر لجميع المسلمين ، الأحياء والميتين ، وفَرِّج هَمَّ المهمومين ، واقض الدَّيْن عن المدينين ، واشف مرضى المسلمين ، إنك رؤوف رحيم .

﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (١) .

* * *

(١) سورة العنكبوت : ٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

٣٩ - النهى عن أكل الحرام [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [٢] . . قوله حق [٣] ، وحكمه عدل ، وأمره حكمة ، ونهيه رحمة ، ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [٤] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، منه المبتدأ وإليه المنتهى : ﴿ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ﴾ [٥] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، بَشَّر وأنذر ، ورَغَّب وحَذَّر .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فيقول الخالق تبارك وتعالى فى محكم التنزيل : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [٦] .

---

(١) ألقيت يوم ١/٦/١٤٠٢ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى الآية ٧٣ من سورة الأنعام .

(٤) سورة النحل : ٧

(٥) سورة النجم : ٣١

(٦) سورة البقرة : ١٨٨

الأموال هى محك العقول ، وهى التى تكشف عن السرائر ، فلا تَبْرز قيمة الإنسان وأمانتُه إلا عند الاحتكاك بالأموال ، فيُفْتَش غطاؤه وتفوح رائحته .

أكل أموال الناس بالباطل : يشمل كلَّ أخذٍ للمال بطريق غير مشروع ، ويشملُ كلَّ معاطاة لم يأذن بها الله ، فكل البيوع المحرَّمة أكل لأموال الناس بالباطل وفى حضيضها الربا .

والرِّشوةُ (١) ، والغِشُ (٢) ، والقمارُ (٣) ، والتدليسُ (٤) ، والسَّرِقة (٥) والاختلاس (٦) ، والنهب (٧) ، والغصب (٨) ، والتحيُّل على أخذ المال

---

(١) إشارة إلى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه : « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الراشى والمرتشى » : أحمد فى المسند : ٢/ ١٦٤ ، وبعض أصحاب السنن ، وإسناده حسن .

(٢) حديث أبى هريرة رضى الله عنه : مسلم فى الإيمان برقم (١٠٢) : « مَن غشنا فليس منا » .

(٣) حديث البخارى برقم (٦١٠٧) : الأداب من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، ومسلم فى الأيمان ، حديث رقم (٤) ، (٥) .

(٤) والتدليس أخو الكذب فهو نوع من الغش والكذب ، وحديث المدلس لا يُقبل - راجع كتب المصطلح ، وقول شُعبة فيه : الزنا أحب إلىَّ من أن أدلس (مقدمة ابن الصلاح) .

(٥) إليه يشير قوله تعالى فى سورة المائدة ، (الآية ٣٨) : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا ﴾ .

(٦) إشارة إلى حديث جابر رضى الله عنه : أحمد فى المسند : ٣/ ٣٢٣ ، وفيه حرَّم النهبة والخلسة ، وإسناده صحيح .

(٧) هو نفس هذا الحديث : أحمد فى المسند : ٣/ ٣٢٣ ، وفيه تحريم النهب : « من انتهب فليس منا » ، الترمذى برقم (١٦٠١) .

(٨) إشارة إلى ما ذكره ابن الأثير فى النهاية فى مادة « غصب » إذ قال (٣/ ٣٧٠) : وهو أخذ مال الغير ظلماً وعدواناً ، يقال : غصبه يغصبه فهو غاصب ، ثم ذكره .

بالأَيْمان الكاذبة [١] والدعاوى الباطلة [٢] ، أكلٌ لأموال الناس بالباطل [٣] .

وبيع ما لا يحل بيعه ، كالأعراضِ ، والخُلُق ، والدِّين ، والضمائر ، وبيع الأحرار [٤] ، أكلٌ لأموال الناس بالباطل [٥] .

وسواء أكانت الأموال عقاراتٍ ، أو نقوداً ، أو عروضاً ، أو حيوانات ، أو غير ذلك ، فأخذ شيء منها بغير حقه سحتٌ ، وعارٌ ونار ، وخزى فى هذه الدنيا ويوم القَرار .

وحينما يُحَرِّم الإسلامُ أكلَ أموال الناس بالباطل ، إنما هو رحمةٌ بالمسلمين ، ورحمةٌ لجميع العالَمين .

ذلك بأن أكل أموال الناس بالباطل يَتْرك آثاراً مدمرة فى المجتمع ، ويترك آثاراً مهلكة فى الفرد ، يورث الشقاق والمنازعاتِ والبغضاءَ والحقدَ والحسدَ ، يؤدى إلى التنافر والتفرق .

كما يورث موت الضمير ، وفقدان الإحساس بواجب الفرد للمجتمع ، وفقدان الشعور بواجب الإنسان لجميع المخلوقات .

والإسلام بتشريعه يريد الخير للناس ، والإصلاح لجميع الخلق : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ

---

(١) إشارة إلى ابن ماجه رضى الله عنه : مسلم فى الصحيح برقم (١٣٧) ، باب : مَن اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة .

(٢) هو نفس هذا الحديث من حديث أبى أمامة رضى الله عنه : مسلم فى الإيمان برقم (١٣٧) .

(٣) إشارة إلى الآية ٢٩ من سورة النساء .

(٤) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضى الله عنه : البخارى برقم (٢٢٢٧) ، البيوع : « إثم من باع حراً » باب رقم (١٠٦) .

(٥) إشارة إلى نفس هذه الآية الكريمة من سورة النساء : آية ٢٩

لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾ (١)

اتقوا الله أيها المسلمون . .

ما هذه الدعاوى الكاذبة ؟ وما هذه الدعاوى الصورية ؟ وما هذه الشهادات المزوَّرة ؟ وما هذه الأقوال المخالفة للحقيقة والواقع ؟ أما سمعتم قول المصطفى صلى الله عليه وسلم : « مَن أخذ شِبْراً من الأرض ظلماً طُوِقه من سبع أرضين » ؟ (متفق عليه) (٢) .

أما سمعتم قول نبينا ﷺ : « لا يحل مالُ امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه » ؟ (٣) .

« إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام » (٤) .

« أيما جسد غُذِى بالحرام فالنار أولى به » (٥) .

اعلم يا ابن آدم أنَّ قضاء القاضى لا يُحِلَّ لك حراماً ولا يُحِقَّ لك باطلاً ،

---

(١) سورة النساء : ٢٦ - ٢٨

(٢) حديث ابن عمر رضى الله عنهما : البخارى : ٥/ ٧٤ - ٧٥ فى المظالم ، ومسلم فى الصحيح برقم (١٦١٠) فى المساقاة .

(٣) إشارة إلى حديث عن عم أبى حرة الرقاشى رضى الله عنه : أحمد فى المسند : ٥/ ٧٢ ، وإسناده فيه ضعف وله شواهد كثيرة بمعناه ، أخرجه البخارى ومسلم .

(٤) هو نفس هذا الحديث ، وهو أيضاً من خطبة النبى ﷺ يوم عَرَفة : مسلم فى الصحيح ، الحج ، حديث (١٤٧) .

(٥) هذا لفظ الحاكم فى المستدرك : ٤/ ١٢٧ من حديث أبى بكر الصِّدِّيق رضى الله عنه ، ومن حديث عمر بن الخطَّاب رضى الله عنه ، وإسناده حسن مع الشواهد الكثيرة .

وإنما يقضى القاضى بنحو ما يرى [١] ، ويشهدُ به الشهود ، والقاضى بَشَرٌ يُخطئ ويُصيب ، واعلموا أن مَن قُضِى له بباطل [٢] أن خصومته لم تنقض حتى يجمع الله بينه وبين خصمه يوم القيامة فيُقضَى على المبطل للمُحِقِّ بأجودَ مما قُضى للمُبْطِل على المُحِقِّ فى الدنيا [٣] .

فاتقوا الله أيها المسلمون فى أنفسكم ، لا تُعَرِّضوها لسخط الله وأليم عقابه .

اتقوا الله فى إخوانكم ، لا تأكلوا أموالهم بالباطل .

ليس بمؤمن حقاً مَن لا يؤمن بوعد الله ووعيده .

ليس بمؤمن حقاً مَن لا يترك إيمانه أثراً فى نفسه وتصرفاته : ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [٤] .

اللَّهُمَّ أغْنِنَا بالحلال عن الحرام ، وبفضلك عن من سواك [٥] ، وارزقنا

---

(١) إشارة إلى حديث أُم سلمة رضى الله عنها : البخارى : ٢١٢/٥ فى الشهادات ، ومسلم برقم (١٧١٣) .

(٢) هو نفس هذا الحديث إذ قال عليه الصلاة والسلام : « فإنما أقطع له قطعة من النار » : البخارى : ٢١٢/٥

(٣) راجع مسند الشافعى بترتيب السندى برقم (٦٢٦) ، والموطأ : ٧١٩/١ فى الأقضية ، باب : الترغيب فى القضاء بالحق وهو من حديث أُم سلمة رضى الله عنها .

(٤) سورة فصلت : ٤٦

(٥) إشارة إلى حديث علىّ رضى الله عنه : أخرجه أحمد فى المسند : ١٥٣/١ وإسناده صحيح ولفظه : « اللَّهُمَّ اكفنى بحلالك عن حرامك ، وأغننى بفضلك عن مَن سواك » ، وهو من طريق أبى وائل عن علىّ رضى الله عنه به .

القناعة التى تملأ قلوبنا بما رزقتنا ، ونسألك خشيتك فى الغيب والشهادة ، والقصد فى الفقر والغِنَى .

اللَّهُمَّ بارِك لنا فى القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات والذِكْر الحكيم ، وعَلِّمنا منه ما جهلنا ، وذَكِّرنا منه ما نسينا ، وارزقنا تلاوته على الوجه الذى يرضيك عنا ، واغفر لنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

بسم الله الرحمن الرحيم

كل المسلم على المسلم حرام

(الخطبة الثانية)

الحمد لله الحكيم الخبير (١) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، العَلِيُّ القدير .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، البشير النذير والسراج المنير (٢) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه واتبع سبيله .

أما بعد . .

فأُوصيكم وإياى بتقوى الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ (٣)

ثم اعلموا أنَّ المسلم كلَّه على المسلم حرامٌ : دمه وماله وعِرضه (٤) ، وقليل من مال حلال أبقى وأنقى من كثير من حرام ، فكيف بالإنسان إذا

---

(١) إشارة إلى الآية ١ من سورة سبأ .

(٢) إشارة إلى الآية ٤٦ من سورة الأحزاب .

(٣) سورة النساء : ١٣١

(٤) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضى الله عنه : مسلم فى الصحيح ، البر والصلة برقم (٢٥٨٠) .

حضرته الوفاة وهو يعرف أنه أخذ مال أخيه المسلم بغير حق ، ولم يَردَّه إليه ولم يتحلله منه ؟ (١) .

كيف إذا بلغت الروحُ التراق ، وظن أنه الفراق ، والتفت الساق بالساق (٢) وهو يعلم أنه اكتسب ماله من طريق حرام ؟

كيف بالإنسان إذا تعلَّقت به حقوق بنى آدم يوم القيامة تطلب القضاء والفصل بالعدل ؟ (٣) .

اتقوا الله أيها المسلمون . . مَن أخذ من مال أخيه المسلم شيئاً فليرده إليه وليتحلله منه (٤) .

فإذا لم تُؤَدَّ الحقوق فى هذه الدنيا بقيت أثقالاً فى أعناق ظالميها تؤخذ منهم بالقسطاط المستقيم : ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾ (٥) .

مَن أتلف مال أخيه المسلم فعليه ضمانه : « على اليد ما أخذت على أن تؤديه » (٦) .

---

(١) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضى الله عنه : أخرجه البخارى فى الصحيح ، المظالم ، باب (١٠) ، وحديث رقم (٢٤٤٩) ، وأحمد فى المسند : ٢/٥٠٦ من هذا الوجه واللَّفظ .

(٢) إشارة إلى الآيات ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ من سورة القيامة .

(٣) إشارة إلى نصوص كثيرة وآنية وسنية ، ومنها حديث أبى حميد الساعدى رضى الله عنه بسياق طويل الجيل : أخرجه البخارى برقم (٦٩٧٩) ، الحيل ، باب (١٥) ، ومسلم : الأحاديث حديث رقم (٢٤) ، (٢٦) ، (٢٨) من هذا الوجه واللفظ .

(٤) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضى الله عنه : البخارى فى المظالم برقم (٢٤٤٩) ، ونحوه أحمد فى المسند : ٢/٥٠٦

(٥) سورة الشعراء : ٨٨

(٦) إشارة إلى حديث أخرجه البخارى معلقاً فى كتاب الزكاة وموصولاً عنده فى =

مَن غرس فى أرض المسلم أو بنى بدون حق فيلزمه قلع غرسه ورفعُ بنائه وتسوية الأرض كما كانت ، وعليه أجرة المثل للمدة التى استولى فيها عليها . قال صلى الله عليه وسلم : « ليس لعرق ظالم حق » (١) .

اتقوا الله أيها المسلمون . . تراحموا وتعاطفوا واحترموا الحقوق ، ولا يُفزع أحدٌ أحداً ، لا جَدّاً ولا مزحاً ، لا فى كبير ولا فى صغير .

روى أبو داود رحمه الله بسنده : أن النبى ﷺ قال : « لا يأخذ أحدكم متاع صاحبه لاعباً ولا جاداً ، ومَن أخذ عصا أخيه فليردها » (٢) .

ثم اعلموا أنَّ الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه ، وثنَّى بملائكته ، وثلَّث بكم فقال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (٣) .

* * *

= الاستقراض ، وهو من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، البخارى مع الفتح : ٣/ ٢٩٥ ، والإمام أحمد فى المسند : ٢/ ٣٦١ من هذا الوجه واللفظ .

(١) إشارة إلى حديث عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه البخارى مع الفتح معلقاً : ٥/ ١٨ - ١٩

وقال الحافظ فى الفتح : هذا الحديث - أى « ليس لعرق ظالم فيه حق » - يروى عن جابر رضى الله عنه ، ثم ذكر تخريجه وقال : أخرجه أحمد فى المسند موصولاً ، ثم ذكر إسناده ومتنه .

قلت : أخرجه أحمد فى المسند : ٣/ ٣٣٨ ، كما ذكره الحافظ فى الفتح : ٥/ ١٩ ، وأخرجه أيضاً الترمذى فى جامعه من وجه آخر عن هشام بن عروة ، ثم ذكر لفظه وصححه .

(٢) إشارة إلى حديث أبى حميد الساعدى رضى الله عنه فى هذا المعنى ، وفيه النهى عن أخذ العصا ، أخرجه أحمد فى المسند : ٥/ ٤٢٥ وإسناده صحيح .

(٣) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٤٠ - النهى عن المكاسب المحرَّمة [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [٢] ، خَلَق فقدَّر وشَرَّع ويَسَّر .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

صَلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسَلَّم تسليماً كثيراً .

أما بعد . .

فأُوصيكم وإياى بتقوى الله تعالى .

أيها الناس ؛ إن دين الإسلام الحنيف ، دين عمل وجد وكفاح ، دين عِزَّة وكرامة ، دين رفعة ونزاهة ، صالح لتنظيم أحوال المجتمع ، وتسيير مركبة الحياة ، وحل مشاكله وقضاياه فى كل زمان ومكان .

قد عالج جميع أحوال المجتمع ومتطلبات حياته ، ووضع لها نظاماً مركَّزاً واضحاً جلياً ، فيه جَلْبُ المصالح ودرئ المفاسد ، وبه يتحقق التعاون والتآخى وتقوى روابط المحبة والتضامن .

ولكن المفاهيم تختلفُ باختلاف قوة الإيمان وضَعْف اليقين ، وباختلاف الورع والتقوى وتحكم الرغبات والشهوات .

---

(١) ألقيت يوم ١٣٩٥/٦/٢٥ هـ .

(٢) سورة فاطر : ١

ولقد كان للحقل الاقتصادى من هذا التنظيم فى القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية المطهَّرة الحظ الوافر ، فبيَّن الإسلام موارد المال الطيبة والمكاسب المباركة ورغَّبَ فيها ، وحَثَّ على تنمية الأموال بواسطتها .

كما بيَّن المكاسب الخبيثة ونهى عنها ، والموارد المحرَّمة وحَذَّر منها (١) ، كل ذلك من أجل تنظيم حياة اجتماعية إسلامية طاهرةٍ نقية ، تتصف بصفات الكمال والتآخى والتعاطف والتراحم .

وإن مما وقع فيه كثير من الناس من المكاسب المحرَّمة التى هى سبب للشقاق والخلاف والعداوة والبغضاء هو أكل أموال الناس بالباطل (٢) ، بأى وسيلة كانت ، سواء بالدعوى الكاذبة وبَيِّنة الزور الفاجرة ، أو بجحد الأمانة والعارية ، أو بإنكار البيع أو الشراء ، أو بكتمان الوقفية ، أو بأخذ المال على وجه الخفاء من حرزه كالسرقة ، أو من غير حرزه (٣) كالاختلاص (٤) ، أو بأخذه بالقهر والغلبة كالغصب (٥) ، أو الاستيلاء عليه ويُسكت عنه بدون طيب نفس من مالكه ، كل ذلك أكل لأموال الناس بالباطل إثم وحرام ، حرَّمه الله بنص كتابه وسُنَّة نبيه محمد ﷺ . قال تبارك وتعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً

---

(١) إشارة إلى الآية ٢٧٥ من سورة البقرة .

(٢) إشارة إلى الآية ١٨٨ من سورة البقرة .

(٣) إشارة إلى حديث عبد الله بن صفوان عن أبيه رضى الله عنه : ابن ماجه برقم (٢٥٩٥) : الحدود ، وإسناده صحيح ، ونحوه حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنهما برقم (٢٥٩٦) .

(٤) إشارة إلى حديث جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنه : أبو داود برقم (٤٣٩١) : الحدود ، وبرقم (٤٣٩٢) ، (٤٣٩٣) ، باب : القطع فى الخلسة والخيانة .

(٥) ورد الحديث بمعناه : البخارى برقم (٢٤٥٨) ، كتاب المظالم والغصب ، وفيه وعيد شديد للغاصب ، وهو من حديث أُم سلمة رضى الله عنها .

عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ (١) .

وقال صلى الله عليه وسلم فى خطبته يوم النحر : « إنَّ دماءكم وأموالكم حرام كحرمة يومكم هذا ، فى شهركم هذا ، فى بلدكم هذا » (٢) .

ولما كان من الأموال ما هو محل طمع للظالمين لضعف مالكه عن حفظه وحمايته كاليتيم ، كان الإثم فى أكله بدون حق أعظم ، والعذاب أشد ، يُعذَّب المعتدى بالنار فى داخل جوفه (٣) وخارجه ، جزاءً له على ظلمه وعدوانه ، فقال جَلَّ جلاله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ (٤) .

ومثل مال اليتيم (٥) أوقاف المسلمين (٦) ومال الغائب والمصالح الضرورية للمسلمين كالطرقات العامة والمساجد والمقابر ، لأن المتولى عليها لا يملكها ملكاً شخصياً ، فقد لا يجد عليها غيرة كغيرته على ماله الخاص ، فهو مظنة الإهمال والتغافل والتكاسل ، فمَن أخذ منها شيئاً بدون حق مشروع فهو عليه حرام وداخلٌ تحت الوعيد الشديد ، وإن سكت عنه المسؤول أو تواطأ معه ،

---

(١) سورة النساء : ٢٩ - ٣٠

(٢) من خطبته عليه الصلاة والسلام فى يوم عرفة : مسلم فى الصحيح : الحج ، حديث رقم (١٤٧) خاص ، وهو من حديث جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنه .

(٣) إشارة إلى الآية ١٦١ من سورة النساء ، وكذا أكل مال اليتيم محرَّم ، إذ نصَّ على ذلك الله تعالى فى سورة النساء آية (١٠) .

(٤) سورة النساء : ١٠

(٥) هو نفس هذه الآية الكريمة : (النساء : ١٠) .

(٦) نحو هذا الحرام ما يأكله النظراء على أوقاف المسلمين بدون حق ولا يعطون لمن له حظ أو نصيب فى الوقف ، وهذا هو الأكل الحرام .

والقائم على هذه الأموال إذا أهملها حتى ضاعت : عليه من الإثم بقدر إهماله .

فاتقوا الله أيها الناس . . ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ ﴾ (١) .

راجعوا أنفسكم وحاسبوها قبل أن يأتى يوم تظهر فيه السرائر ، يوم يأتى كل ظالم بمظلمته وكل غادر بغدرته ، وكل خائن بخيانته ، ومَن يغلل يأت بما غَلَّ يوم القيامة (٢) ، « من أخذ شِبْراً من الأرض ظلماً طُوقه من سبع أرضين » (٣) .

ردوا المظالم إلى أهلها قبل أن يأتى يوم لا درهم فيه ولا دينار ، ومَن كانت عنده مظلمة لأخيه يستطيع ردها ، فليستحله منها قبل يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون (٤) ، إنَّ المال الحرام عار ونار ، وآكل الحرام لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ، إن صَلَّى فيه لم تُقبل صلاته (٥) ، وإن تصدَّق به لم تُقبل صدقته ، لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً (٦) ، وإن دعا فأنَّى يُستجاب له ومأكله حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام (٧) .

---

(١) سورة المائدة : ٢

(٢) إشارة إلى الآية ١٦١ من سورة آل عمران .

(٣) إشارة إلى حديث سعيد بن زيد رضى الله عنه : البخارى برقم (٢٤٥٢) : المظالم ، ومسلم : المساقاة ، حديث رقم (١٣٩) ، (١٤٢) خاص .

(٤) إشارة إلى الآية ٨٨ من سورة الشعراء .

(٥) إشارة إلى حديث معقل بن يسار رضى الله عنه فى هذا المعنى : أحمد فى المسند : ٥/ ٢٥ وإسناده جيد .

(٦) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضى الله عنه : البخارى برقم (١٤١٠) : الزكاة ، ومسلم فى الصحيح : الزكاة ، حديث رقم (٦٣) ، (٦٥) خاص من هذا الوجه واللفظ .

(٧) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضى الله عنه : مسلم فى الصحيح : الزكاة ، حديث (٦٥) خاص وعام (١٠١٥) .

وأيما جسد غُذى بالحرام فالنار أولى به [١] .

اتقوا الله أيها المسلمون . . ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [٢] .

اللَّهُمَّ بارِك لنا فى القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

اللَّهُمَّ أغننا بحلالك عن حرامك ، وبفضلك عمن سواك [٣] .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

* *

(١) إشارة إلى حديث أبى بكر الصِّدِّيق رضى الله عنه : الحاكم فى المستدرك : ١٢٧/٤ ولم يتكلم الحاكم على إسناده ، وقد سكت الذهبى عليه فى التلخيص أيضاً وشاهده فى مسلم .

(٢) سورة البقرة : ١٨٨

(٣) إشارة إلى حديث على رضى الله عنه : أخرجه الإمام أحمد فى المسند : ١٥٣/١ وإسناده صحيح .

بسم الله الرحمن الرحيم

إكرام المساجد

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤ ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد . .

أيها المسلمون ؛ أُوصيكم ونفسى بتقوى الله تعالى .

أيها المسلمون ؛ إن المساجد هى بيوت الله ، أمر سبحانه أن تُطْهَّر ، وأن تُنَزَّه ، وأن تُرَفَّع عن الابتذال والامتهان (٢) ، هى محل العبادة ومحل النجوى ، وهى مكان الخلوة بالله تعالى : ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ۝٣٧ ﴾ (٣) ، ولكن من المؤسف جداً أن بعض الناس اتخذها ملعباً رياضياً لأولاده ، ودار حضانة لأطفاله ، دون نظر فى عواقب الأمور ، ودون مبالاة بحرمة بيت الله ، ودون احترام لحق الآخرين من القُرَّاء والذاكرين والعُبَّاد .

---

(١) سورة الفاتحة : ٢ - ٤

(٢) إشارة إلى حديث أبى هريرة رضى الله عنه : البخارى برقم (٤٦٠) : الصلاة ، باب (٧٤) ، باب : الخدم للمسجد ، ومسلم فى الصحيح ، الجنائز ، حديث رقم (٧١) خاص ، من هذا الوجه واللفظ .

(٣) سورة النور : ٣٦ - ٣٧

إن الذى يحضر بأطفاله إلى المسجد قد يكون مقَصده حسناً فهو يريد الخير ، ولكنه قد يحصل له من الإثم فى إيذاء المسلمين ، وتنجس مكان العبادة ، أكثر مما يحصل له من الأجر ، فاتقوا الله عباد الله ، جنِّبوا صبيانكم ومجانينكم مساجدكم (١) ، فإن فى حضورهم إلى المساجد وهم لا يعرفون الصلاة وأداءها ، ولا حرمة المسجد ومكانتها ، إيذاء للمسلمين وامتهان بيوت الله : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾ (٢) .

رأى النبى ﷺ - وهو يخطب - رجلاً يتخطى الصفوف يبحث عن مكان ، فقال له صلى الله عليه وسلم : « اجلس فقد آذيت » (٣) ، فما بالكم بما ترونه وتسمعونه من أحوال الأطفال فى هذا المسجد المطهَّر .

فاتقوا الله عباد الله . . وصلُّوا على النبى الكريم فقد أمرنا الله بذلك فى كتابه المبين ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (٤) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم وبَارِك وأنْعِم على عبدك ورسولك نبينا محمد صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر .

---

(١) إشارة إلى حديث واثلة بن الأسقع رضى الله عنه : ابن ماجه برقم (٧٥) : المساجد ، باب (٥) ، وفى إسناده ضعف ، ولكن معناه صحيح ثابت بأحاديث أخرى .

(٢) سورة الأحزاب : ٥٨

(٣) إشارة إلى حديث عبد الله بن بسر رضى الله عنه : أبو داود برقم (١١١٨) فى الصلاة ، باب : تخطى رقاب الناس يوم الجمعة ، والنسائى : ٣/١٠٣ : الجمعة ، وإسناده حسن ، وابن ماجه برقم (١١١٥) فى إقامة الصلاة . . . . . وهو من حديث جابر رضى الله عنه .

(٤) سورة الأحزاب : ٥٦

اللَّهُمَّ ارض عن الأربعة الخلفاء الراشدين : أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وعن بقية أصحاب نبيك أجمعين ، وأهل بيته الطيبين الطاهرين ، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللَّهُمَّ ارض عنا معهم بمَنِّك ورحمتك يا أرحم الراحمين .

اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلام والمسلمين ، وأذلَّ الشِّرك والمشركين ، ودَمِّرْ أعداء الدين ، واحم حَوْزة الإسلام يا رب العالَمين .

اللَّهُمَّ اجمع شمل المسلمين ، ووحِّد صفوفهم ، وقَوِ شَوْكتهم ، وانصرهم على أعدائهم يا أرحم الراحمين .

اللَّهُمَّ عليك بأعداء المسلمين ، فَرِّق وشَتِّت شملهم ، واجعل الدائرة عليهم ، إنك أنت العزيز الحكيم .

اللَّهُمَّ اغفر لجميع المسلمين الأحياء والميتين .

اللَّهُمَّ فَرِّج هم المهمومين ، واقض الدَّيْن عن المدينين ، واشف مرضى المسلمين .

عباد الله ؛ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١) .

فاذكروا الله العظيم يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم ، ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (٢) .

* * *

(١) سورة النحل : ٩٠

(٢) سورة العنكبوت : ٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

٤١ - رزق الحيوان على الله [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٢] . . ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [٣]

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، أحاط بكل شيء عِلماً وأحصى كل شيء عدداً [٤] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، ما ترك أُمَّته وطائر يُقَلِّب جناحيه إلا ذكر منه عِلماً .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد . .

فليس بنو آدم وحدهم فى هذا الكون ، وليسوا وحدهم تحت رعاية الله ، وليسوا وحدهم يسمع الله شكواهم ، وليست رحمةُ الله خاصةً بهم ، ففى

---

(١) ألقيت يوم ٢٦/ ٤/ ١٤١٠ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) سورة الإسراء : ٤٤

(٤) إشارة إلى الآية ٢٨ من سورة الجن .

هذا الوجود فى البرَّ والبَحر خلقَ الله أحياءً أمرها منتظم ، يعرف بعضُها بعضاً وتتفاهم بمنطقها : ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (١) ، وقال الهدهد لسليمان : ﴿ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ (٢) ، ﴿ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ ﴾ (٣) ، تكفَّل الله برزقها ورعايتها ، ويعلم حركاتها وسكناتها ، مسخَّرة لما خُلقَت له : ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (٤) ، فيقْتَصُّ لبعضها من بعض ، فيأخذ للجمَّاء من القرناء ، فكل صنف من هذه المخلوقات أُمَّة .

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : قلَّ الجراد فى سنة من سنى عمر ابن الخطاب رضى الله عنه التى ولى فيها ، فسأل عنه فلم يُخبَر بشىء ، فاغتمَّ لذلك ، فأرسل راكباً إلى كذا وآخر إلى الشام وآخر إلى العراق ، يسأل هل رُؤى من الجراد شىء أم لا ؟ قال : فأتاه الراكب الذى من قِبَل اليمن بقبضة من جراد فألقاها بين يديه ، فلما رآها كبَّر ثلاثاً ثم قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « خلق اللهُ عَزَّ وجَلَّ ألف أُمَّة منها ستمائة فى البحر وأربعمائة فى البر ، وأول شىء يهلك من هذه الأُمم الجراد ، فإذا هلكت تتابعت مثلَ النظام إذا قُطع سلكه » (٥) . وهذه الأُمم

---

(١) سورة النمل : ١٨

(٢) سورة النمل : ٢٢

(٣) سورة النور : ٤٥

(٤) سورة الأنعام : ٣٨

(٥) أخرجه أبو يعلى فى مسنده ، وابن عدى فى الكامل : ٥/ ١٩٩٠ ، وأبو الشيخ فى العظمة (٩٣٨) . قال ابن كثير (١/ ٣٩) : وفيه محمد بن عيسى وهو ضعيف .

سُخِّرَ منها لابن آدم ما ينفعه ، وأُحِلَّ له منها الطيباتُ : ﴿ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴾ (١) ، ومن ألبانها يشربون ، ويتخذون من أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً (٢) ، ومن جلودها أوعية وأحذية وبيوتاً ومصالح أخرى ، ومنها ما هو للحرث والسقى ، وأخرى للحراسة ، ويخرج من بعضها : ﴿ شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ (٣) ، ومنها ما هو آية وعبرة ، ولتربية بنى آدم والابتلاء وتعريفه بنفسه وضعفه وحاجته إلى مولاه ، وفى كل مخلوق صغر أم كبر ، يَنْفع أم يَضُر : آية على وحدانية الله الذى خلقه ، وعلى بالغ حكمته وكمال قدرته .

فما سُخِّر للإنسان منها وجب أداء حقه وحسنُ الانتفاع به ، وما يضر منها أو يؤذى يُستحّب اتقاء شره ، وما لا ينفع ولا يضر - فللَّه فى خلقه حكمةٌ - يترك وشأنه ، وما طاف على الناس منها أُعطَى مما فضل ، لكن هناك بعض الناس لا يعرف حُرمة الحيوان ، ولا يعرف لها حقها ، فنسمع بما يسمونه بالفنون ، أو الرياضيات يحصل فيها تعذيب الحيوان وتحريش بعضها على بعض ، أو مصارعتها أو منافرة الطيور للضحك عليها وإضاعة الوقت أمامها ، وقد أمر الله تعالى بالإحسان إليها والرفق بها : ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٤) ، ونهى رسول الله ﷺ عن إيذائها أو عمل ما يضرها ، فنهى عن الوقوف عليها ، وعن تحملها ما لا تطيق ، ونهى عن أخذ فراخها ، فقال : « مَن فجع هذه فى ولدِها » ؟ ويَحْرم قتلُ الحيوان والطيور بدونه حاجة إلى أكلها أو مصلحة شرعية فى قتلها .

---

(١) سورة يس : ٧٢

(٢) إشارة إلى الآية ٨٠ من سورة النحل .

(٣) سورة النحل : ٦٩

(٤) سورة البقرة : ١٩٥

قال فى التفسير الكبير : رُوى عن النبى ﷺ أنه قال : « مَن قتل عُصفوراً عَبَثاً جاء يومَ القيامة يَعُجُّ إلى الله يقول : يا ربِّ ، إن هذا قتلنى عبثاً لم ينتفع بى ولم يدعنى آكل من خشاش الأرض » (١) ، ودخلت امرأة النار فى هِرَّة ، ودخلت بغىّ الجَنَّة فى كلب ، وأُتلفت مزرعة فى عصافير .

روى الشيخان فى صحيحيهما عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « دخلت امرأةٌ النار فى هِرَّة ربطتها ولم تطعمها ولم تدعها تأكلُ من خَشاش الأرض » .

وفى رواية : « عُذِّبت امرأة فى هِرَّة سجنتها حتى ماتت ، فدخلت النار ، لا هى أطعمتها وسقتها إذ هى حبستها ، ولا هى تركتها تأكلُ من خَشاش الأرض » (٢) .

ولهما أيضاً عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « بينما رجل يمشى بطريق اشتدَّ عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثم خرج ، فإذا كلب يلهثُ يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى بلغ منى ، فنزل البئر فملأ خُفَّه ماءً ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلبَ ، فشكر الله له فغفر له » ، فقالوا : يا رسول الله ؛ وإنَّ لنا فى البهائم أجراً ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « فى كل كبد رطبة أجر » .

وفى رواية : « بينما كلب يُطيف برُكْيَه قد كاد يقتله العطش ، إذ رأته بَغِيَّة من بغايا بنى إسرائل فنزعت موقها ، فاستقت له به ، فسقته إياه ، فغُفِر لها به » (٣) .

---

(١) أخرجه أحمد : ٤/ ٣٨٩ ، والنسائى : ٧/ ٢٣٩ ، والطبرانى فى معجمه الكبير : ٧/ ٣١٧

(٢) أخرجه البخارى مع الفتح : ٦/ ٣٥٦ ، ومسلم : ٤/ ٢٠٢٢ ، حديث (٢٢٤٢) .

(٣) أخرجه البخارى مع الفتح : ٦/ ٥٥١ ، ومسلم : ٤/ ١٧٦١ ، حديث (٢٢٤٤) ، (٢٢٤٥) .

وكان فلاح له زرع من النوع الجيد أعجبه نباته وتوسَّم فيه كثرة محصوله ، فلما اشتد الحَبّ صارت العصافير تأكل منه وتأوى إلى بئر معطلة فغاظه ما رأى ، ونسى أن الله هو الذى زرع ما حرث ، فوَسْوَسَ إليه الشيطان ، فلما أوت الطيور إلى البئر سقف عليها البئر عن قسوة وجبروت وغفلة عن قُدرة الله ، فلم تستطيع تلك الأُمَّة من الخروج فماتت جوعاً ، ووقع فى نفسه أنه حصَّن زرعه ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (١) فأنزل الله على زرع الظالم من سحابة فيها بَرَد ، وأرسل عليها ريحاً عاصفاً ، فصار البَرَد يدك الزرع من السماء والريح يقصف به فى الهواء ، فأصبحت صعيداً زلقاً ، إلا مقدر مترين فى مثلها فلم يُصَب بأذى ، فإذا فيه هِرَّةٌ تُرضع أولادها ، فسبحان الحى القيوم لا تأخذه سِنَةٌ ولا نوم ، وسبحان السميع البصير الواحد القدير ، فلا يغفل عن شىء من خلقه صغير أو كبير ، كريم أو حقير .

﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ (٢) .

﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (٣) .

فالرب الذى لم يُضيع البهائم والدواب والطيور فأعطاها حقها ، وحفظ عليها حركاتها وأفعالها وأثبت ذلك منها فى كتاب وسيحشرها إليه ويجازيها على ما سَلَف منها فى دار البلاء : أحرى أن لا يضيع أعمال بنى آدم فسيحشرهم إليه ويجازى المحسن على إحسانه والمسىء على إساءته .

---

(١) سورة إبراهيم : ٤٢

(٢) سورة هود : ٦

(٣) سورة العنكبوت : ٦٠

فاتق الله أيها الإنسان ، واتقوا الله أيها المؤمنون : ﴿ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (١) .

لقد خَصَّ الله بنى ادم بنعمته ، وبسط عليهم من فضله ، وأعطاهم ما لم يعط كثيراً من العالَمين ، فطاعة الله عليهم أوجب ، وشكره عليهم أوثق ، وتوحيده وعبادته عليهم ألزم .

وهم المعينون برسالات السماء ، وهم المخاطَبون بالقرآن ، ومن أجلهم شُرِّعت الشرائع ، وحُدَّت الحدود ، وخُلقت الجنَّة والنار .

﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ (٢) .

اللَّهُمَّ انفعنا بالقرآن العظيم ، واجعله ربيع قلوبنا ونور صدورنا ونظام حياتنا ودستور بلادنا ، وآمنا والحاكم فيما شجر بيننا ، واغفر لنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

(١) سورة الحشر : ١٨

(٢) سورة البقرة : ٣٨ - ٣٩

بسم الله الرحمن الرحيم

صفة الداعى إلى الله

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) . . ﴿ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ ۖ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٢) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فإن الدعوة إلى الله تعالى فى أعلى مراتب الكمال والشرف ، سواء أكانت دعوة إلى الإيمان بالله ورسالاته وعبادته وتوحيده ، أو دعوة إلى حضور جماعات الصلاة فى بيوت الله ، أثنى الله عليهم فى كتابه ومدحهم ، واستغفر لهم النبى ﷺ فى حديثه .

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٣) .

فالشرط واضح أن يكون الداعى إلى الله مهتدٍ فى نفسه داعٍ إلى الهُدَى ، فمنفعته لازمة ومتعدية ، وليس من الذين ينيرون للناس ويجرفون أنفسهم يأمرون بالمعروف ولا يأتونه ، وينهون عن المنكر ويفعلونه .

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) سورة القصص : ٧٠

(٣) سورة فصلت : ٣٣

فالآية عامة فيمن دعا إلى الله وإلى طاعته وعبادته ، فيدخل فى عمومها المؤذِّنون الصلحاء ، كما ثبت فى صحيح مسلم عن النبى ﷺ أنه قال : « المؤذِّنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة » (١) .

فلهم خصوصية وصفة حسنة متميزة ، ودعا رسول الله ﷺ للأئمة بالرشاد لأنهم ضامنون ، ودعا للمؤذِّنين بالمغفرة لأنهم مؤتمنون (٢) .

وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اللَّهُمَّ اغفر للمؤذِّنين » - ثلاثاً ، قال : فقلت : يا رسول الله ؛ تركتنا ونحن نجتلد على الأذان بالسيوف ، فقال صلى الله عليه وسلم : « كلا يا عمر ؛ إنه سيأتى على الناس زمان يتركون الأذان على ضعفائهم ، وتلك لحوم حرَّمها الله عزَّ وجلَّ على النار : لحومُ المؤذِّنين » (٣) .

فاتقوا الله أيها المؤمنون . .

الواقع الآن فى كثير من المساجد كما أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم : ترك الأذان إما على الضعفاء وإما طاعن فى السن ، أو مُعوق عن السوق ، فهل من شاب قوى يرغب فيما عند الله يتولى الأذان فى تلك المساجد ، فله دعاء الرسول ﷺ بالمغفرة وتحريم لحمه على النار .

وصلُّوا على البشير النذير . . . .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٤) .

* * *

(١) صحيح مسلم : ١/ ٢٩٠ ، حديث (٣٨٧) .

(٢) نص الحديث : « الإمام ضامن والمؤذِّن مؤتمن ، اللَّهُمَّ ارشد الأئمة واغفر للمؤذِّنين » أخرجه أحمد : ٢/ ٢٣٢ ، وأبو داود (٥١٧) ، والترمذى (٢٠٧) وإسناده صحيح .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم كما فى تفسير ابن كثير : ١٦٨/٧ (سورة فصلت : ٣٣) ، والبيهقى فى شُعَب الإيمان كما فى كنز العمال : ٥٨/٢٣

(٤) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٤٢ - تحريم أكل الأموال بالباطل (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٢) ، خلق الخلق وقسم أرزاقهم وأخلاقهم ، ولن تموت نفس حتى تستكمل أجلها ورزقها .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك لهِ ، طَيِّبٌ لا يقبل إلا طَيِّباً .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . . ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ (٣) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد . .

فإن الدنيا حلوة خضرة ، مذاقها لذيذ ، ومنظرها جميل ، وعاقبتها مثل عاقبة الطعام الذى يأكله الإنسان ، تخادع أهلها وتمكر بهم : ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ (٤) .

فمَن أخذ منها بالحلال وأدَّى حق الله فيه ، أثابه الله عليه وأورده الجنَّة ،

---

(١) ألقيت يوم ١٤٠٢/٨/١٢ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) سورة النجم : ٣ - ٤

(٤) سورة آل عمران : ١٨٥ ، والحديد : ٢٠

ومَن اكتسب فيها مالاً من غير حِلِّه وأنفقه فى غير حقه أدخله الله دار الهوان ، ولا يدخل الجنة لحم نبت من حرام (١) .

وسيُسئل الإنسان يوم القيامة عن أربع : عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن علمه فيم عمل فيه ؟؟

فاتقوا الله أيها الناس . . أعِدُّوا لهذه الأسئلة أجوبة ، إن الطالب الذكى الفطنَ يراجع دروسه ويذاكر معلوماته ويتحرَّى الأسئلة ويُعد لها أجوبةً لكى ينجح فى الاختبار ، وإنكم أيها الناس مقبلون على اختبار وأيما اختبار ، ليس فيه غش ، ولا تدليس ، ولا محاباة ، ولا تثاقل ، إنما هو الحق وميزان العدل ، فتذاكروا معلوماتكم وراجعوا حساباتكم ، وتهيئوا للسؤال وأعِدُّوا له الجواب ، إن المعاصى - فيما بين العبد وربه - أخف منها فيما بينه وبين الناس ، فإن الله رؤوف رحيم غنى عن خلقه ، أما الناس ففيهم الشُّح - وخاصة يوم القيامة - أحوج ما يكون المرء إلى من يتحمل عنه بعض ذنوبه أو يعطيه من حسناته .

إن من أخطر شىء على الفرد والجماعة وكيان الأمة : أكل أموال الناس بالباطل بأى نوع كان ، وإن الرِّشوة من أخبث المكاسب وشرها على المصالح العامة والسلوك ، ترفع الأمانَةَ وتجعل مكانها الغش والخيانة ، وترفع الرحمة من القلب ، وتجعل مكانها الغلظة والقسوة . . الرِّشوة : مأخوذة من الرشا ، وهو الحبل الذى يُجذب به الدلو من البئر ، سميت بذلك لأن الرَّاشى يجذب برشوته الضمير الميت ، ويستميل بها الإحساس الجامد ، ويُغرى بها النفس الدنيئة الرذيلة ، ويسيطر بها على القلب المريض .

---

(١) معنى حديث أخرجه الحاكم : ١٢٧/٤ ، وفى إسناده ضعف .

فإذا شاعت الرِّشوة فى قوم ضاعت مصالحهم وحقوقهم ، وضاع الوَرِع التَّقىَ ، والمسكين الضعيف .

فكم من حق ضاع بسبب الرِّشوة ، وكم من إنسان أُهين بسبب الرِّشوة ، وكم من مصالح وفرص ضُيِّعت بسبب الرِّشوة والتطلع إليها . لذلك لعن رسول الله ﷺ الراشى والمرتشى ، كما لعن الرائش - وهو الذى يسعى بينهما بالرِّشوة .

روى الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده والترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه وغيره قال : قال رسول الله ﷺ : « لعن الله الراشى والمرتشى » (١) .

كما روى الإمام أحمد وغيره عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال : « لعن رسول الله ﷺ الراشى ، والمرتشى ، والرائش » (٢) .

واعلموا أن الهدية التى يأخذها الموظف مقابل عمل يقوم به ، أو مقابل مساعدة أو خدمة يأخذها من المراجعين أو من أرباب الأعمال ، كله رِّشوة مُحرَّمة ملعون آخذها .

المرتشى ملعون لأنه أخذ مالاً بغير حقه ، ولأنه فتح على المسلمين باب شر وفساد ، فهو آكل أموال الناس بالباطل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ (٣) .

وأما دافع الرِّشوة . . فهو ملعون لأنه أعان الظالم على ظلمه ، وساعد فى

---

(١) أخرجه أحمد : ٢/ ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، والترمذى (١٣٣٦) وهو صحيح .

(٢) قال المنذرى فى الترغيب والترهيب : رواه الإمام أحمد والبزار والطبرانى ، وفيه أبو الخطاب لا يُعرف .

(٣) سورة النساء : ٢٩

فتح باب الفساد على إخوانه المسلمين ، أما إذا كان الراشى دفع الرِّشوة رغم أنفه بأن تُحجز معاملته ، أو تُحجز أمواله وشيكاته فى الدرج ، ويقول له المسئول : إما أن تدفع كذا وإلا جمدتها ، فدفع ما طُلِبَ منه عن إكراه لإنقاذ حقه الشرعى ، فذلك - إن شاء الله - لا إثم عليه ، وإنما يتحمل الإثم الذى اضطره إلى دفع الرِّشوة !

وأما الساعى بالرِّشوة . . فإنه ملعون لأنه واسطة شر وخراب ، ولأنه يشجع على أكل أموال الناس بالباطل ويحث عليه ، فهو مثل حامل الخمر ، وكاتب الربا وشاهديه ، والجرار فى الزنا .

فاتقوا الله عباد الله . . أيرضى المسلم أن يَدْخُل تحت لعنة الله ولعنة رسوله ﷺ من أجل عَرَض من الدنيا ؟ ماذا يُجيب المرتشى إذا سُئِل عن ماله من أين اكتسبه ، والجواب علناً أمام الخلائق كلها ؟؟

اتق الله أيها الموظف . . إنَّ الدولة جعلتك لخدمة المواطنين وأصحاب الحاجات ، وأعطتك مرتباً من بيت المال مال المسلمين مقابل عملك ، فحرام عليك أن تأخذ من الناس شيئاً ، إنها خيانة ، ودناءة ، وذلة ، وعار فى الدنيا ونار فى الآخرة ، فاتقوا ربكم وراقبوه فى سِرِّكم وعلانيتكم .

اللَّهُمَّ أغننا بالحلال عن الحرام ، وارزقنا بالقناعة والعفة والنزاهة ، وقِنَا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، واحفظنا من جلساء السوء يا رب العالمين .

اللَّهُمَّ لا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ، ولا إلى النار مصيرنا ، ولا تُسَلِّط علينا بذنوبنا مَن لا يخافك ولا يرحمنا .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

* *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحلال بيِّن والحرام بيِّن

(الخطبة الثانية)

الحمد لله الواحد القهَّار ، العزيز الغفَّار .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، الرحيم الودود .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله المصطفى المختار .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمداً وعلى آله وأصحابه الطيبين الأخيار .

أما بعد . .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، وراقبوه مراقبة مَن يعلم أنه مُطَلِّعٌ على سِرِّه وعلانيته ، واعلموا أن الله طَيِّبٌ لا يقبل إلا طيباً ، وأنه أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ (١) ، وقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ (٢) ، (٣) .

« الحلال بيِّنٌ والحرام بيِّنٌ وبينهما أُمور مشتبهات ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ الدين وعِرضه ، ومَن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام ، كالراعى يرعى حول الحِمَى يوشك أن يرتع فيه » (٤) .

---

(١) سورة المؤمنون : ٥١

(٢) سورة البقرة : ١٧٢

(٣) حديث أخرجه مسلم فى صحيحه (١٠١٥) .

(٤) أخرجه الشيخان فى صحيحيهما : البخارى مع الفتح : ١/١٢٦ برقم (٥٢) من كتاب الإيمان ، ومسلم فى المساقاة ، وذلك من حديث النعمان بن بشير رضى الله عنه .

كيف يتجرأ الإنسان ويُغذى بدنه وأولاده وزوجه من كسب حرام ، وهو لا يُقْبَل له دعاء ولا صلاة ما دام فى جوفه حرام ، أو على جسده حرام ؟

كيف ينام آكل الحرام ، وهو يعرف أن دعوته مردودة ومآله إلى النار ؟

كيف يتجرأ المرتشى على أخذ أموال الناس بالباطل وهو يعرف أنه سيُحشر إلى ربه فيأتيه أهل المظالم يطالبونه بحقوقهم ؟

اتقوا الله أيها المسلمون .. الإنسان سيموت ويترك المال وراءه ، عليه حسابه وعذابه ونفعه لغيره .

حاسبوا أنفسكم ، وأطيعوا ربكم ، واتبعوا سُنَّة نبيكم .

وصَلُّوا على البشير النذير .....

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

* * *

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٤٣ - أسباب وجود المتناقضات (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٢) ، وهو القاهر فوق عباده ، وهو الحكيم الخبير .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهُدَى ودين الحق ، وأنزل عليه كتاباً من كلام الله فيه موعظة وشفاء لما فى الصدور ، وفيه شفاء ورحمة للمؤمنين فأضاء الطريق ، وعالج الأمراض ، وشرح الصدور .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فإن تصورَ الإنسان محدود ؛ وإدراكَه محصور ، فهو ينظر إلى الأشياء بحسب مفاهيمه وتصوراته ، فقد يرى شيئاً خيراً له فيُحبه وهو فى الواقع شرٌ له ، وقد يرى شيئاً شراً له فيكرهه بينما هو فى الحقيقة خيرٌ له : ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن

---

(١) ألقيت يوم ١٠/١/١٤٠١ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

﴿ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

والإنسان فى هذه الدنيا يسبح فى بحر الحياة بين أمواج الهواجس والأفكار والوساوس والظنون والأهواء والشهوات وأعاصير الأعراض ، فهو كمثل زورق فى بحر لجى يرفعه الموج ويخفضه ، وتُحرِّكه الرياح يميناً وشمالاً ، فلا بد له مَن يُوصِّله ويحدد اتجاهه ، ولا بد له من رُبان ماهر يعرف الممرات ، يسير به إلى اتجاه المرسى ، فإذا لم يكن كذلك ضَلَّ فى المتاهات وغرق .

والذى خلق الإنسان وخلق فيه أفكاره ووساوسه وغرائزه ، وخلق الأعراض التى تحيط به ، لم يغفُل عنه ولم يُهمله ، بل أعطاه عقلاً وبصيرة ، وأرسل إليه رسولاً وأنزل عليه نظاماً يوجهه فى مسيرته فى هذه الحياة ، ومدَّ له سبباً متصلاً بشاطئ النجاة وفيه عروة وثيقة لا تفصم .

فمَن اعتصم بحبل الله واستنار بنور الله وتمسَّك بكتاب الله استقام ونجا .

ومَن أفلت السبب وأغمض عينه عن النور وصَدَّ عن الصراط المستقيم ، تاه وهلك .

ومن هذا المثل نعرف أسباب المتناقضات فى هذا الزمن : كثُر العلم وانتشر الجهل ، وكثرت الأموال وزاد الفقر ، وتطور الطب وفشت الأمراض .

كثر العلم فى النظريات والصناعات والفلسفات ، ولكن كثر الجهل بواجب الإنسان ورسالته فى هذه الحياة ، فسار العلم بدون تقوى ، وعلى غير هُدًى ، فاستُغلَّت العلوم لغير ما خُلقَت له ، خُلِقَت لتكون دليلاً على قُدرة خالقها ووحدانيته ، ولتكون رابطةً بين الإنسان وخالقه ، ولكن العلم بعيدٌ عن هذا الآن إلا ما شاء الله ، خُلِقَت لتكون عَوْناً للإنسان على طاعة ربه ، فإذا هى

---

(١) سورة البقرة : ٢١٦

بالعكس ، استُعْمِلت للتخريب والتدمير والصدّ عن دين الله ، واستعباد الضعيف . والسبب فى ذلك فصل العلم عن الإيمان ، فإلى متى هذه الجهالة ؟

تطوَّر الاقتصاد وكثُرت الأموال فزادت النفوس شحاً وبخلاً ونهمةً فى جمع الأموال بالحلال والحرام ، بحق وبدون حق ، كشارب ماء البحر كلما زاد شرباً ازداد عطشاً .

فبعض الناس يُنفق مئات الألوف فى رحلة سياحية ، ولكنه لا يواسى فقيراً ولا يعطف على يتيم ؛ والسبب فى ذلك الجهل بنظام الإسلام ، والجهل بالحُسْنَى .

تطور طِبُّ الأبدان ، ولكن كثرت أمراضُ الأرواح ، الشكوك والشبهات ، والإلحاد والزندقة ، ودعاة الكفر والضلال ، فلا بد من معالجتها بعلاجها النافع ، بعلاج القرآن ، ولا بد من إجراء عمليات جراحية للأمراض ، كما تُجرى عمليات الأجسام .

إنَّ الذى خلق الأبدان وخلق لها جراثيم وأمراضاً وخلق لها أدوية وعلاجات ، هو الذى خلق الأرواح وخلق لها أمراضاً وجراثيم ، وأنزل لها دواءً شافياً . . الأرواح هى الأساس ، والأبدانُ مسخَّرةٌ لها تركبها ، والروح هى السيد والبدن خادم لها ، فكيف تُعالَج المطية ويتركُ الراكب مريضاً ؟ وكيف يُعالَج الخادم ويُترك السيد ؟ ليس هذا من العدل .

الواجب تنظيم طرق السلامة من الأمراض الروحانية كما نُظِّمَت مستشفيات الأمراض البدنية .

اتقوا الله يا أُمَّة الإسلام : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ

﴿ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ (١) ، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (٢) .

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

أقول قولى هذا ، وأستغفر لى ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

* *

(١) سورة آل عمران : ١١٠

(٢) سورة البقرة : ١٤٣

بسم الله الرحمن الرحيم

تجب معاشرة الزوجة بالمعروف

(الخطبة الثانية)

الحمد لله . . اللَّهُمَّ لا نُحصى ثناءً عليك أنت كما أثنيتَ على نفسك (١)

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان وسَلَّم تسليماً كثيراً .

أما بعد . .

فاتقوا الله : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ (٢) .

أيها المسلمون ؛ استوصوا بالنساء خيراً ، فإنهن أمانات عندكم ، أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله (٣) ، لهن عليكم كسوتهن ومعاشرتهن بالمعروف والرفق بهن ، ولكم عليهن السمع والطاعة فى غير معصية الله ، ولا يوطئن فُرُشكم مَن تكرهون (٤) ، وألا يخرجن من بيوتكم متبرجات بزينة .

لقد شكى بعض النساء أزواجهن من سوء العِشْرة وشدة الجفوة ، وليس

---

(١) إشارة إلى حديث عائشة رضى الله عنه بهذا اللفظ : مسلم فى الصحيح : ١/ ٣٥٢ ، حديث رقم (٢٢٢) فى الصلاة .

(٢) سورة النساء : ١٣١

(٣) إشارة إلى خطبة النبى ﷺ يوم عَرَفة : مسلم فى الصحيح ، حديث رقم (١٤٧) من حديث جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنه .

(٤) هو نفس هذا الحديث (١٤٧) : مسلم .

من خُلُق الكرام أن يُسيء معاشرة زوجه وهى لباس له ، ليس من خُلُق الإسلام أن يضاجعها فى الليل ويُسيئ إليها فى النهار [١] .

وبعض النساء يذكرن عن أزواجهن انحرافاً فى الأخلاق وتعاطى بعض المسكرات ، وطلب الجِماع فيما حرَّم الله منها ، وهذا حرام كله ، وإنما جاءت بنت الناس إلى بيت زوجها وتركت والديها وبيتها الذى نشأت فيه ، إلا لتجد مملكة مستقلة ، تسود فيها وتسعدُ بالراحة والحياة الزوجية الهنية .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، وراقبوا ربكم فإنه يراكم ، ﴿ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [٢] .

وصلُّوا على البشير النذير .....

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [٣] .

* * *

(١) إشارة إلى الآية ١٨٧ من سورة البقرة .

(٢) سورة التغابن : ٤

(٣) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٤٤ - تحريم لُبْس الذهب والفضَّة على الرجال [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٢] .. ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ [٣] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، أرسل رسوله بالهُدَى ودين الحق .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، بلَّغ الرسالة ، وأدَّى الأمانة ، ونصح للأُمَّة ، وجاهد فى الله حق جهاده .

صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن اتبع سبيله .

أما بعد . .

فإن الإنسان بطبيعته التى خُلِق عليها يميل إلى سبع من الشهوات ، حُبِّبت إليه وله فيها منافع ومصالح ، وعليه منها مضار وأخطار ، وهى المذكورة فى قوله تبارك وتعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ [٤] .

---

(١) ألقيت يوم ٢٢/ ١٠/ ١٣٩٩ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) سورة سبأ : ١

(٤) سورة آل عمران : ١٤

ولما كانت هذه الشهوات فيها متاعٌ للناس فى هذه الحياة ، ولهم فيها منافع ، وفيها أخطار لمن أساء الاستمتاع بها ، من أجل ذلك جعل الخالق تبارك وتعالى لكل جنس من هذه الشهوات نظاماً أنزله على رسوله محمد ﷺ ليحصل الانتفاع بها بدون ضرر .

فالمسلم ينتفع بهذه المحببات فى إطار النظام الإسلامى ، ويجعلها وسيلة إلى غاية أشرف منها وأنفع له ، فيستعين بها على طاعة الله وعبادته ، ويستعد بها للقاء ربه ويستعين بها على تقوى الله ، وقد أشارت الآية الكريمة إلى هذا المعنى : ﴿ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ (١)

فلا يجوز للمسلم أن يخرج عن نظام إسلامه ، إلا أنه قد تحصل منه غفلة ينتهزها عدوه ، من شياطين الجن والإنس ، فيخرج به عن سبيل الله إلى السُّبلِ المتفرقة ويُزَين له ما حرَّم الله ويُحَرِّم عليه ما أحلَّ الله ، والعادة والتقليد لما يفعله الناس بدون بصيرة من الغفلة التى ينتهزها الأعداء .

ولكن المؤمن إذا كان الإيمان متمكناً من قلبه ، فلا بد أن تَنْجلى ظلمة الغفلة فيستضئ بنور اليقظة والهداية إذا ما سمع موعظة من كتاب الله تبارك وتعالى أو من سُنَّة رسوله ﷺ : ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ (٢) ، ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (٣) .

---

(١) سورة آل عمران : ١٤ - ١٥

(٢) سورة الأعلى : ٩ - ١٣

(٣) سورة الذاريات : ٥٥

وإننى أُلفت أنظار إخوانى فى الإسلام إلى أن بعض الناس قد حصلت منه غفلة بسبب المجاراة والاتباع بغير بصيرة ، فخرجوا عن نظام الإسلام فى استعمال الذهب ، فقد لبسه بعض الرجال ، والذهب مُحَرَّم على ذكور هذه الأُمَّة (١) ، وأسرفت بعض النساء فى التنافس فى كثرة الحلى حتى وصل إلى حد الإسراف والخيلاء .

وهناك من المسلمين مَن اتبع سَنَن المشركين فاتخذوا أوان من الذهب والفضَّة يأكلون ويشربون فيها (٢) ، ويُقال : إن بعض الناس جعل فى بيته بزابيز (أى صنابير للمياه) من ذهب .

وهذا من سَنَن اليهود الذين لا إسلام لهم ولا يسيرون على نظام سماوى ، وذلك مصداق قول النبى ﷺ : « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذوا القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » (٣) .

فالحلى من الذهب والفضَّة مُحَرَّم على ذكور أُمَّة محمد ﷺ سواء أكان قليلاً أو كثيراً لحديث ابن عباس رضى الله عنهما عن الإمام مسلم رحمه الله : أن رسول الله ﷺ رأى خاتماً من ذهب فى يد رجل فنزعه وطرحه وقال : « يَعْمد أحدكم إلى جمرة من نار فيطرحها فى يده » ، فقيل للرجل بعد

---

(١) إشارة إلى حديث حذيفة بن اليمان رضى الله عنه : البخارى برقم (٥٨٣٠) اللِّباس ، باب (٢٥) ، ومسلم فى الصحيح فى اللِّباس والزينة برقم (٤) خاص وعام (٢٠٦٧) من هذا الوجه واللَّفظ .

(٢) هو نفس هذا الحديث عند البخارى فى اللِّباس برقم (٥٨٣٠) ، ومسلم فى الصحيح فى اللِّباس برقم (٤) خاص وعام (٢٠٦٧) من حديث حذيفة رضى الله عنه ، وفيه : « لا تشربوا فى إناء الذهب » .

(٣) البخارى مع الفتح : ١٣/٢٥٥ فى الاعتصام ، من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، ومسلم فى الصحيح فى العلم برقم (٢٦٦٩) باب : اتباع سنن اليهود والنصارى .

ما ذهب رسول الله ﷺ : خذ خاتمك فانتفع به ، فقال : لا واللهِ لا آخذه ، وقد طرحه رسول الله ﷺ (١) .

وعند الإمام أحمد برُواة ثقات عن أبى أمامة رضى الله عنه أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس حريراً ولا ذهباً » (٢) .

وفى حديث عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « مَن مات من أُمَّتى وهو يشرب الخمر حَرَّم الله عليه شربه فى الجنة (٣) ، ومَن مات من أُمَّتى وهو يتحلى بالذهب حرَّم الله عليه لباسه فى الجنَّة » (٤) ، وأبيح الحلى للنساء بدليل آخر .

أما أوانى الذهب والفضَّة فالشربُ فيها والأكل فيها مُحَرَّم على الذكور وعلى الإناث من أُمَّة محمدٍ ﷺ لقوله صلى الله عليه وسلم : « لا تشربوا فى آنية الذهب والفضَّة ولا تأكلوا فى صحافها فإنها لهم فى الدنيا ولكم فى الآخرة » (٥) ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « الذى يشرب فى إناء الذهب والفضة إنما يجرجر فى بطنه نار جهنم » (٦) .

---

(١) أخرجه مسلم فى الصحيح ، كتاب اللِّباس والزينة ، حديث رقم (٥٢) خاص وعام (٢٠٩٠) من حديث عبد الله بن عباس رضى الله عنهما .

(٢) أحمد فى المسند : ٥/ ٢٦١ بهذا اللفظ وإسناده صحيح ، وهو من حديث أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه .

(٣) هذا لفظ الإمام أحمد فى المسند : ٢/ ٢٠٩ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما وإسناده صحيح .

(٤) هو نفس هذا الحديث : أحمد فى المسند : ٢/ ٢٠٩

(٥) أخرجه البخارى فى الصحيح ، اللِّباس برقم (٥٨٣٠) ، ومسلم فى الصحيح ، اللباس برقم (٤) خاص وعام (٢٠٦٧) من حديث حذيفة بن اليمان رضى الله عنه .

(٦) إشارة إلى حديث أم سلمة رضى الله عنها : البخارى برقم (٥٦٣٤) : الأشربة ، باب (٢٨) ، ونحوه : مسلم فى الصحيح : اللِّباس ، حديث رقم (٢١) خاص من هذا الوجه واللَّفظ .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، واعلموا أن دين الإسلام يريد من الرجل أن يكون رجلاً بالمعنى الكامل ، لا يرضى له الميوعة ولا الانحطاط ، ولا التشبه بالنساء ، ولا الركون إلى الذلَّة والمسكنة ، وإنما يريده أن يكون رجلاً مسلماً حقاً ، قوى الشكيمة قوى الإرادة ، يتحمل المشاق ويصمد أمام الزعازع ليكون مسلماً مجاهداً فى سبيل الله .

اللَّهُمَّ ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝٧ ﴾ (١) .

اللَّهُمَّ اغفر لنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

(١) سورة الفاتحة : ٦ - ٧

بسم الله الرحمن الرحيم

خواتم الذهب والفضة محرمة على ذكور أمة محمد ﷺ

(الخطبة الثانية)

الحمد لله الهادى إلى سبيل الرشاد . . ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، منه المبدأ وإليه المعاد .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الشفيعُ يوم التناد .

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد . .

فقد علمنا أن حلى الذهب والفضَّة محرَّم على الذكور من المسلمين ، فلا يجوز لرجل أن يلبس خاتم ذهب ولا دُبلة ذهب فإنها جمرة من نار يضعها فى يده ، ولكن استثنى النبى ﷺ الخاتم من الفضَّة للحاجة إليه ، فقد اتخذ صلى الله عليه وسلم خاتماً من فضَّة كتب عليه اسمه ، فإذا كان الرجل فى حاجة إلى خاتمٍ يلبسه فى يده فليتخذه من غير الذهب بل من الفضَّة والبلاتين ، فالبلاتين لا يشمله التحريم .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، وتعلَّموا شرائع دينكم وتعرَّفوا على الحلال فاتبعوه ، وتعرَّفوا على الحرام واجتنبوه ، وصَلُّوا على البشير النذير ، فقد أمرنا الله بذلك فى كتابه المنير ، فقال عَزَّ من قائل عليماً : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (٢) .

---

(١) سورة الإسراء : ٩٧

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم وبَارِك على عبدك ورسولك نبينا محمد صاحب المقام المحمود والحوض المورود [١] .

وارض اللَّهُمَّ عن الخلفاء الراشدين : أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلىّ ، وعن بقية الصحابة أجمعين ، وزوجات النبى أُمهات المؤمنين ، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وارض اللَّهُمَّ عنا معهم بمَنِّك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلام والمسلمين ، وأذلَّ الشِّرك والمشركين ، ودَمِّر أعداء الدين ، واحم حَوْزة الإسلام يا رب العالمين .

اللَّهُمَّ آمنا فى أوطاننا ، واحفظ إمامنا وولاة أُمورنا ، ووفقهم لما فيه الخير والصلاح ، ولما فيه السعادة والنجاح ، وارزقهم بطانة صالحة مؤمنة عارفة بالحق وحدوده ، تُعينهم على الخير وتدلهم على سُبل الصلاح والتقوى .

اللَّهُمَّ أصلح شأن المسلمين ، وأصلح قادتهم وولاة أُمورهم ، وأخرجهم من الظلمات إلى النور ، يا عالم ما فى الصدور . . . . . .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [٢]

* * *

(١) إشارة إلى الآية ٧٩ من سورة الإسراء .

(٢) سورة النحل : ٩٠

بسم الله الرحمن الرحيم

٤٥ - جواز الانتفاع بصناعات الأعداء غير المحرَّمة [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٢] . . ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [٣] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، ولا ند له ولا نظير ، ولا وزير له ولا ظهير : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ [٤] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله البشير النذير والسراج المنير [٥] .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فإنَّ وظيفة الإنسان فى هذه الحياة أمران :

الأول : الإيمان بالله إيماناً يقتضى اتباع منهج الله فى كل التصورات وفى كل مرافق الحياة .

---

(١) ألقيت يوم ١٧/١/١٤١٠ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) سورة الصف : ٩

(٤) سورة الأنعام : ١٨

(٥) إشارة إلى الآيتين ٤٥ ، ٤٦ من سورة الأحزاب .

الثانى : الرعاية والحماية للدين والدم والعِرض والمال .

فأما الأول فإنما يُستمَد من الله وحده ، من وحيه ورسالاته ، ولا نَنْسَى العدو المبين إبليس وحزبَه وجنودَه من بنى الإنسان ، فما يَحْرص أعداءُ الإسلام على شىء حرصهم على إضلال هذه الأُمَّة عن عقيدتها ، فهذه العقيدة هى صخرة النجاة لكل مسلم ، وهى خط الدفاع ومصدرُ القوة للمسلمين .

وأعداء هذا الدين يعرفون ذلك جيداً أكثر مما يعرفه بعض المسلمين فى الوقت الحاضر ، يعرفونه قديماً ويعرفونه حديثاً ، ويبذلون فى سبيل تحويل هذه الأُمَّة عن عقيدتها كلَّ ما فى وسعهم من مكر وحِيلة وتشكيك ، وبما يملكون من قوة وعُدة ، يتصيَّدون كُلَّ حُجَّة وكُلَّ شبهة لينفذوا منها إلى قلوب المؤمنين لصرفهم عن خالقهم وصدهم عن عقيدتهم ، وبلبلةِ الأفكار وإشاعة الاضطراب فى العقول .

وحين يَعْجز أعداءُ الإسلام عن محارية هذه العقيدة بالقوة يدسون لها ماكرين ، وحين يُعييهم محاربتها بأنفسهم وحدهم ، يجدون من المنافقين أعواناً وأنصاراً يمتطونهم لتنفيذ أغراضهم ، فيتخذون منهم جنوداً ينخرون فى أصل العقيدة من داخل الدار وفى وسط الأُمَّة لصد المسلمين عن صراط الله ، ولصرفهم عن منهج الله ، فيزيفوا لهم مناهج غير سبيل المؤمنين ، وأوضاعاً غير أوضاع المتقين ، وعبادات غير عبادات السابقين الأوَّلين ، وحين يجد أعداءُ الإسلام من بعض المسلمين طواعية يستغلونها فى سبيل غايتهم ، ويقودون مَن يُصْغى إليهم إلى الكفر والضلال : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ (١) .

لقد أُنزل هذا القرآن ليُنْشئ أُمَّةً مسلمةً تشق طريقها فى هذه الحياة على

---

(١) سورة البقرة : ١٠٩

منهج الله وحده ، متميزةَ بارزة ، لتؤدى دوراً خاصاً لا ينهض به غيرها ، ولقد شاء الله لأُمَّة محمد ﷺ أن تقرر منهج الله فى أرض الله ، وأن تحققه فى صورة عملٍ وتطبيق ، فترجمت نصوص الكتاب والسُّنَّة إلى حركة وأعمالٍ ومشاعَر وأخلاقٍ وأوضاعٍ وسلوكٍ وارتباطات ودولة .

والأُمَّة المسلمة لا يتحقق وجودها ولا تَبْرز قيمتها ولا تستقيم فى حياتها إلا إذا تَلَقَّت من الله وحده ، فهذا كتاب الله غضٌ طرى كأنما أُنزل اليوم ، وهذه سُنَّة رسول الله ﷺ ناصع بياضها كأنما اليومَ نطق بها رسول الله ﷺ .

أما حين يميل أحدُ المسلمين إلى شىء من دسائس أعدائه يعنى ذلك اعترافه بالهزيمة وانقياده لهم .

إنَّ طاعةَ أهل الكفر والأهواء فيما يُخالف كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ يَعنى ذلك الشكَ فى كتاب الله وسُنَّة رسوله عليه الصلاة والسلام وفى تمامهما وكمالهما ، والله تعالى يقول : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (١) .

كما أن طاعة أهل الكفر فى شىء يخالف أُصول دين الإسلام يعنى ذلك الرضا بعقيدتهم والرغبةَ فى منهجهم واختيارَه على منهج الله ومنهج رسوله صلى الله عليه وسلم ، وذلك كفر بواح : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾ (٢) .

وما هى حال المسلم حين يرى نفسه منتكساً إلى الكفر بعد الإيمان وإلى الخسارة بعد الربح والفوز ؟ كيف يرى حاله حينما يرجع إلى النار بعد نجاته

---

(١) سورة المائدة : ٣

(٢) سورة البقرة : ١٢٠

منها ؟ كيف يرى حاله إذا انضم إلى حزب الشيطان بعد أن كان من حزب الرحمن ؟ فياله من مُنكَر كُفُر المؤمن بعد إيمانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ (١) .

أما الأمر الثانى : فمع أنه لا يستقيم إلا بالأول فلا بأس بالانتفاع بشىء من جهود البَشر من العلوم البحتة علماً وتطبيقاً وإنتاجاً مع ربطها بالمنهج الإسلامى من ناحية الشعور بها وكونها من تسخير الله للإنسان ، ومن ناحية توجيهها إلى نفع البَشر وتوفير الرعاية والحماية والأمن لهم ، ومع شكر الله على نعمة المعرفة ونعمة التسخير .

لقد أحْرَز البَشر انتصارات شتَّى فى تسخير ما سخَّر الله من مخلوقاته ، وحققوا فى مجال الطب والصناعة ما يشبه الخوارق بالنسبة للماضى ، وما يزال الناس فى طريق التقدم والتطور ، ولكن لما فقد أولئك المتقدمون الإيمان بالله وبخاتمة الرسالات لم يتقدموا فى تصورهم لهذا الوجود وغايته ، ولا فى معرفة الهدف الذى من أجله خُلِقَ الإنسان ، ولم يتقدموا فى إدراك ما بعد هذه الحياة ، ولا فى معرفة خالق تلك الأشياء التى سُخِّرت لهم ، ولا فى حكمته فى إعطائها صفاتها ، ولم يتأملوا حركات هذا الوجود حياةً وموتاً ، ومرضاً وصحةً ، وفقراً وغنىً ، وعزاً وذلاً ، وتقدماً وتأخراً ، وشباباً وهرماً ، فلم يربطوا الموجودات بموجدها ، ولا الحركات بمحَرِّكها ، فأدَّى بهم الأمر إلى الحيرة والضياع ، ثم إلى القلق والخوف والشقاء والأمراض العصبية والنفسية ، والشذوذ الجنسى ، والجريمة على أوسع نطاق ، لأنهم فقدوا النور الذى يُنير لهم الطريق ، فتاهوا عن المنهج الذى يربط بين حركتهم وحركة

---

(١) سورة المائدة : ٥٤

الكون ويربط بينهم وبين خالقهم . لقد أبعدتهم المُلابسات النكدة ، والعلم الذى عُزل عن المعلم فقادوا العالَم إلى متاهات الضلال والكفر والزندقة ، وصار الخُواءُ يأكل قلوبهم المكدودة ، والحيرة تهدد أرواحهم المُتعَبة .

ولا يكشف الغُمَّة التى تاهت فيها تلك الأُمَّة إلا الإيمانُ بالذى خلق الكون وخلق الإنسان وعلَّمه وخلق العلوم ، وبالإيمان تحصل الهداية إلى طريق النجاة .

ولا ينجو المسلم من مصائد أعدائه إلا بأمرين ، الأول : تقوى الله والتوكل عليه والالتجاءُ إليه ، وأداءُ ما أمر به واجتناب ما عنه نهى وزجر .

والثانى : الاعتصام بحبل الله الذى يربط المسلَم بالمسلم ، أُخوةً وتراحماً وتعاطفاً وتعاوناً ، ويجعلهم كالجسد الواحد ، يتفاعل ويتجاوب فرحاً وآلاماً .

إنَّ الاعتصام بحبل الله هو الذى جعل من القبائل المتناحرة : أُمَّةً متعاطفة ذاتَ إيثار وقوة .

وهو الذى جعل من العرب المتفرقين فى زاوية من الأرض دولةً لها مميزاتٌ وجَّهت العالَم وجهة الخير والعدالة .

فإذا لم يقم العرب بالواجب الذى نزل بلغتهم ، فما الذى يُقدِّمونه للعالَم إذاً ، لقد سبقهم الناس بعبقريات وصناعات وعلوم ، وإنما العالَم فى حاجة إلى مَن يهديهم الطريق المستقيم ، ويُخرجهم من الظلمات إلى النور ، وإلى مَن ينقذهم من الحيرة والضياع ، فى حاجة إلى مَن يُعرِّفهم من أين جاؤوا وإلى أين هم ذاهبون ، وإلى مَن يأخذ على يد الظالم والسفيه ، فاتقوا الله أيها المسلمون .

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١) .

---

(١) سورة النحل : ٤٤

اللَّهُمَّ لك الحمد على نعمة الهداية فلا يعادلها شيء مما فى هذه الدنيا ولو أعجب الناس وأدهشهم : ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ﴾ (١) ، ﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ (٢) .

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم ..... إلى آخر الدعاء .

* *

(١) سورة المائدة : ١٠٠

(٢) سورة الحشر : ٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

أسباب السعادة

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وخِيرَته من خلقه .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه ودعا بدعوته .

أما بعد . .

فإنَّ الله تعالى خلق الإنسان من صلصال كالفخار (٢) ، ثم سوَّاه ونفخ فيه من روحه وجعل له السمع والبصر والفؤاد (٣) ، فصار عنده استعدادٌ لتمييز المتضادات ، وقوةٌ مدركة داعيةٌ توجهه لاختيار الأفضل النافع وترك الضار .

فمَن استعمل هذه المميزات فى تطهير نفسه وتوجيهها إلى طريق الهُدَى فاز ورَشُد ، ومَن أهملها وأخفاها ضَلَّ وخاب وخسر .

ومن رحمة الله بالإنسان لم يتركه لاستعدادته الذاتية ، بل أعانه بالرسالات السماوية التى تضع له الموازين الثابتة ، وتكشف له عن موجبات الإيمان ودلائل الهُدَى فى نفسه وفى الآفاق من حوله ، وتجلو عنه غواش الهوى ،

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) إشارة إلى الآية ١٤ من سورة الرحمن .

(٣) إشارة إلى الآية ٩ من سورة السجدة .

وتلبيسات الأعداء ، فيرى الحق فى صورته الحقيقية ، ويتضح له طريق السعادة لا غبش عليه .

وحينما أعطى الخالق تعالى هذا الإنسان أهلية الاختيار (فى حدود إرادة الله ومشيئته) ، فقد رفعه وكرَّمه وفضَّله ووضعه فى درجة تليق بالمخلوق الذى خلقه بيده وحَمَّله أمانته .

فيجب على الإنسان أن يشكر خالقه على هذا التكريم وهذا التفضيل ، والشكر نعمة من الله على عبده .

ويجب على الإنسان أن يوقظ مشاعر الإيمان والتقوى فى نفسه ، وأن يُحَرِّك تلك الطاقات التى امتاز بها ، فلا يخدعه هواه ، ولا تغره دعايات الأعداء ولا إرجافات المفسدين ، يجب عليه أن يكون دائماً على صلة بربه فى عُسْره ويُسْره ، وفى كربه وفَرَجَه ، وأن يحس بأنه فى حاجة إلى توجيهات خالقه ورعايته .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، وصَلُّوا على البشير النذير .....

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

* * *

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٤٦ - أكل الرِّشوة حرام [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض [٢] ، وهو الحكيم الخبير .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسَلَّم تسليماً كثيراً .

أما بعد . .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [٣] .

عباد الله ؛ إنَّ لكل أُمَّة حقوقاً ومصالح لا بد من حفظها والمحافظة عليها ، ولها أعمالٌ ومتطلباتٌ لا بد من القيام بها وتحقيقها ، فمَن هو المسئول عن ذلك ؟

المسئول هم أهل القُدْرة والكفاءة والأمانة من أبنائها ، فالمجتمع يتكوَّن من أفراده ، وتحقيق المصالح ودرء المفاسد يحصل بالتعاون والتكاتف ، فلو تخلَّى أهل المقدرة والأمانة عن أعمالهم لاستولى عليها أهل الجهل والخيانة من

---

(١) ألقيت يوم ١٧/٨/١٣٦٦ هـ .

(٢) إشارة إلى الآية ٢٥٥ من سورة البقرة .

(٣) سورة التوبة : ١١٩

غيرهم ، فينبغى من كل فرد أن يحس بمسئوليته ، وأن يقوم بما يجب عليه لدينه وأُمَّته .

ويجب على مَن تولَّى عملاً من أعمال المسلمين أن يكون هدفه الإصلاح والمحافظة على المصالح العامة ، والحقوق الخاصة المشروعة ، ومساعدة أرباب الحاجات وتيسير أُمورهم وإنجاز أعمالهم ، فإذا كان كذلك كان الله معه يُوفقه ويُسدده ويُعيّنه ، كما أخبر عن ذلك الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم حيث قال : « والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه » (١) .

ويحرم الغش والخداع والأوعاد الكاذبة وتعطيل أعمال الناس ، فإن ذلك إثم وخطيئة وتعريضٌ للنفس للعقوبة العاجلة . روى عن النبى ﷺ أنه قال : « اللَّهُمَّ مَن وَلِىَ من أمر أُمَّتى شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه ، ومَن ولى من أمر أُمَّتى شيئاً فرفق بهم فارفق به » (٢) ، « لا يؤمن أحدكم حتى يُحب لأخيه ما يُحب لنفسه » (٣) .

ولا بد لمن ولى شيئاً من أُمور الناس أن يناله شىء من الأذى والتعب ، وعلاجُ ذلك هو الصبر والتحمل والعفو والصفح واحتساب الأجر على الله تبارك وتعالى : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ (٤) ، ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٥) ، ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٦) .

---

(١) صحيح مسلم من حديث أبى هريرة .

(٢) صحيح مسلم (١٨٢٨) من حديث عائشة ، وشرح مسلم : ١٢/ ٢٣

(٣) صحيح البخارى ، كتاب الإيمان ، باب : من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب (١٧) .

(٤) سورة الأعراف : ١٩٩

(٥) سورة الزمر : ١٠

(٦) سورة التوبة : ١٠٥

وينبغى للمسئول سواء أكان صغيراً أو كبيراً أن يتصف بالعفة والنزاهة ، فلا يتطلعُ إلى شىء مما فى أيدى الناس ، وأن يستغنى بالحلال وإن قَلَّ عن الحرام وإن كثر ، فإن تطلعَ المسئول إلى ما فى أيدى الناس بدون حق يَشُل حركة العمل ويَحْمِل على الحيف والإهمال وإضاعة الحقوق ، من أجل ذلك حرَّم الإسلام الرِّشوة ، ولعن آخذها ومعطيها والساعى فيها ، فكل ما يأخذه الموظف من الناس أو من أموال المسلمين العامة بدون إذن ولى الأمر ، اعتبره الإسلام غلولاً محرَّماً ، يحمله صاحبه يوم القيامة عاراً ونارا ، سواء أخذه باسم المكافأة ، أو باسم السعى ، أو باسم الهدية ، لما ورد فى الصحيحين عن عبد الرحمن بن سعد الساعدى رضى الله عنه قال : استعمل النبى ﷺ رجلاً على الصدقة ، فلما قدم قال : هذا لكم وهذا أُهدى إلىَّ ، فقام صلى الله عليه وسلم على المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد ، فإنى أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولانى الله ، فيأتى فيقول : هذا لكم وهذا أُهدى إلىَّ ، أفلا جلس فى بيت أبيه أو أُمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقاً ، والله لا يأخذُ أحدكم شيئاً بغير حقه إلا لقى الله تعالى يحمله يوم القيامة ، فلا أعرفنّ أحداً منكم لقى الله يحملُ بعيراً له رغاءٌ ، أو بقرةً لها خوارٌ ، أو شاةً تيعر » ، ثم رفع يديه حتى رؤى بياض أبطيه فقال : « اللَّهُمَّ هل بَلَّغت ... » ؟ (١) .

تأملوا اهتمام النبى ﷺ بما فعله عامله على الصَدَقة وإنكاره ذلك الإنكار الشديد ، وإشهارَه أمام الناس ، وتحذيرَهم من سوء عاقبته ، مما يدل على أن أخذ الموظف هدية من أجل عمله منكر عظيم وإثم كبير ، وخطر على المجتمع والمصالح العامة ، فإذا كان هذا حال مَن يأخذ هدية ، فما هى حال رجال يتخوضون فى مال الله بدون حق ؟ يتحيلون على أخذ الأموال بالباطل

---

(١) صحيح البخارى مع الفتح : ١٣/ ١٨٩ ، ومسلم (١٨٣٢) من حديث أبى حميد الساعدى .

بجميع أنواع الحيل : كذب وغش واختلاس وخداع وخفر أمانة ، أُولئك أخشى عليهم أن يدخلوا تحت قول النبى ﷺ : « إن رجالاً يتخوضون فى مال الله بدون حق فلهم النار يوم القيامة » (١) .

إن أخذ شىء من الأموال العامة للمسلمين بدون حق ، سواء أكانت من الغنائم التى لم تقسم ، أو من الأموال المعدَّة للمصالح العامة ، أو من أموال الزكاة المخصَّصة للفقراء والمساكين ، كل ذلك غلول مُحَرَّم يحمله صاحبه يوم القيامة قليلاً كان أو كثيراً ، وزماماً فى عنقه يجره إلى النار : ﴿ وما كان لنبى أن يَغُل ، ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ، ثم تُوفَّى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴾ (٢) .

وفى الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : كان على ثِقل النبى ﷺ رجل فمات ، فقال رسول الله ﷺ : « هو فى النار » فذهبوا ينظرون إليه فوجدوا عباءة قد غَلَّها (٣) ، وامتنع - صلى الله عليه وسلم - من الصلاة على رجل قد غَلَّ يوم خيبر ، وقال : « إن صاحبكم قد غَلَّ فى سبيل الله » ، ففتشوا متاعه فوجدوا فيه خرزاً من خرز اليهود ما يساوى درهمين (٤) ، فما بالكم بالذين يخفرون ذممهم ويخونون أماناتهم ويضيعون المصالح العامة والحقوق المشروعة من أجل مصالحهم الخاصة ، ويل لهم من سخط الله إن لم يتوبوا ، وويل لهم من سطوة الجبَّار إن لم يُنيبوا .

فاتقوا الله عباد الله ، اتقوا الله أيها الناس . . إن المال الحرام لا خير فيه

---

(١) صحيح البخارى : ٤/١٠٣ - ١٠٤ ، طبعة دار ومطابع الشعب .

(٢) سورة آل عمران : ١٦١

(٣) صحيح البخارى : ٤/٩١ ، ومسلم .

(٤) أخرجه أبو داود (٢٧١٠) ، والنسائى : ٤/٦٤ ، وابن ماجه (٢٨٤٨) .

ولا بركة ، ولا سعادة فيه ولا سرور ، كيف يُسَر جسد غُذِى بالحرام والنار أولى به ؟

أم كيف تطمئن نفس عاشت فى الحرام وهى فى معزل عن ربها تبارك وتعالى ؟ فإن تصدَّق لم تُقبل صدقته لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً (١) ، وإن صَلَّى وفى جوفه حرام لم تُقبل صلاته حتى يتوب ، وإن دَعَى لم يُستجب له ، وإن حج لم يُقبل حَجَّه : ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ (٢) وإن خلَّفه من بعده التهبَ عليه ناراً ، وإن تركه لورثته تعلقوا به يحمل أوزارهم كاملة يوم القيامة .

اتق الله أيها المسلم .. كن مسلماً حقاً ، فى سلوكك ومعاملاتك وأخلاقك ، سر على نهج الإسلام ولو كنت غريباً ، طُوبَى للغرباء ، أطب مكسبك وحاسب نفسك وأحسن التصرف فى مال الله الذى ولاك عليه ، « اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئةَ الحسنةَ تمحها ، وخَالِق الناس بخُلُق حسن » (٣) .

اللَّهُمَّ إنا نسألك خشيتك فى الغيب والشهادة ، اللَّهُمَّ اكفنا بحلالك عن حرامك وبفضلك عن من سواك (٤) .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

* *

---

(١) حديث : « إن الله طيب .... » أخرجه مسلم (١٠١٥) .

(٢) سورة المائدة : ٢٧

(٣) الترمذى (١٩٨٧) ، وأحمد : ٥/ ١٥٣ ، والحاكم : ١/ ٥٤ ، وسنده حسن .

(٤) الترمذى (٣٥٥٨) وهو حسن .

بسم الله الرحمن الرحيم

الدنيا حُلوة خضرة

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١) . . والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين (٢) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فأُوصيكم وإياى بتقوى الله تعالى ، واعلموا أن : « الدنيا حلوة خضرة » (٣) ، ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾ (٤) ، ولكنها لا تستقيم على حال ، فما أضحكت إلا وأبكت ، ولا أعطت إلا ومنعت ، فلا يغتر بخضرتها وروائها إلا مغرور ، وهى ضرَّة للآخرة دار البقاء والوفاء والدوام ، فالعاقل يعطى دنياه حقها كمتاع لآخرته ، ويعطى آخرته حقها كدار مقام ومستقر له : ﴿ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ (٥) ، ﴿ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٦) .

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) إشارة إلى الآية ١٩٣ من سورة البقرة .

(٣) صحيح مسلم (٢٧٤٢) .

(٤) سورة آل عمران : ١٤

(٥) سورة الضحى : ٤

(٦) سورة الأنعام : ٣٢

وإن المال من زينة الحياة الدنيا وشهواتها حُبِّبَ إلى النفوس ، وبه قوام الحياة ، وفيه زهرة الدنيا ، وهو فتنة يُختبر فيه الناس ، فحلاله حساب وحرامه عقاب ، فسيُسئل المرء عن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ؟

فأطيبوا مكسبكم واكتفوا بالموارد الحلال عن الحرام ، وأحسنوا تفريق أموالكم فى مصارفها المشروعة والمباحة ، وأدُّوا حق الله فيها وأحسنوا إلى الفقراء والمساكين وذوى القربى ، فإن الصَدَقة حجاب عن العقوبة وستر من النار : « إن الصدقة لتُطفئ غضب الرب تعالى كما يُطْفئ الماءُ النارَ »(١) ، « اتقوا النار ولو بشق تمرة »(٢) .

واحذر أن تصرف مال الله الذى آتاك فى معصيته ، فبئس الصنيعُ مقابلةُ الإحسان بالإساءة ، وتَلَقِّى النَعم بكفرها : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠ ﴾(٣) .

وصلُّوا على البشير النذير ، فقد أمرنا الله بذلك فى كتابه المنير ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾(٤) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَن صَلَّى علىَّ مرة واحدة صَلَّى الله عليه بها عشراً »(٥) .

---

(١) أخرجه الترمذى (٦٦٤) ، وإسناده ضعيف .

(٢) صحيح البخارى : ٨/ ١٤٠ ، ومسلم : ٢/ ١٠٤

(٣) سورة الحشر : ١٨ - ٢٠

(٤) سورة الأحزاب : ٥٦

(٥) أخرجه العلامة إسماعيل بن إسحاق القاضى فى فضل الصلاة على النبى ﷺ برقم (٨) ، وذلك من حديث أبى هريرة رضى الله عنه (ص ٢٦) ، وإسناده صحيح .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم وبَارِك وأنْعِم على عبدك ورسولك نبينا محمد صاحب المقام المحمود والحوض المورود .

وارض اللَّهُمَّ عن الأربعة الخلفاء الراشدين : أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلىّ ، وعن بقية أصحابه أجمعين ، وزوجاته أُمهات المؤمنين ، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللَّهُمَّ ارض عنا معهم بمَنِّك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلام والمسلمين ، وأذلَّ الشِّرك والمشركين ، ودَمِّرْ أعداء الدين ، واحم حَوْزة الإسلام يا رب العالَمين .

اللَّهُمَّ أدم الأمن والاستقرار فى أوطاننا ، واحفظ إمامنا وولاة أمورنا ، ووفقهم لما تحب وترضى ولما فيه صلاح العباد والبلاد .

اللَّهُمَّ أصلح جميع ولاة أُمور المسلمين ، وأخرجهم من الظلمات إلى النور ، وافتح بصائرهم لمعرفة الحق واتباعه .

اللَّهُمَّ اغفر لجميع المسلمين ، الأحياء والميتين .

اللَّهُمَّ فَرِّج هَم المهمومين ، واقض الدَّيْن عن المدينين ، واشف مرضى المسلمين .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١) .

فاذكروا الله يذكركم ، واشكروه يزدكم : ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (٢) .

* * *

(١) سورة النحل : ٩٠

(٢) سورة العنكبوت : ٤٥

الباب الرابع

مُتنوِّعات

ويشتمل على ثلاث عشرة خطبة

بسم الله الرحمن الرحيم

٤٧ - فى الوصيـــة [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله الجوَّاد الكريم ، تكفَّل بأرزاق خلقه ، وقسَّم بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا [٢] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، بالمؤمنين رؤوف رحيم [٣] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الناصح الأمين .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فأُوصيكم وإياى بتقوى الله تعالى ، فإنَّ التقوى تسمو بالإنسان إلى شرف العلا ، إلى صفاء الضمير وطهارة السلوك ، وكثيراً ما تُختم آيات التشريع والتوجيه بالتقوى ، فالتقوى هى الميزة الوحيدة للإنسان عن بقية المخلوقات ، وهى الرباط الوثيق الذى يشد الحواس إلى طاعة الله ، وهى الزاجر القوى الذى ينهى عن مخالفة أوامر الله ، وهى السبب المتين الذى يصل العبد بخالقه تبارك وتعالى ، ثم هَلُمَ بتأمل آية كريمة ترسم جانباً من جوانب النظام

---

(١) ألقيت يوم ٣/٨/ ١٤١٢ هـ .

(٢) إشارة إلى الآية ٣٢ من سورة الزخرف .

(٣) إشارة إلى الآية ١١٧ من سورة التوبة .

الإسلامى هى قوله تبارك وتعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ ﴾ (١) .

هذه الآية نزلت قبل آية المواريث ، وكانت الوصية واجبةً للوالدين والأقربين على أصح القولين ، فلما نزلت آية الفرائض نُسخت آية الوصية وصارت المواريث المقدرةُ فريضةً من الله ، يأخذها أهلوها حتماً من غير وصية ولا تحمل منَّة من الموصى ، ولهذا جاء عن النبى ﷺ فى حديث عمرو بن خارجة قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يخطب وهو يقول : « إنَّ الله قد أعطى كلَّ ذى حق حقه فلا وصية لوارث » (رواه أهل السنن) (٢) .

أما الأقارب الذين لا ميراث لهم ، فتُستحَب الوصية لهم من الثُّلُث استئناساً بآية الوصية وشمولها ، ولما ثبت فى الصحيحين عن ابن عمر قال : قال رسول الله : « ما حق امرىءٍ مسلم له شىء يوصى فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده » (٣) ، قال الراوى عبد الله بن عمر : ما مرَّت علىَّ ليلة منذ سمعتُ رسول الله ﷺ يقول ذلك إلا وعندى وصيتى (٤) ، والوصية لغير

---

(١) سورة البقرة : ١٨١ - ١٨٢

(٢) أبو داود برقم (٢٨٧٠) فى الوصايا ، والترمذى فى الجامع برقم (٢١٢١) من حديث أبى أمامة مرفوعاً بهذا اللفظ ، وإسناده صحيح مع الشواهد الكثيرة ، والبغوى فى شرح السُّنَّة : ٨/ ٣٣٢ فى تعليق المؤلف .

(٣) البخارى برقم (٢٧٣٨) : الوصايا ، الباب الأول ، ومسلم فى الوصايا برقم (١) خاص وعام (١٦٢٧) .

(٤) هذا لفظ مسلم : ٣/ ١٢٥٠ معلقاً ثم أسنده فى نفس الرقم (١٦٢٧) ، وقد تكلم عليه الحافظ فى الفتح : ٥/ ٣٥٩ فراجعه .

وارث مُستحَبة لمن ترك مالاً يزيد عن كفاية ورثته ، أما مَن كان ماله قليلاً فلا تُستحَب له الوصية بل يَتْركُه كلَّه لذُرِّيته .

وتكون الوصية المستحَبة فى حدود الثُّلُث أو أقل للحديث المتفق عليه عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال : مرضتُ عام الفتح مرضاً أشْفَيتُ على الموت ، فأتانى رسول الله ﷺ يعودُنى ، فقلت : يا رسول الله ؛ إن لى مالاً كثيراً وليس يرثنى إلا ابنتى ، أفأوصى بمالى كلِّه ؟ قال : « لا » ، قلت : فثلثى مالى ؟ قال : « لا » ، قلت : فالشطر ؟ قال : « لا » ، قلت : فالثُّلُث ؟ قال : « الثُّلُثُ ، والثُّلُثُ كثير ، إنك إن تذر ذُرِّيتك أغنياء خيرٌ من أن تذرهم عالة يتكففون الناس ، إنك لن تُنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا أُجِرْتَ بها ، حتى اللُّقمة ترفعها إلى فَىِّ امرأتك » (١) .

وروى الإمام أحمد عن حنظلة بن جُذيم بن حنيفة : أن جده حنيفة أوصى ليتيم فى حجره بمائة من الإبل ، فشقَّ ذلك على بنيه ، فارتفعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال حنيفة : إنى أوصيتُ ليتيم لى بمائة من الإبل كنا نسميها المطية ، فقال النبى ﷺ : « لا ، لا ، لا ، الصدقة خمسٌ ، وإلا فعشرٌ ، وإلا فخمسَ عَشْرة ، وإلا فعشرون ، وإلا فثلاثون ، وإلا فخمسٌ وثلاثون ، فإن كثرت فأربعون » (٢) .

أما مَن كان عنده حقوق واجبة للناس مثلُ : الوديعة والأمانة والعارية ، أو الدَّيْن ، وحقوقٌ واجبةٌ لله ، مثل حج واجب لم يؤده وقد استطاع ،

---

(١) البخارى برقم (٢٧٤٢) من حديث سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه ، ومسلم : ٣/ ١٢٥٠ ، ١٢٥١ برقم (٥) خاص وعام (١٦٢٨) .

(٢) أحمد : ٥/ ٦٧ - ٦٨ ، وإسناده صحيح ، وأورده العلامة الهيثمى فى المجمع : ٤/ ٢١٠ - ٢١١ ، وقال : رواه أحمد ورجاله ثقات .

أو كفَّاراتٌ مالية واجبة ، فالوصية فى حق هذا واجبة ، لأن أداء الحقوق وأداء الأمانات واجب ، ولا يخرج من عهدتها إلا بالوصية بها .

وإنفاذ الوصية المشروعة التى ليس فيها إثم ولا جنف واجب ، فمَن بدَّله بعد ما سمعه بِنَقْصٍ أو زيادة أو تغيير أو تدليس ، أو إخفائها وجحدها بالكلية ، فإنما إثمه على الذين يبدلونه (١) ، والإثم كبير لا يطيقه أحد .

أما إذا كانت الوصيةُ مخالفةً لنظام الوصية فى الإسلام كالوصية لوارث ، أو بأكثر من الثُّلُث لغير وارث ، أو بحرمان بعض الورثة من الميراث ، فإصلاح هذه الأخطاء والتوفيقُ بين الورثة والموصَى له مطلوب شرعاً وليس من التبديل المنهى عنه .

ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله فى تفسيره عن عبد الرزاق بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة ، فإذا أوصى حاف فى وصيته ، فيُختم له بشر عمله فيدخل النار ، وإنَّ الرجل ليعمل بعمل أهل الشر سبعين سنة فيعدلُ فى وصيته فيُختم له بخير عمله فيدخلُ الجنة » (٢) .

إن الحزم والاحتياط يقتضى تدوين ما يحتاج إليه المرء فى مستقبله مما له أو

---

(١) إشارة إلى الآية ١٨١ من سورة البقرة .

(٢) أخرجه عبد الرزاق فى المصنف : ٨٨/٩ برقم (١٦٤٥٥) ، وإسناده حسن ، وقد عزاه السيوطى فى الدر المنثور : ٤٥٤/٢ إلى الإمام أحمد فى المسند ، وكذا عبد بن حميد ، وأبى داود والترمذى وحسَّنه ، وابن ماجه فى سننه .

قلت : أخرجه أحمد فى المسند : ٢٧٨/٢ عن شيخه عبد الرزاق الصنعانى به عنه ، وأخرجه ابن ماجه : الوصايا برقم (٢٧٠٤) ، باب رقم (٣) ، باب : الحيف فى الوصية .

عليه ، وأن يحتاط لنفسه فيقدمُ أمامه زاداً مِن التقوى والبِرِ والصِّلة ، فيوصى من ماله فى أفعال البِرِ والصِّلة .

والوصية لا تُقَرِّب أجلاً وتركها لا يُبعده ، وقد كثر موت الفُجأة بأسباب متنوعة ، ومما ينبغى الوصية به الولاية على الصغار ، فكثير من الناس لا يهتم بهم ، والوصية عليهم أمر مطلوب فى صالحهم ، وحفظِ حقوقهم .

فاتقوا الله أيها المسلمون . .

اللَّهُمَّ إنَّا نسألك الثبات على الأمر والعزيمة على الرُّشد ، ونسألك إيماناً كاملاً ، ويقيناً صادقاً ، وعملاً صالحاً مقبولاً .

ونسألك حُسْن الاستماع ، وحُسْن الاتباع ، وحُسْن العمل .

اللَّهُمَّ اغفر لنا ولآبائنا وأُمهاتنا ولجميع المسلمين .

واستغفروا ربكم وتوبوا إليه ، إنه هو الغفور الرحيم .

* *

بسم الله الرحمن الرحيم

البيع والشراء بعد نداء يوم الجمعة محرم

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣ ﴾ (١) . .

وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه واستنَّ بسُنَّته .

أما بعد . .

فإنَّ البيع والشراء والتكسب نظامٌ اقتصاديٌ مباح فى الإسلام ، وهو من مقتضيات التوازن الاجتماعى، الذى يُنَظِّم حياة الإنسان جمعاً بين الفِطْرة والإصلاح ، وبين ميول النفس واتصالها بالله ، لذلك فإنه لا بد فى كل حال من الأحوال من ربط القلوب بخالقها : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٢) ، والانغماس فى مُشْتهيات النفس قد يُنسيها واجباتها ، أو يُبعدها عن خالقها ، لذلك فإنه لا بد من فترات يتفرغ فيها القلب عن شواغل الحياة ويُخلُص لله وحده ، ويحرم عليه أن يشتغل بغير الله فى تلك الفترة .

فالبيع والشراء بعد الأذان يومَ الجمعة مُحَرَّم ، ولا ينعقد البيع والصفقة

---

(١) سورة الفاتحة : ٢ - ٣

(٢) سورة المنافقون : ٩

خاسرة حساً ومعنى ، لأن تلك الفترة من الأذان حتى انقضاء الصلاة فترة خصصها الخالق تبارك لنفسه ليتفرَّغ فيها المؤمن لعبادته واستماع الموعظة وذكْر الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١)

وذلكم أنَّ الله تعالى يريد لعباده الأصلح لهم والأربح والأفضل والأبقى ، كان النبيُّ ﷺ يخطب يوم الجمعة ، فقَدمت تجارة إلى المدينة فى تلك الساعة فتبادرها الناس وخرجوا من المسجد ، ولم يبق مع الرسول ﷺ إلا اثنى عشر رجلاً ، منهم أبو بكر وعمر ، فقال صلى الله عليه وسلم : « لو تتابعتم حتى لم يبق منكم أحد لسال عليكم الوادى ناراً » ، فأنزل الله جَلَّ شأنه توبيخاً ولوماً وتوجيهاً : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝١١ ﴾ (٢) .

ويوم الجمعة فضَّله الله تعالى على أيام الأسبوع ، فهو عيدها وسيدها ، ففى الحديث : « أضل الله عن الجمعة مَن كان قبلنا ، فكان لليهود يوم السبت ، وللنصارى يوم الأحد ، فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة ، فجعل الجمعة والسبت والأحد ، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة ، نحن الآخرون من أهل الدنيا والأوَّلون يوم القيامة المقضى بينهم قبل الخلائق » . (رواه مسلم) .

---

(١) سورة الجمعة : ٩ - ١٠

(٢) سورة الجمعة : ١١

وفى يوم الجمعة ساعة مباركة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه ، كما ثبتت بذلك الأحاديث الصحاح .

ففى المسارعة إلى الخير فى هذا اليوم المبارك ، والاستعداد لصلاة الجمعة بالنظافة والطيب ولُبْس أحسن الثياب ، والتبكير إليها والمشى بالسكينة والوقار والذكر فى أثناء الطريق ، فإنه فى عباده .

فعن أوس الثقفى رضى الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « مَن غسَّل واغتسل يوم الجمعة ، وبكَّر وابتكر ومشى ولم يركب ، ودنا من الإمام واستمع ، ولم يلغ ، كان له بكل خطوة أجر سنة : صيامِها وقيامِها » ، وهذا الحديث أخرجه أهل السنن الأربعة ، وحسَّنه الترمذى ، وله طرق .

وفى حديث أبى هريرة قال صلى الله عليه وسلم : « مَن اغتسل يوم الجمعة غُسل الجنابة ، ثم راح فى الساعة الأولى فكأنما قرَّب بدنة ، ومَن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرَّب بقرة ، ومَن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرَّب كبشاً أقرن ، ومَن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرَّب دجاجة ، ومَن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرَّب بيضة ، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر » (متفق عليه) .

وغُسل يوم الجُمُعة واجب على كل بالغ لإزالة الروائح وآثار العَرَق ، لأنه سيجتمع بإخوانه وبالملائكة ، فوجب إزالة ما يؤذى ، إن الاستماع إلى الخطبة واجبٌ ، والإنصات واجبٌ ، سواء كان عربياً يعرفها أم لا ، وسواء كان يسمع أم لا ، لأن المقام مقام خشوع وإنصات وتذلل لله تعالى ، وتلقى للرحمة ، من مَسَّ الحصى فقد لغى ، ومَن لغى فلا جُمُعة له .

والذى يأتى متأخراً ثم يأخذ فى شق الصفوف أو تَخطِّى الرِّقاب يبحث عن مكان ، فقد آذى المسلمين بغير ما اكتسبوا ، فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً .

فاتقوا الله أيها المسلمون . . بكّروا إلى الجمعة واعملوا بسنتها وواجباتها ، واحذروا كل الحذر من اللّغو وإيذاء المسلمين .

وصلّوا على البشير النذير . . . . . إلى آخر الدعاء .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

* * *

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٤٨ - خُلِقَ الإنسان للعبادة [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [٢] ، خلق الجن والإنس لعبادته [٣] ، فمَن أطاعه أفلح ونجى ودخل الجنَّة ، ومَن عصاه خسر وهلك ودخل النار .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، غَنِىٌّ عن العالمين ، لا تنفعه طاعة المطيع ولا تضره معصية العاصين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهُدَى ودين الحق ليُظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد . .

فإنَّ الإنسان المتبصرَ فى نفسه المتأملَ وجودَه فى هذه الحياة يعلم أن الذى خلقه هو الله ، ويتأمل : كيف خُلِق ، وإلى أين يذهب ، ولأى شىء خُلِق .

والقرآن الكريم قد بيَّن خلق الإنسان ، والهدفَ الأساسى من خلقه ومآله بعد هذه الدنيا ، فقال تبارك وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن

---

(١) ألقيت يوم ١٤١٢/٨/١١ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى الآية ٥٦ من سورة الذاريات .

طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (١) .

وقال جلَّ شأنه : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ ﴾ (٢) .

فالإنسانُ يتقلب فى أطوار الخلقة وأكوان الإرادة فى تسع حالات :

الأولى : قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ (٣) ، السلالة : الخلاصة تُسَل من بين الكدر ، فالخالق تعالى قبض قبضةً من الأرض ، فصيَّرها طيناً لازباً وحماً مسنوناً ، وصوَّر منها آدمَ عليه السلام ، فصار صلصالاً كالفخار ، ثم نفخ فيه الروح فصار بَشَراً سوياً ، فأصل الإنسان طين كما قال تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾ (٤) .

وروى الإمام أحمد رحمه الله أن النبى ﷺ قال : « إنَّ الله خلق آدم من قبضةٍ قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، جاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك ، والخبيث والطيب وبين ذلك » (٥) ، وخلق من آدم زوجه (٦) ، وأودع كلَّ نسل فى أصله ، وأخرج ذُرِّية بنى آدم

---

(١) سورة المؤمنون : ١٢ - ١٦

(٢) سورة الذاريات : ٥٦ - ٥٧

(٣) سورة المؤمنون : ١٢

(٤) سورة الروم : ٢٠

(٥) رواه أحمد فى المسند ، وأبو داود فى سننه ، والترمذى فى جامعه ، والحاكم فى المستدرك والبيهقى فى سننه ، عن أبى موسى ، وذكره السيوطى فى الجامع الصغير برقم (١٧٣٤) ورمز له بالصحة .

(٦) إشارة إلى الآية ١ من سورة النساء .

أمثال الذَّر ، وأخذ عليهم العهد والإقرار بربوبيته : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ (١) .

الحالة الثانية : قوله جلَّت عظَمتُه : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ (٢) ، النُطْفة : قَطَرة قليلة من الماء ، وهى ماء الرجل يخرج عند الجماع فيصل إلى رحم الأُنثى ، فيلتقى الماءآن فيكونا أمشاجاً ، فإذا أراد الله خَلقَ من هذا الخليط جنيناً ، تلقَّحت البويضة وعلقت بجدار الرحم فتتغذى بدم الأُم ، ومع هذا قد تختلف فصيلة دم الجنين عن فصيلة أُمه ، فسبحان العليم الخبير .

الحالة الثالثة : تحويل النُطْفة علقةً ، قطعة دم أحمر جامدٍ مستطيلة ، على شكل العَلَقة فى خلال أربعين يوماً فتعلق بالرحم .

الحالة الرابعة : تحويل العَلَقة قطعةَ لحم قليلة على قدر ما يُمضغ ، لا شكل فيها ولا تخطيط ، وذلك فى خلال أربعين يوماً أيضاً .

الحالة الخامسة : تحويل قطعة اللَّحم عظاماً مُشكَّلةً ذات رأس ويدين ورجلين بعَصبها وعروقها فى خلال أربعين يوماً ، فهذه مائة وأربعون يوماً أى أربعة أشهر .

السادسة : قوله تعالى : ﴿ فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ﴾ (٣) قال ابن عباس رضى الله عنه : وفى العشر بعد الأشهر الأربعة يُنْفخُ فيه الروح ، فذلك عدة المتوفى عنها زوجها أربعةُ أشهر وعشرةُ أيام .

وفى الحديث المتفَق عليه عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : حدَّثنا

---

(١) سورة الأعراف : ١٧٢

(٢) سورة المؤمنون : ١٣

(٣) سورة المؤمنون : ١٤

رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق قال : « إن أحدكم يُجمع خلقُه فى بطن أُمه أربعين يوماً نطفةً ، ثم يكون علقةً مثل ذلك ، ثم يكون مُضْغة مثل ذلكْ ، ثم يُرسَل إليه المَلَك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه وأجله وعمله وشقىٌ أو سعيدٌ . . . . . » (١) ، اللَّهُمَّ اجعلنا من السعداء .

الحالة السابعة : قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾ (٢) خُلقت فيه جميع الأعضاء والأجهزة والمنافع والحواس ، حركةٌ واضطرابٌ ، فينمو ويكبر حتى يستتمَّ ويأذن الله له بالخروج : ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ (٣) ، فهو الخالق وحده مُتْقِن خلقَه ، فليست « أحسنُ » هنا للتفضيل وإنما هى للحُسْن المطلق فى خلق الله .

وأما ما قصَّه القرآن عن عيسى فليس بخلق ، إنما يعمل السبب والخالق هو الله تعالى ، كما نصَّت على ذلك آية المائدة : ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ﴾ (٤) ، فعملُ عيسى عليه السلام تصوير الطين كهيئة الطير بإذن الله ، والنفخ فى الصورة بإذن الله ، والله تعالى يُكوِّنها طيراً بإذنه وقُدرته ، فالخالق المُبْدِع المنشئُ هو الله جلَّت عظمته وتقدَّست أسماؤه .

وفى الحديث المتفق عليه : « ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى » (٥) ، فجعل التصوير خلقاً .

---

(١) رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما ، كما رواه أبو داود والنسائى والترمذى وابن ماجه ، عن ابن مسعود ، وذكره السيوطى فى الجامع الصغير برقم (٢١٧٩) ورمز له بالصحة .

(٢) سورة المؤمنون : ١٤

(٣) سورة المؤمنون : ١٤

(٤) سورة المائدة : ١١٠

(٥) جزء من حديث متفق عليه ، رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما ، وأحمد =

الحالة الثامنة : قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾ (١) أى بعد الخلق والحياة تفارق الأرواح الأبدان وتعود تلك الأجساد الناعمة والوجوه الناضرة والقلوب المتقلبة والعظام الصلبة تعود رُفاتاً وتراباً : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ (٢) ، ولا يبقى من الإنسان إلا عَجْب الذَّنَب وهو أسفل الصلب ، فإنه لا يتفتتُ ينبتُ منه الإنسان يوم القيامة .

روى الشيخان رحمة الله عليهما عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كلُ ابن آدم يأكله التراب إلا عَجْب الذَّنَب منه خُلق ، ومنه يُركَّب » (واللفظ لمسلم) (٣) .

ولم يُذكر فى الآية القبرُ وما فيه ، لأن الغَرَض ذِكْر النَّشْأة والإماتة والإعادة ، وهى داخلة فى الإعادة ومن جنسها .

الحالة التاسعة : قوله جَلَّ شأنه : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ (٤) ، فَينفخُ إسرافيل عليه السلام النفخة الثانية فينبت الناس من قبورهم كالزراعة فى حميل السَّيْل : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٥) ، فيُحاسِب الجبارُ

= فى مسنده ، عن أبى هريرة ، ونصه : « قال الله تعالى : ومَن أظلم ممن ذهب يخلق خلقاً كخلقى ؟ فليخلقوا حَبَّة ، أو ليخلقوا ذَرَّة ، أو ليخلقوا شعيرة » ، (ذكره السيوطى فى الجامع الصغير برقم (٦٠٢٧) .

(١) سورة المؤمنون : ١٥

(٢) سورة طه : ٥٥

(٣) رواه مسلم فى صحيحه ، وأبو داود والنسائى فى سننهما ، عن أبى هريرة ، وذكره السيوطى فى الجامع الصغير برقم (٦٢٧٠) ورمز له بالصحة .

(٤) سورة المؤمنون : ١٦

(٥) سورة المطففين : ٦

الخلائقَ ويُوفى كل عامل عمله : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ (١) .

وفى أطوار هذه النشأة وتتابعها بهذا النظام ما يشهد بوجود الخالق تعالى وما يشهد بالقصد والتدبير ، فالأمر لم يكن بفعل الطبيعة ، ولا بالتطور والارتقاء من حيوان إلى إنسان ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ، وإنما هو بإرادة الرب تعالى وفِعْله وحُسن تدبيره وإتقان صُنعه . فالإيمان بالخالق تعالى وبكمال قدرته وقهر إرادته لمخلوقاته ، هو الطريق إلى بلوغ الكمال والعزَّة والسعادة للإنسان فى الدنيا والآخرة . فمن أجل الابتلاء والاختبار خُلقَ الإنسان : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ (٢) ، يُبتْلَى الإنسان بالأمر والنهى ، بالأمر بالعبادة وبالنهى عن المحرَّمات . فالإنسان خُلق لوظيفة شريفة : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ (٣) .

فاتقوا ربكم . . فمَن قام بهذه الوظيفة حَقَّقَ غايةَ وجوده وميَّزَ نفسه عن الحيوان ، ومَن قصر فيها أو نكل عنها فقد أبطل غاية وجوده وأصبح بلا وظيفة يشبه الحيوان ، حياته فارغة من القصد والهدف الأسمى ، فالمقصود من خلق الإنسان العبادة (٤) ، وهى اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال ، فيدخل تحتها أركان الإسلام الخمسة وأركان الإيمان الستة ، وركن

---

(١) سورة الزلزلة : ٧ - ٨

(٢) سورة الإنسان : ٢ - ٣

(٣) سورة الذاريات : ٥٦ - ٥٨

(٤) إشارة إلى الآية ٥٦ من سورة الذاريات .

الإحسان [١] ، والقيامُ بشريعة الله فى أرضه وتحقيقها بين خلقه ، كما تشمل أنواعاً من النشاطات فى إعمار الأرض والتعرُّف على ذخائرها ومكنوناتها وتحقيق إرادة الله فى استعمالها .

اللَّهُمَّ أعِنَّا على شكرك وذِكرك وحُسن عبادتك ، ووفقنا لما تحب وترضى من الأقوال والأفعال ، واهدنا لأحسن الأعمال والأخلاق ، وبارِك لنا فى شعبان وبَلِّغنا رمضان ، واغفر لنا ولآبائنا وأُمهاتنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

(١) إشارة إلى الحديث المتفق عليه الذى أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان ، باب : سؤال جبريل النبى ﷺ عن الإيمان والإسلام عن أبى هريرة ، ورواه مسلم فى كتاب الإيمان عن عمر بن الخطاب وفيه : « الإسلام أن تشهد أنْ لا إله إلا الله ، وأنَّ محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعتَ إليه سبيلاً » .

فهذه أركان الإسلام الخمسة ، أما أركان الإيمان الستة فهى : « أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقَدَر خيره وشره » .

أما ركن الإحسان : فـ « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تخطى الرقاب

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١) . . حَثَّ على الشهامة وحفظ الكرامة .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، حَثَّ على التآلف وأسبابه ، ونهى عن التنافر وموجباته .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، بُعِثَ معلِّماً وموجِّهاً ومؤدِّباً .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهديه واستنَّ بسُنَّته .

أما بعد . .

فإن من الآداب الإسلامية ، والأخلاق الحسنة إذا أتى المسلمُ المسجدَ أن يكون حيث تنتهى الصفوف ولا يتخطَّى رقاب المسلمين ، بحثاً عن مكان فى مقدم المسجد ، فالذى يريد المقدم يُبكِّر مثل إخوانه المسلمين ، والتخطى إيذاء والإيذاء إثم كبير وخطيئة : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ (٢) .

فإن رأى فُرْجَة لا يصل إليها إلا بالتخطى مثل الذين يبقون فى الأبواب والطرقات والمؤخر ويتركون المقدَّم خالياً يتخطَّى دون إيذاء أحد وإنما يتخلل مع الفتحات برفق وسكينة . قال الحسن البصرى رحمه الله : تخطوا رقاب الذين

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) سورة الأحزاب : ٥٨

يجلسون على أبواب المساجد فإنه لا حُرْمة لهم . وإذا دخل فى المسجد وبدت له حاجة خرج ولو بالتخطى .

اللَّهُمَّ إنَّا نسألك حُسْن الخلق وحُسْن الأدب مع إخواننا المسلمين وفى مسجد رسول الله ﷺ .

وصَلُّوا على البشير النذير .....

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

* * *

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٤٩ - راحة البال [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٢] ، أكمل ديننا وهدانا لمعالم دينه الذى ارتضاه لنفسه [٣] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، لا راحة إلا بالتوكل عليه ، ولا فَوْز إلا بطاعته ، ولا عِزّ إلا بالخضوع له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، وأمينه على شريعته وحُجَّته على خلقه .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فإنَّ من أهم مطالب الإنسان فى هذه الحياة راحةَ البال وانشراحَ الصدر ، فلا لذَّة للحياة ، ولا طيب للعيش إلا براحة النفس وانشراح الصدر .

فشرح الصدر قوة للمؤمن ، بها يتحمل الأذى ويصبر على البلاء ، وينهض بالأعباء ، فهذا موسى عليه الصلاة والسلام لما أرسله الله إلى فرعون وهو أكبر مَلِكٌ فى زمانه ، وهو أشـد الناس طُغياناً وتكبر وكفراً . قال عليه السلام :

---

(١) ألقيت يوم ٢٧/ ٥/ ١٤١٣ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى الآية ٣ من سورة المائدة .

﴿ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴾ [١] ، فبشرح الصدر يكون المؤمن قوياً فى جانب الحق ، مرتاح البال فى كل ميدان ، يجده عوناً فى كل الأمور ، لأنه دليل التوكل على الله .

وأعظم أسباب شرح الصدر الإيمانُ بالله وبرسالاته ، وتوحيده فى صفاته وأسمائه وأفعاله ، وإفرادُه بأفعال العباد ، وعلى حسب كمال الإيمان وقوته يكون شرح الصدر . قال تعالى : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [٢] ، ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [٣] ، فالتوحيدُ والهُدَى من أعظم أسباب شرح الصدر ، والشِّرك والبدع والضلال من أكبر أسباب ضيق الصدر .

ولئن وجد بعض الناس فرحاً وسروراً فى غير طاعة الله وفى غير توحيد الله ، فإنما هى راحة مؤقتة وانشراح زائل لا يلبث أن ينقلب حسرة وضيقاً وندامة .

ومن أسباب انشراح الصدر وراحة النفس : العلمُ بكتاب الله وسُنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم والعمل بهما ، فكلما اتسع علم المؤمن بشريعة الله انشرح صدره .

فعلماء الإسلام أكثرُ الناس انشراح صدر وراحة بال وطيب عيش على ما كانوا عليه ، وهم أنفع الناس للناس وأكثرهم نُصْحاً لأُمَّة محمد ﷺ .

---

(١) سورة طه : ٢٥

(٢) سورة الزمر : ٢٢

(٣) سورة الأنعام : ١٢٥

ومن أسباب انشراح الصدر : الإنابة إلى الله تعالى ومحبته ومحبةُ رسوله صلى الله عليه وسلم محبةً ذاتيةً دينية شرعية توجب امتثال الأمر والوقوف عند النهى ، والعمل بأقوال المصطفى صلى الله عليه وسلم وأفعاله ، فلا يزيد المحبُّ بلا علم ولا ينقص بلا عذر ، للحديث الصحيح : « كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد » ،

وفى رواية : « مَن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » (١) أى مردود على صاحبه غير مقبول ، فمحبة الله ومحبة رسوله ﷺ أُنس وراحة وسرور : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (٢) .

والإعراض عن الله وعن سُنَّة رسوله ﷺ من أسباب ضيق الصدر وغم النفس ، وتسلط الأعداء : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾ (٣)، وصفاء القلب وطهارة النفس وحُسْن الظن من أسباب انشراح الصدر ، لأنها صفات خيِّرة تربط المؤمن بإخوانه ، فتزول الحواجز ويحصل تبادل المشاعر النظيفة ، وتحْملُ على التعاطف والتراحم والإحسان ، وضبط اللِّسان عن الغَيْبة والنميمة وفضول القول ، والكلام بلا علم .

فالصفات المذمومة شرعاً تسبب ضيقَ الصدر وتكديرَ النفس ، لأن الغَيْبة والنميمة والكلام البذئ لا تصدر إلا عن ضيق الصدر إما لحقد أو لحسد .

والإيمان بالقَدَر من أسباب انشراح الصدر ، فإذا علم الإنسان أن ما أصابه

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه ، وأحمد فى مسنده ، عن عائشة رضى الله عنها ، وذكره السيوطى فى الجامع الصغير برقم (٨٨٦٨) ورمز له بالصحة .

(٢) سورة الرعد : ٢٨

(٣) سورة طه : ١٢٤

لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، لم يفرح بما أُوتِىَ فرحاً مذموماً ، ولم يندم على ما فات ، ولا يجزع لما أصابه . قال تعالى : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (١)، فهذا الوجودُ الضخمُ أمامنا لا يقع فيه حدَث ، من خير وشر ، ومطلوب ومكروه ، من قحط وزلازل ، وخسْفٍ وأمن وخوف ، ومن صحة وأمراض وأوصاب وأسقام وحياة وموت ، إلا وهو مُقَدَّر فى اللَّوح المحفوظ ، كائن فى علم الله أنه سيكون فى وقته المحدَّد له بالزمان والمكان والصفة ، قبل أن يخلق الخليقة ، وقبل أن يبرأ النَّسَمة كما قال جلَّت عظمته : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ (٢) .

فاتساعُ أُفق التأمل والإيمانُ بالقَدَر ورؤيةُ الأحداث فى مواضعها المقدَّرة فى علم الله الثابتة فى تصميم هذا الكون ، كل ذلك يشرح الصدر ويجعل النفس أفسح وأكبر وأكثر ثباتاً ورزانة فى مواجهة الأحداث العابرة ، وإنما يجزع الإنسان وتَسْتخفُّه الأحداث حين ينفصل اتصاله بالله ، وحين يفقد إيمانه بالقَدَر (٣) .

أما حين يتصل بالله ويؤمن بأن ما حصل مقدور ومرسوم ، فإنه يحس بالراحة والطمأنينة لمواقع القَدَر ، وهذه مرتبة عالية لا يدركها إلا القليل ،

---

(١) سورة الحديد : ٢٢ - ٢٣

(٢) سورة يونس : ٦١

(٣) القرطبى : ١٢٦/٢٧ ، ١٢٧

ولكن المطلوب من المؤمن ألا يخرجه الألم بالضَرَّاء ولا الفرح بالسَرَّاء عن دائرة الاتصال بالله .

روى عن عكرمة بن عمرو بن هشام رضى عنه - وقيل : عن ابن عباس رضى الله عنهما - أنه قال : « ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن ، ولكن اجعلوا الفرح شكراً والحزن صبراً » (١) .

أى فلا يفرح فرحاً يستخفه ويُذهله ولا يأسَ أسىً يُضعفه ويُزلزله .

ذكر القرطبى عن ابن مسعود رضى الله عنه أن نبى الله ﷺ قال : « لا يجد أحدكم طعم الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليُخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه » ، ثم قرأ : ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ (٢) .

وروى عن بعض الفضلاء أنه قال : يا ابن آدم ؛ مالكَ تأسَ على مفقود لا يرده عليك الفوت ، ومالك تفرحُ بموجود لا يتركه فى يدك الموتُ ؟

وقيل لبعض الصالحين : مالك لا تحزن على ما فات ولا تفرح بما هو آت ؟ قال : لأن الفائت لا يُتَلافَى بالعَبْرة ، والآتى لا يُستدامُ بالحَبْرة .

والفرح المذموم يجر صاحبه إلى الاختيال والفخر والتكبر ، وكلها من الشِّرك الخفى ، ولذلك أبغضه الله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (٣) ، فالمختال الذى يعجبُ بنفسه وبما أُوتى ، والفَخُور هو الذى ينظر إلى الناس بعين الاحتقار والازدراء ، والفَخُور بمنزلة الشاة المصراة تُشد أخلافها ليجتمع فيها اللَّبن فيتوهم المشترى أن تلك عادتها ، فما يلبث أن

---

(١) ابن كثير : ٤/ ٣١٤ ، والقرطبى : ١٩/ ٢٥٨

(٢) سورة الحديد : ٢٣

(٣) سورة لقمان : ١٨

يكشف حالها ويعرف حقيقتها ويعلم أنها مصراة وأنه خُدِع بها فيردَها ، فكذلك الذى يرى من نفسه .

فاتقوا الله أيها المؤمنون ، ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴾ (١) .

اللَّهُمَّ اشرح صدورنا ، ويَسِّر أُمورنا ، واغفر ذنوبنا ، واستر عيوبنا ، واختم بالصالحات أعمالنا ، وعرِّفنا بأنفسنا ، واحفظنا من الفخر والخيلاء ، ووفقنا لما تحب وترضى .

واغفر لنا ولآبائنا وأُمهاتنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

(١) سورة الطلاق : ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

احفظ الله يحفظك

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١) يرفع القسط ويخفضه .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، لا تأخذه سِنَّة ولا نوم (٢) .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، بَلَّغ رسالة ربه ونصح لأُمَّته .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فأُوصيكم وإياى بتقوى الله ، ثم تأملوا هذا الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : كنت خلف النبى ﷺ يوماً فقال لى : « يا غلام ؛ إنى أُعلِّمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجَاهك ، إذا سألتَ فاسأل الله ، وإذا استعنتَ فاستعن بالله ، واعلم أن الأُمَّة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك ، رُفعت الأقلام وجَفَّت الصحف » (٣) .

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) إشارة إلى الآية ٢٥٥ من سورة البقرة .

(٣) حديث صحيح رواه الترمذى فى جامعه ، عن ابن عباس ، وقال : حديث حسن صحيح .

وفى رواية : « احفظ الله تجده أمامك ، تعرَّف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة ، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك ، واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفَرَج مع الكرب ، وأن مع العسر يسراً » .

وصَلُّوا على البشير النذير .....

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

* * *

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٥٠ - صفة قبض الروح [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ [٢] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يُحيى ويُميت وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، بلَّغ الرسالة وأدَّى الأمانة ، ونصح للأُمَّة .

صَلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه ، ومَن تبعهم بإحسان وسَلَّم تسليماً كثيراً .

أما بعد . .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [٣] .

الموت حق لا بد من ملاقاته ، فعلى الإنسان العاقل أن يفكر فى مآله بعد هذه الحياة الدنيا ، فكل واحد يؤمن إيماناً صادقاً بأن الموت سيلاقيه فى يوم من الأيام ، طالت به الحياة أو قصرت : ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [٤] ، لأننا نشاهد فى

---

(١) ألقيت يوم ١٢/٧/١٣٩٣ هـ .

(٢) سورة الملك : ٢

(٣) سورة آل عمران : ١٠٢

(٤) سورة لقمان : ٣٤

كل يوم عدداً من الراحلين إلى الآخرة : من الآباء والأبناء والأُخوة والأحبة والجيران . ومن المعلوم أن الموت لا يتوقف على سن من العمر معين ، فليس للكبير دون الصغير ، ولا للفقير دون الغنى ، ولا للوضيع دون الشريف : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ (١)، فلا يدفعه جاه ولا سلطان ، ولا يرده مال ولا أعوان ، ولا يحول دونه الحُجَّاب ولا الحصون : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ (٢) ، ولو جُعِل البقاء لأحد من الخلق لكان أولى به سيد الأوَّلين والآخرين الذى هَدَى الناس إلى صراط الله المستقيم صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾ (٣) ، ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ (٤) .

فعلى الإنسان العاقل أن يفكر فى مآله وكيف تكون حاله إذا دنت مَنِيَّتُه ، وبلغت الروح التراق ، وظن أنه الفراق (٥) ، عليه أن يفكر على أى جنب يكون مصرعه ؟ وعلى أى هيئة تُقبض روحه ؟ ومن هو الوفد الذى يستقبله ؟ وكيف نُزُله ومدخله ؟ هل يجد القبر روضة من رياض الجنَّة وفيه جليس أنيس ؟ أو يجده حفرة من حفر النار ، وفيه جليس مخيف ؟

عليه أن يتصور تلك الحال التى لا بد من المرور عليها ، عليه أن يستحضر سكرات الموت ونزعات الروح ، إذا تشنجت أعضاؤه وانعقد لسانه وشَخَصَ

---

(١) سورة آل عمران : ١٨٥ ، والأنبياء : ٣٥ ، والعنكبوت : ٥٧

(٢) سورة النساء : ٧٨

(٣) سورة الأنبياء : ٣٤

(٤) سورة الزمر : ٣٠ - ٣١

(٥) إشارة إلى الآيتين ٢٦ ، ٢٨ من سورة القيامة .

بصره ، والأهل حوله يبكون ، والأولاد فى البيت يتصاؤون ، والمال فى الخزائن مكنون : ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ (١) .

واستمعوا إلى هذا الحديث النبوى الشريف ، فإن فيه موعظة للمتقين ، وذكرى لمن كان له قلب سليم ، عن البراء بن عازب رضى الله تعالى عنه قال : خرجْنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار ، فانتهينا إلى القبر ولما يُلْحَد ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله وكأنَّ على رؤوسنا الطير ، وفى يده عود ينكت فى الأرض ، فرفع رأسه فقال : « استعيذوا بالله من عذاب القبر » - مرتين أو ثلاثاً - ثم قال : « إن العبد المؤمن إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة ، نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه ، كأن وجوههم الشمس ، معهم كفن من أكفان الجنَّة ، وحَنُوط من حَنُوط الجنَّة ، حتى يجلسوا منه مد البصر ، ثم يجئ مَلَك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الطيبة ؛ اخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان ، قال : فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فَىِّ السقاء فيأخذها ، فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طَرْفة عَيْن حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن ، وفى ذلك الحَنُوط ، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وُجِدَت على وجه الأرض ، قال : فيصعدون بها فلا يمرون - يعنى بها - على ملإٍ من الملائكة إلا قالوا : ما هذه الروح الطيبة ؟ فيقولون : فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بها فى الدنيا ، حتى ينتهون بها إلى السماء الدنيا ، فيستفتحون له فيُفتح لهم ، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التى تليها ، حتى ينتهون بها إلى السماء السابعة ، فيقول الله عَزَّ وجَلَّ : اكتبوا كتاب عبدى فى عِلِّيين وأعيدوه إلى الأرض ، فإنى منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أُخرجهم تارة أخرى ، قال : فتُعَاد روحه فى جسده فيأتيه مَلَكان

---

(١) سورة الشعراء : ٨٨ - ٨٩

فيُجْلسانه فيقولان له : مَن ربك ؟ فيقول : ربى الله . فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : دينى الإسلام . فيقولان : ما هذا الرجل الذى بُعِثَ فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله ﷺ . فيقولان له : وما علمك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله فآمنتُ به وصدَّقتُ ، فينادى منادٍ فى السماء : أنْ صدق عبدى فافرشوه من الجنَّة وألبسوه من الجنَّة وافتحوا له باباً إلى الجنة ، قال : فيأتيه من روحها وطيبها ويُفْسَح له فى قبره مدّ بصره ، قال : ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول : أبشر بالذى يَسُرُّك ، هذا يومك الذى كنتَ تُوْعَد ، فيقول له : من أنت ؟ ، فوجهك الوجه يجئ بالخير ، فيقول : أنا عملك الصالح ، فيقول : ربِّ أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلى ومالى » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « وإن العبد الكافر إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة ، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المُسوح ، فيجلسون منه مد البصر ، ثم يجئ مَلَك الموت حتى يجلس عند رأسه ، فيقول : أيتها النفس الخبيثة ؛ اخرجى إلى سخط من الله وغضب ، قال : فتُفَرَّق فى جسده فينتزعها كما يُنتزَع السفود من الصوف المبلول ، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طَرْفة عَيْن حتى يجعلوها فى تلك المُسوح ، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وُجِدَت على وجه الأرض ، فيصعدون بها فلا يمرون على ملإٍ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيث ؟ فيقولون : فلان ابن فلان بأقبح أسمائه التى كان يُسمى بها فى الدنيا ، حتى يُنتهَى به إلى السماء الدنيا ، فيُستفتح له فلا يُفتح له ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ (١) .

---

(١) سورة الأعراف : ٤٠

فيقول الله عَزَّ وجَلَّ : اكتبوا كتابه من سجِّين فى الأرض السُّفلَى ، فتُطرح روحه طرحاً ، ثم قرأ : ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ (١) ، فتُعاد روحه فى جسده ، ويأتيه مَلَكان فيُجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : هاه هاه ، لا أدرى . فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : هاه هاه ، لا أدرى . فيقولان له : ما هذا الرجل الذى بُعِثَ فيكم ؟ فيقول : هاه هاه ، لا أدرى . فينادى منادٍ من السماء : أنْ كذب ، فافرشوا له من النار وافتحوا له باباً إلى النار ، فيأتيه من حَرِّها وسمومها ، ويُضَيَّق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ، ويأتيه رجل قبيح الوجه ، قبيح الثياب ، نتن الريح ، فيقول : أبشر بالذى يسوءك ، هذا يومك الذى كنتَ تُوْعَد ، فيقول : من أنت ؟ فوجهك الوجه يجئ بالشر ، فيقول : أنا عملك الخبيث ، فيقول : ربِّ لا تُقِم الساعة » (٢) .

هذا حديث صحيح ، فاعتبروا يا أُولى الألباب .

اللَّهُمَّ إنَّا نعوذُ بك من عذاب النار وعذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن فتنة المسيح الدجَّال .

اللَّهُمَّ ثَبِّتنا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة .

فاتقوا الله أيها المسلمون . . ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ (٣) ، وقدِّموا لأنفسكم ، واستعدوا للقاء ربكم ،

---

(١) سورة الحج : ٣١

(٢) أخرج هذا الحديث الطويل - بهذا السياق - الإمام أحمد فى المسند : ٤/ ٢٨٧ - ٢٨٨ ، وإسناده فى غاية الصحة ، وأخرجه أبو داود مختصراً برقم (٣٢١٢) ، والنسائى فى السنن مختصر أيضاً : ٤/ ٨٧ ، وابن ماجه برقم (١٥٤٦) فى الجنائز مختصراً .

(٣) سورة البقرة : ٢٣٨

ولا تغفلوا عن هازم اللَّذات ، فليحرص كل فرد على أن توافيه مَنِيَّته وهو على طاعة الله .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله العظيم لى ولكم ولجميع المسلمين ، من كل ذنب فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

* *

بسم الله الرحمن الرحيم

العض بالنواجذ على السُّنَّة

(الخطبة الثانية)

الحمد لله الحى القيوم . . ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه واستنَّ بسُنَّته .

أما بعد . .

أيها المسلمون ؛ اتقوا الله تعالى واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى ، وعليكم بسُنَّة نبينا محمد ﷺ عَضُّوا عليها بالنواجذ ، واعلموا أن الموت قد تخطاكم لغيركم ، وسيتخطى غيركم إليكم ، فخذوا حذركم واستعدوا لرحيلكم ولقاءْ ربكم ، وتزوَّدوا فإنَّ خير الزاد تقوى الله جَلَّ جلاله ، وأكثروا من الصلاة والتسليم على النبى الكريم ، فقد أمرنا الله بذلك فى كتابه المبين ، فقال عَزَّ من قائل عليماً : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٢) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَن صلى علىَّ مرة واحدة صَلَّى الله عليه بها عشراً » (٣) .

* * *

(١) سورة الحديد : ٣

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

(٣) حديث صحيح أخرجه مسلم وأبو داود فى السنن ، والنسائى والترمذى فى جامعه : ٢/ ٣٥٥ - ٣٥٦ برقم (٤٨٥) ، وقال الترمذى عقبه : هذا حديث حسن صحيح ، وهو من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، وقد عزاه إلى هذه المصادر الإمام ابن كثير فى تفسيره : ٥/ ٣٠٥ ، وأبو داود برقم : ٢/ ٨٨ (١٥٣٠) ، وابن ماجه : ٣/ ٥٠ ، ومسلم : ١/ ٣٠٦ برقم (٧٠) خاص وعام (٤٠٨) .

بسم الله الرحمن الرحيم

٥١ - الجنـــائز [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله ، ﴿ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [٢] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، يُحيى ويُميت وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [٣] .

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله ومَن تبعهم بإحسان ثم اهتدى .

أما بعد . .

فإذا أراد الإنسان السفر من بلد إلى بلد اهتم لذلك وأخذ زاده ومتاعه وسأل عن طريقه ومسكنه ، وأخذ كلَّ الاحتياطات مع أنه أيام ويعود ، لكن أمامنا سفر محقق موعده قريب ، وطريقه شديد ، وسالكه وحيد ، لا مفرَّ عنه ولا محيد ، فى كل يوم نشاهد أناساً يسلكون ذلك الطريق ، سفر لا يعود صاحبه ونحن به لاحقون ، إنه الرحيل من هذه الدنيا إلى الآخرة ، إلا أنَّ الناس عنه غافلون أغفلتهم نشوة اللَّذات ، وأنستهم كثرة الخيرات : ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ

---

(١) ألقيت يوم ١٨/٧/١٤٠١ هـ .

(٢) سورة البقرة : ٢٥٥

(٣) سورة النجم : ٣ - ٤

﴿ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ ﴾ (١) ، وقد وصف نبينا محمد ﷺ انتقال الإنسان من هذه الحياة الدنيا إلى الآخرة ليكون بنو آدم على بَيِّنة من طريق لا بُدَّ لهم من المرور عليه .

روى الإمام أحمد وأبو داود (٢) بسند صحيح ، عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار ، فانتهينا إلى القبر ولما يُلْحَد ، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله وكأن على رؤوسنا الطير وفى يده عود ينكت فى الأرض ، فرفع رأسه فقال : « استعيذوا بالله من عذاب القبر » - مرتين أو ثلاثاً - ثم قال : « إن العبد المؤمن إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل عليه ملائكةٌ من السماء بيضُ الوجوه كأن وجوههم الشمسُ ، معهم كفن من أكفان الجنَّة ، وحَنُوطٌ من حَنُوطِ الجنَّة حتى يجلسون منه مد البصر ، ثم يجئ مَلَك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الطيبةُ ؛ اخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان ، قال : فتخرج تسيل كما تسيل القَطْرة من فَىِّ السقاء ، فيأخذُها فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طَرْفة عَيْن حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن وفى ذلك الحَنُوط ، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وُجِدَت على وجه الأرض ، قال : فيصعدون بها فلا يمرون - يعنى بها - على ملإٍ من الملائكة إلا قالوا : ما هذه الروح الطيبة ؟ فيقولون : فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بها فى الدنيا حتى ينتهون بها إلى السماء الدنيا ، فيستفتحون له فيُفتح لهم فيشيعه من كل سماء مُقرَّبوها إلى السماء التى تليها حتى ينتهون به إلى السماء السابعة ، فيقول الله عَزَّ وجَلَّ : اكتبوا كتاب عبدى

---

(١) سورة العلق : ٦ - ٨

(٢) المسند : ٤/٢٨٧ ، وإسناده صحيح ، كما أخرجه أبو داود مختصراً برقم (٣٢١٢) .

فى علِّيين وأعيدوه إلى الأرض فإنى منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أُخرجهم تارة أُخرى . قال : فتعاد روحه فى جسده فيأتيه مَلَكان فيُجلسانه فيقولان له : مَن ربك ؟ فيقولُ : ربى الله ، فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : دينى الإسلام ، فيقولان له : ما هذا الرجل الذى بُعِثَ فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله ﷺ ، فيقولان له : وما علمك ؟ فيقول : قرأتُ كتاب الله فآمنتُ به وصدَّقتُ ، فينادى مناد من السماء : أنْ صدق عبدى فأفرشوه من الجَنَّة ، وألبسوه من الجنَّة ، وافتَحوا له باباً إلى الجنَّة ، قال : فيأتيه من روحها وطيبها ويُفسح له فى قبره مدَّ بصره ، قال : ويأتيه رجل حسنُ الوجه ، حسنُ الثياب ، طيبُ الريح فيقول : أبشر بالذى يَسُرُّك هذا يومك الذى كنتَ تُوعَد ، فيقول : مَن أنت ؟ فوجهك الوجه يجئ بالخير ، فيقولُ : أنا عملك الصالح ، فيقولُ : ربِّ أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلى ومالى » .

قال : « وإن العبد الكافر إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة ، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه ، معهم المُسوح فيجلسون منه مدَّ البصر ثم يجئ مَلَك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقولُ : أيتها النفس الخبيثة ؛ اخرجى إلى سخط من الله وغضب ، قال : فتُفرَّقُ فى جسده فينتزعها كما يُنتزع السَّفودُ من الصوف المبلول فيأخذها ، فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طَرْفة عَيْن حتى يجعلوها فى تلك المُسوح ، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وُجدَت على وجه الأرض ، فيصعدون بها فلا يمرون على ملإٍ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيثة ؟ ، فيقولون : فلانُ ابن فلانٍ بأقبح أسمائه التى كان يُسمى بها فى الدنيا ، حتى يُنتهَى بها إلى السماء الدنيا ، فيُستفتح له فلا يُفتح له ، ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ (١) ، فيقول الله عزَّ وجلَّ : اكتبوا

---

(١) سورة الأعراف : ٤٠ ، ونصها : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ، وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴾ .

كتابه فى سجِّين من الأرض السُفْلَى ، فتطرحُ روحه طرحاً ، ثم قرأ : ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ (١) ، فتُعاد روحه فى جسده ، ويأتيه مَلَكان فيُجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : هاه هاه ، لا أدرى . فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : هاه هاه ، لا أدرى . فيقولان له : ما هذا الرجل الذى بُعِثَ فيكم ؟ فيقولُ : هاه هاه ، لا أدرى . فينادى منادٍ من السماء : أنْ كذب فافرشوا له من النار ، وافتحوا له باباً إلى النار ، فيأتيه من حرِّها وسَمومها ، ويُضيَّق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ، ويأتيه رجلٌ قبيحُ الوجه قبيح الثياب مُنتنُ الريح فيقول : أبشر بالذى يسوءك هذا يومك الذى كنتَ توعد ، فيقول : من أنت ؟ فوجهك الوجه يجئ بالشر ، فيقول : أنا عملك الخبيث ، فيقول : ربِّ لا تُقِم الساعة » (انتهى الحديث الشريف) (٢) .

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (٣) ، ﴿ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴾ (٤) .

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾ (٥) .

فاتقوا الله عباد الله . . استعدوا لهذا المستقبل الرهيب ، تهيئوا لهذا الطريق الذى لا بد من سلوكه ، استيقظوا من الرقدة وانتبهوا من الغفلة ، أعطوا آخرتكم حقها كدار خلود ومقر ، وأعطوا دنياكم حقها كدار متاع إلى الآخرة

---

(١) سورة الحج : ٣١

(٢) هو من حديث البراء بن عازب رضى الله عنه أخرجه الإمام أحمد فى المسند : ٤/ ٢٨٧ ، وأبو داود برقم (٣٢١٢) .

(٣) سورة (ق) : ٣٧

(٤) سورة عبس : ١١ - ١٢

(٥) سورة المزمل : ١٩

وممر ، والجأوا إلى مُقَلِّب القلوب واسألوه الثبات ، يا مُقَلِّب القلوب ، ثَبِّت قلوبنا على طاعتك .

اللَّهُمَّ ثبِّتنا بالقول الثابت فى الدنيا وفى الآخرة .

والصلاة على الميت من محاسن دين الإسلام ، يدعون لأخيهم ويودعونه إلى مثواه الأخير ، فما من أربعين رجلاً يقومون على جنازة مسلم إلا شفَّعهم الله فيه ، وصفة الصلاة على الميت كما هو معمول به الآن فى هذا المسجد وغيره من مساجد المسلمين : يُكَبِّر المُصَلَّى أربع تكبيرات ، يقرأ بعد الأولى سورة الفاتحة ، وبعد الثانية يُصَلِّى على النبى ﷺ كما فى التحيات ، وبعد الثالثة يدعو للمسلمين عموماً وللميت الحاضر خصوصاً ، وبعد الرابعة يُسَلِّم .

والصغير يُدْعى لوالديه ، وإذا فات أحدٌ بعض التكبيرات ، إن شاء قضاها بعد سلام الإمام ، وإن شاء سَلَّم مع الإمام .

اللَّهُمَّ إنَّا نعوذ بك من عذاب النار وعذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن فتنة المسيح الدجَّال (١) .

اللَّهُمَّ إنَّا نستغفرك ونتوب إليك ، فاغفر لنا ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

(١) من دعاء النبى ﷺ أخرجه الشيخان فى صحيحيهما : البخارى : ٢/٣٦٣ ، ومسلم فى الصحيح برقم (٥٨٩) ، وذلك من حديث عائشة رضى الله عنها .

بسم الله الرحمن الرحيم

الاتعاظ بالموت

(الخطبة الثانية)

الحمد لله أحمده وأستعينه ، وأستغفره ، وأتوب إليه .

ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا : ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، له الأوَّلين والآخرين ، وإليه مرجع الخلق أجمعين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله إمام المتقين وقائد الغر المحجلين .

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فكان الناس إذا مات فيهم الميت اتعظوا ، تذكروا واعتبروا ، أما فى وقتنا هذا فبعض الناس يمشى فى الجنازة وكأنه فى حفلة زفاف ، حديثهم فى أُمور الدنيا والمباهاة بها ، وكأن الموت لذلك المحمول وحده وهم منه آمنون ، وما ذلك إلا للغفلة وطول الأمل ، وضعف الإيمان بما بعد هذه الحياة ، غشتهم سَكْرة الحياة الدنيا ، فصرفتهم عن التفكير فى مصيرهم المحتوم .

وليس هذا من العقل ولا من الذكاء .

---

(١) سورة الكهف : ١٧

فاتقوا الله أيها الناس ، تذكروا بيت الغُرْبة والوحْدة ، تذكروا بيت التراب والدود ، تذكروا بيت الوحشة والضيق ، ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ﴾ (١) .

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ (٢) .

فتوبوا إلى الله قبل أن تموتوا ، الجنَّة أقرب إلى أحدكم من شِراك نعله والنارُ مثلُ ذلك (٣) ، ما من أحد يموت إلا ندم ، إن كان محسناً ندم يود لو أنه ازداد ، وإن كان مسيئاً ندم على عمله وتفريطه يود أنه تاب ، فتوبوا إلى الله وبادروا بالأعمال الصالحة ، خذوا من صحتكم لمرضكم ، ومن شبابكم لهرمكم ، ومن فراغكم لشغلكم ، ومن حياتكم لموتكم ، وصِلوا الذى بينكم وبين ربكم بكثرة ذكره وشكره وبكثرة الصدقة ، تُرزقوا وتُنصروا وتُجبروا ، الكَيِّسُ مَن حاسب نفسه ، وأتبع السيئة الحسنة ، وعمل لما بعد الموت ، والعاجز مَن أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى (٤) .

وصَلُّوا على البشير النذير . . . . . .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (٥) .

* * *

---

(١) سورة الجمعة : ٨

(٢) سورة النساء : ٧٨

(٣) البخارى مع الفتح ١١/ ٢٧٥ : الرقاق ، باب : « الجنَّة أقرب إلى أحدكم . . . . » من حديث ابن مسعود رضى الله عنه .

(٤) أحمد فى المسند : ٤/ ١٢٤ من حديث شداد بن أوس رضى الله عنه وإسناده ضعيف .

(٥) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٥٢ - الاستعداد للاختبار الأكبر (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٢) ، ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٣) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله الملك الحق المبين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين .

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فأُوصيكم وإياى بتقوى الله تعالى ومراقبته فى السر والعلانية ، فإنه يرانا ويسمع نجوانا ويعلم ما تخفيه نفوسنا ، إنه عليم بذات الصدور .

عباد الله ؛ فى هذه الأيام تُكَرَّس الجهود من الآباء والأبناء ، ويتعاون أفراد الأسرة مع الطالب على الجد والمذاكرة ، وتحمل السهر والمشقة ، استعداداً لاختبار الدراسة ، طلباً للنجاح وخوفاً من الرسوب ، لأن النجاح فيه عِزَّة النفس ورفعتها ومنافسة الأقران ، وفيه علامة النجابة والذكاء ، كما أن الرسوب فيه من المساوئ ضد ما فى النجاح من المحاسن ، فالاستعدادُ

---

(١) ألقيت يوم ٦/٦/١٣٩٦ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) سورة الأعراف : ١٢٨

للاختبار وبذلُ أسباب النجاح أمر رشيد وعمل مطلوب ، فيه إحساس بالمسئولية وتطلع إلى مستقبل زاهر ، وحياة هنيئة وعيشة راضية .

أما الإهمال والتكاسل وإضاعة الوقت فيما لا ينفع كاللَّعب واللَّهو ، فهو أمر مذموم وسفه وترك للواجب ، وتعرض للفشل والخمول ، وما دام أن الاختبار الدراسى أمر مخيف يحمل على الخوف والرجاء ويحث الطالب النجيب على فعل أسباب النجاح ، فينبغى أن نأخذ من هذا درساً وعبرة للاختبار الأعظم ، والهول الأكبر ، إنه الاختبار النهائىُ للعالَم كله الشاملُ لجميع الخلائق ، يوم تُبلَى السرائر وتُخرَجُ مكنوناتُ الضمائر ؛ إنه هو الامتحان الحقيقى ، فنجاحه هو النجاح الحقيقى ، ورسوبه هو الرسوب الحقيقى ، فمَن نجح فيه سعد سعادة أبدية لا سقوط بعدها أبداً ولا فشل بعدها أبداً ، ومَن رسب فيه شقى شقاوة الذُّل والهوان وأُلْبِسَ ثوب الخزى والعار والتبار .

فهذا هو الاختبار الذى يجب أن نتذكره دائماً ، وأن نتعاون على جمع الجهود لتحصيل أسباب النجاح فيه ، إنه اختبار لا غش فيه ولا مخادعة ، وليس فيه إعانة ولا مداهنة ، وليس له دور آخر للمذاكرة ، ولا فرصة للعمل مرة ثانية ، ولا مفر منه إلى جهة أُخرى ، إنما هو أمر محتوم لا بد من مروره على كل إنسان ، صحائف مدوَّنة ثابتة ، وشهاداتٌ قائمة عادلة ، وموازين عدل موضوعة ، وحكم بالقِسْطاس المستقيم ، وليس هناك إلا رحمة أرحم الراحمين ، والإذن بشفاعة سيد المرسلين .

أيها المسلمون ؛ يجب أن نكون صرحاء ونتساءل : هل عملنا لذلك الاختبار المحتوم كما عملنا لهذا الاختبار المقسوم ؟

هل عرَّفنا أبناءنا بذلك الاختبار الأكبر ، وحَثَّيناهم على العمل من أجله ، كما عرَّفناهم بهذا الاختبار القريب ؟

هل يتمعر وجه الأب إذا رأى إهمال ابنه فى أُمور دينه ، وعمل آخرته ، كما يتمعر وجهه إذا رأى إهماله فى دراسته ؟

هل عرَّفناهم بواجبات دينهم وحقيقة عقيدتهم ؟

هل حمينا عقيدتهم من البدع والشكوك ، أم هل حثَّيناهم على العمل بالعلم النافع الذى علموه ؟

هل أمرناهم باحترام أوقات الصلاة وأدائها فيها كما حملناهم على اتباع مواعيد الدراسة وأوقات الاختبار ؟

إن بعض الناس قد لا يهتم بأُمور الآخرة مثلما يهتم بأُمور الدنيا ، وما ذلك إلا لإيثار الدنيا على الآخرة ، ولأن إيمانه بالمظنون المشاهَد أقوى من الإيمان بالوعد الحقيقى ، وهذا هو ضعف اليقين بما أخبر عنه المصطفى صلى الله عليه وسلم من الوعد والوعيد والعقاب والثواب ، ولو آمن الإنسان حقيقة الإيمان لوجد الفرق شاسعاً بين أُمور هذه الدنيا وأسبابها ، وبين ما أخبر عنه صلى الله عليه وسلم من أُمور الآخرة وجزائها .

فمثلاً الشهادات الدراسية التى يسعى لها كل طالب ويتمناها له ولى أمره ، قد يرجو بها رفعة بين أبناء جنسه ، وسعة فى رزقه ، وراحة لبدنه ، وخدمة لأُمته ، وتقوية لإدراكه ومفاهيمه ، ولكن هل هذه الأمانى محقَّقٌ حصولها ؟ قد تحصل وقد لا تحصل ، وأما ما أخبر عنه نبينا محمد ﷺ من الثواب على العمل الصالح والعقاب على العمل السيئ ، فهو محتَّمٌ وقوعه لا محالة ، والحال والواقع شاهد بذلك ، فكم من طالب شهادة أدركته المَنيَّة قبل أن ينالها ، وكم من حامل شهادة لم تزده إلا جهلاً بنفسه ، وجهلاً بتعاليم دينه ، وجحوداً لربه ، وكفراً بحقوق والديه وأقاربه ، أكسبته غروراً وتكبراً فلم تزده إلا ذلَّة وهواناً عند الله تعالى ، ثم عند خلقه ، وكم من صاحب شهادة عالية أخفق فى عمله وفشل فى أداء واجبه ، بينما هناك إنسان آخر ليست عنده

شهادة وهو عامل ناجح وبطل مظفر ، ورجل اقتصاد موفق خدم بلاده وأُمته وأدَّى عمله على أحسن ما يرام ، قد أعطاه الله ما لم يخطر على باله وما لم يتطلع إليه ، ذلكم بأن الأُمور كلها بيد الله يُصَرِّفها كيف يشاء ، فقد تنفع الأسباب وقد لا تنفع ، ومع هذا فإن فعل الأسباب واجب ، لكن ينبغى ألا نشتغل بالأسباب المظنونة عن الأسباب القطعية ، فإن ما أخبر عنه المصطفى ﷺ من الثواب على العمل الصالح والعقاب على العمل السيئ أمر مُحقَّق وقوعه مُحتَّم حصوله ، فهو الصادق المصدوق أخبر عنه ربه تبارك وتعالى ، ومَن أحسن من الله حديثاً (١) ، ومَن أصدق من الله قيلاً (٢) ، إنه وعد الله والله لا يخلف الميعاد (٣) : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ (٤) ، ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ (٥) ، ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (٦) .

فاتقوا الله أيها المسلمون . . خذوا من دنياكم عبراً لما فى آخرتكم ، واعلموا أنه ليس فى الدنيا مما فى الآخرة إلا مجرد الأسماء ، فكما إنكم تعملون لإصلاح دنياكم اعملوا أيضاً لإصلاح آخرتكم ، ولا تؤثروا الفانية

---

(١) إشارة إلى حديث ابن مسعود وجابر رضى الله عنهما أخرجه مسلم وغيره ، وهو من خطبة النبى ﷺ (انظر الفتح : ١٠/ ٥١١) .

(٢) إشارة إلى الآية ١٢٢ من سورة النساء .

(٣) إشارة إلى الآية ٣١ من سورة الرعد .

(٤) سورة النمل : ٨٩ - ٩٠

(٥) سورة الأنعام : ١٦٠

(٦) سورة فصلت : ٤٦

على الباقية ، ولا المظنون على المحتوم ، واستعينوا بالله فى جميع أُمور دينكم ودنياكم ، واسألوه الهداية والتوفيق والثبات .

ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .

اللَّهُمَّ إنَّا نسألك التوفيق لكل قول سديد ، والهداية لكل عمل رشيد ، ونسألك الفوز والنجاح يوم الوعيد ، ونستغفرك من ذنوبنا ، فاغفر لنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

بسم الله الرحمن الرحيم

السفر إلى بلاد الكفر

(الخطبة الثانية)

الحمد لله على نعمة الإسلام .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ نبينا محمداً عبده ورسوله .

صَلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعهم وسَلَّم تسليماً كثيراً .

أما بعد . .

فإن أعظم نعمة يتمتع بها المسلم هى نعمة الإسلام ، ففيه السعادة والعِزَّة والكرامة ، يسمو بالإنسان إلى شرفات المجد والسيادة ، ولا يرضى لأهله بالذلَّة والهوان ، من أجل ذلك شُرِعت الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام ، محافظة على القِيَم الإسلامية ، ولذلك لا يجوز لمن أنعم الله عليه بنعمة الإسلام وعاش فى محاسنه وفضائله ، أن يسافر إلى بلد قد ضعف فيها سلطان الإسلام ، وتقلصت فيها فضائله ومكارم أخلاقه ، إلا لحاجة مشروعة ، أو لضرورة مُلِحَّة ، مع المحافظة على محاسن دينه ، وشِيَم أخلاقه ، وحفظ سمعه وبصره وجوارحه : ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ (١) .

أما السفر إلى بلاد غير مسلمة ، أو ضعف فيها سلطان الإسلام بدون مصلحة مشروعة مباحة فلا ينبغى ، لأن المسلم سيذهب بعقيدته ومحاسن دينه وسيرى أضدادها ، فيقع بين أمرين : إما أن يكون كارهاً لما يتنافى مع تعاليم

---

(١) سورة الإسراء : ٣٦

دينه مُبغضاً لها ، فلأى شىء يذهب إذاً ؟ وإما أن يستحسن ما يراه ويقبله قلبه فقد وقع فى المحذور ، وصاده الفخ العقور ، ثم لا يدرى الإنسان ماذا يحصل له ، فقد تدركه المَنيَّة وهو على حال غير مرضية فيهلك مع الهالكين ، وقد يتأثر بما يراه ويسمعه فى دينه وعقيدته ونفسيته ، وإذا كان المراد هو النزهة والاصطياف ، ففى بلادنا مصائف أحسنُ من غيرها مع السلامة على العقيدة والدين والأخلاق الحسنة ، فبقى التعاون على تهيئتها وتشييدها ، والاستغناء بها عن غيرها .

فاتقوا الله أيها المسلمون . . ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ ﴾ (١) .

وصلُّوا على البشير النذير والسراج المنير ، فقد أمرنا الله بذلك فى كتابه العزيز ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (٢) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم وبَارِكْ وأنْعِم على عبدك ورسولك نبينا محمد صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر .

وارض اللَّهُمَّ عن الأربعة الخلفاء الراشدين الهاديين المهديين : أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلىّ ، وعن بقية أصحاب نبيك أجمعين ، وزوجاته أُمهات المؤمنين ، وأهل بيته الطيبين الطاهرين ، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللَّهُمَّ ارض عنا معهم بمَنِّك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

---

(١) سورة المائدة : ٢

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلام والمسلمين ، وأذلَّ الشِّرك والمشركين ، ودَمِّرْ أعداء الدين ، واحم حَوْزة الإسلام يا رب العالمين .

اللَّهُمَّ أدِمْ الأمن فى أوطاننا ، واحفظ إمامنا وولاة أُمورنا ، ووفقهم لما تحب وترضى ، واجعلهم عزاً للإسلام والمسلمين يا رب العالمين .

اللَّهُمَّ اهد جميع ولاة المسلمين وأخرجهم من الظلمات إلى النور

اللَّهُمَّ اغفر لجميع المسلمين ، الأحياء والميتين .

اللَّهُمَّ فَرِّج هم المهمومين ، واشف مرضى المسلمين ، واقض الدَّيْن عن المدينين ، واكتب النصر والتأييد لجنود المسلمين : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١) .

فاذكروا الله العظيم يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم ، ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (٢) .

* * *

(١) سورة النحل : ٩٠

(٢) سورة العنكبوت : ٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

٥٣ - صفات المتقين (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ (٢). مُجِيبُ الدعوات ومُقِيل العثرات .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، سيد الأوَّلين والآخرين .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اهتدى بهَدْيه واتبَّع سبيله إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فأُوصيكم وإياى بتقوى الله ، فإن الجنَّة أعدت للمتقين ، وإنما يغفر الله للمتقين ، ولا يفلح إلا المتقون ، والتقوى تعتمد على الإيمان الصادق ، فغير المؤمن لا يتقى الله ولا يرجوه .

وكل مؤمن يُحب أن يكون من المتقين الذين أُعِدَّت لهم جنات النعيم ، بل يُحب أن يكون من المحسنين القريبين من رحمة الله رب العالمين ، والقرآن الكريم كثيراً ما يَحُث على التقوى ويُبيِّن صفات المتقين ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ

---

(١) ألقيت يوم ٨/٦/١٤٠٧ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢ - ٣

أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ (١) .

المسارعة إلى مغفرة الله وجنَّته تكون بالمبادرة إلى فعل الخيرات التى شرعها نبينا محمد ﷺ والتقرب بها إلى الله ، وتكون بترك المنكرات والابتعاد عن معصية الله ومعصية رسوله ﷺ ، وهذا هو منهج الإسلام الذى جعله الله نظاماً لهذه الحياة وطريقاً مستقيماً مُوصِّلاً إلى الله .

وقد اشتملت تلك الآيات على أربع صفات من صفات المتقين :

الأولى : ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾ (٢) يبذلون المال على حُبِّه إلى الأقرباء والمحتاجين ، ولا تبطرهم السرَّاء وكثرة المال فتلهيهم عن البِرِّ والمواساة ، ولا تضجرهم الضرَّاء فتنسيهم العطاء ، خُلُقهم الإحسان إلى الناس فلا يحقرون من المعروف شيئاً .

الصفة الثانية :﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ ﴾ (٣) ، يقال : كظم غيظه إذا سكت عليه ولم يُظْهره لا بِقَول ولا بفعل ، والغيظ هو الغضب . وغيظ الإنسان انفعال بَشَرى تصاحبه فَوْرة الدم والتحرك إلى الانتقام والانتصار ، ولا يُسَيْطر الإنسان على غضبه إلا بالقوة الروحية المنبعثة من تقوى الله والتطلع إلى ما هو

---

(١) سورة آل عمران : ١٣٣ - ١٣٦

(٢) سورة آل عمران : ١٣٤

(٣) النهاية : ٤/ ١٧٨ - والآية من سورة آل عمران : ١٣٤

أعلى من الانتصار والانتقام ، وإلى ما عند الله من الجزاء والثواب ، وهذا من أقسام الصبر والحِلْم : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١) .

قال عليه الصلاة والسلام : « ليس الشديد بالصُّرَعة ولكن الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب » (رواه الإمام أحمد عن أبى هريرة ، ورواه البخارى ومسلم عن مالك بن أنس) (٢) .

وروى أحمد فى مسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله » ؟ قالوا : يا رسول الله ؛ ما منا أحد إلا وماله أحب إليه من مال وارثه ، قال : « اعلموا أنه ليس منكم أحد إلا مال وارثه أحب إليه من ماله ، ما لَكَ من مالك إلا ما قدَّمت ، وما لوارثك إلا ما أخَّرت » (٣) .

قال : ثم قال عليه الصلاة والسلام : « ما تعدون الصُّرَعة فيكم » ؟ قلنا : الذى لا تصرعه الرجال ، قال : « لا ، ولكن الذى يملك نفسه عند الغضب » (٤) .

وقال رجل : يا رسول الله ؛ أوصنى ، فقال عليه الصلاة والسلام : « لا تغضب » (٥) ، قال الرجل : ففكَّر ، فإذا الغضب يجمع الشر كله .

---

(١) سورة الزمر : ١٠

(٢) البخارى مع الفتح : ١٠/ ٤٣١ : الأدب ، من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، ومسلم برقم (٢٦٠٩) .

(٣) البخارى فى الصحيح مع الفتح : ١١/ ٢٢١ : الرقائق ، من حديث ابن مسعود رضى الله عنه ، وأحمد فى المسند : ١/ ٣٨٢

(٤) البخارى : ١٠/ ٤٣١ : الأدب ، من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

(٥) الموطأ للإمام مالك : ٢/ ٩٠٦ فى حُسن الخُلُق ، باب : ما جاء فى الغضب ، والبخارى فى الصحيح : ١٠/ ٤٣١ ، الأدب ، باب : الحذر من الغضب ، ومسلم برقم (٢٦٠٩) فى البر والصلة .

والغضب إحدى الصفات التكوينية فى الإنسان ، وقد يكون مطلوباً محموداً أحياناً ، وهو الغضب لله وتمعر الوجه إذا انتهكت محارم الله ، وما عدى ذلك فهو مذموم ، وقد جعل الله لكل داء دواءً ، فأرشد النبى ﷺ إلى علاج الغضب بثلاثة أنواع من العلاج ، فقال عليه الصلاة والسلام : « إنَّ الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان خُلِقَ من النار ، وإنما تُطفأ النار بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ » (رواه أبو داود) (١) .

وروى البخارى ومسلم عن سليمان بن صُرد رضى الله عنه قال : استبَّ رجلان عند النبى ﷺ ، فجعل أحدهما يغضب ويحمر وجهه وتنتفخ أوداجه ، فنظر إليه النبى ﷺ فقال : « إنى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ذا : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » (٢) .

وقال أبو ذر رضى الله عنه : إن رسول الله ﷺ قال : « إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس ، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع » . (رواه أبو داود) (٣) .

الصفة الثالثة من صفات المتقين : قوله : ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ (٤) . قال ابن كثير : أى - مع كف الشر - يعفون عمن ظلمهم فى أنفسهم ، فلا يَبْقى فى أنفسهم موجدةٌ على أحد ، وهذا أكمل الأحوال ، فإذاً لا يكفى

---

(١) الإمام أحمد فى المسند : ٤/٢٢٦ ، وأبو داود فى السنن برقم (٤٧٨٤) فى الأدب ، وإسناده حسن مع الشواهد . . . وهو من حديث عطية السعدى رضى الله عنه .

(٢) البخارى مع الفتح : ١٠/٤٣١ فى الأدب ، باب : الحذر من الغضب ، ومسلم برقم (٢٦١٠) فى البر والصلة .

(٣) أبو داود برقم (٤٧٨٢) : « إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس » ، وصححه ابن حبان كما فى الموارد برقم (١٩٧٣) من حديث أبى ذر رضى الله عنه وإسناده حسن .

(٤) سورة آل عمران : ١٣٤

كظم الغيظ ، بل لا بد معه من العفو والصفح ، فقد يكظم غيظه فيتحوَّل الغيظ الفائر إلى إحنة غائرة ، ويتحوَّل الغضب الظاهر إلى حقد دفين ، والحقد أشد خطراً وأقبح خُلُقاً من الغضب ، فلا بد إذاً مع كظم الغيظ من العفو والسماحة ، وذلك خير لمن يعفو ويصفح ، والعفو من شِيَم الكرام ، فإن الغيظ حِمْلٌ ثقيل على النفس حين تكتمُه ، وشواظ يحرق القلب حين يكظمه ، فإذا عفا المظلوم انطفأت النار واستراح القلب وزكت النفس وانشرح الصدر .

وهذه الصفات الثلاث من صفات المحسنين ، والله يحب المحسنين .

الصفة الرابعة من صفات المتقين : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (١) . قال الإمام الرازى فى التفسير الكبير عن ابن مسعود قال : قال المؤمنون للنبى ﷺ : كانت بنو إسرائيل أكرمَ على الله منَّا ، فكان أحدهم إذا أذنب ذنباً أصبحت كفَّارة ذنبه مكتوبة على عتبة بابه : اجدع أنفك ، افعل كذا ، افعل كذا ، فأنزل الله هذه الآية وبيَّن أنهم أكرم على الله منهم ، حيث جعل كفَّارة ذنبهم الاستغفار (٢) .

إن المتقين فى أعلى مراتب المؤمنين ، ولكن رحمة الله وسماحة شرعه

---

(١) سورة آل عمران : ١٣٥

(٢) أورد هذه الرواية السيوطى فى الدر المنثور : ٢/٣٢٦ إذ قال : أخرج ابن المنذر عن ابن مسعود ، أنه ذكر عنده بنو إسرائيل وما فضَّلهم الله به ، فقال : كان بنو إسرائيل إذا أذنب أحدهم ذنباً أصبح وقد كتبت كفَّارته على أسكفة بابه ، وجُعلَت كفَّارة ذنوبكم قولاً تقولونه ، تستغفرون الله فيغفر لكم ، والذى نفسى بيده لقد أعطانا الله آية لهى أحب إلىَّ من الدنيا وما فيها : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً ﴾ .... الآية » .

قلت : الرواية موقوفة على ابن مسعود والإسناد لم أطلع عليه ، والله أعلم بصحته .

جعلت فى عداد المتقين الذين : ﴿ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ ﴾ (١) ذكروا عظمة الله وكبرياءه وغضبه وعقابه فهرعوا إليه ، وذكروا رحمة الله وفضله وإحسانه فطمعوا فيما عنده فأسرعوا إليه ، فجزاؤهم عند الله مغفرته وجنَّاته ، والفاحشة أبشع الذنوب وأعظمها ، ولكن سماحة هذا الدين لا تطرد الذين استَهْوتهم الشياطين وغلبتهم الشَّهْوة من رحمة الله إذا تابوا ، ولا تجعلهم فى مؤخرة الرَّكْب إذا نصحوا ، وإنما ترفع بهم التوبة إلى مرتبة المتقين .

وهكذا أُسلوب القرآن فى تربية البَشَر : لا يُغْلِق فى وجه هذا الإنسان الضعيف باب التوبة ، ولا يطرده إلى التيْه ، ولا يتركه حائراً بائساً يائساً ، إنه يُطمعه فى العودة إلى صراط الله ، ويدله على الطريق ، ويأخذ بيده الخائفة المرتعشة ، ويسند خطوته المتعثرة ، ليئوب إلى حِمَى الله الآمن ، وليرجع إلى كَنَف الله الغفور الرحيم .

إن الطفل إذا أخطأ وعرف أنه ليس فى الدار إلا السَّوْط يسرح آبقاً ما وجد مفراً ، أما إذا كان يعلم بجانب السَّوْط يداً رحيمة مشفقة ومربياً حكيماً ، يقبل العذر ويعفو ويصفح ويبذل الإحسان ، أسرع إذاً الطفل إلى البيت .

وهكذا يأخذ الإسلام هذا الإنسان فى لحظات ضعفه فيرفعه من مهابط المعصية إلى معالى الطاعة ، ومن مسالك الضيعة إلى صراط الهداية ، بشرط أن يكون ذلك الإنسان يذكر الله فلا ينساه ، ولا يُصر على معصيته ، فإن الإصرار على المعصية ، وإن كانت صغيرة يجعلها كبيرة ، وإن كانت كبيرة جعلها مهلكة .

والإسلام بهذه التربية لا يدعو إلى الترخص ولا يمجد العاثرين الهابطين ،

---

(١) نفس آية آل عمران (١٣٥) السابقة بلفظ : ﴿ وَٱلَّذِينَ .... ﴾ .

وإنما يُقيل عَثْرة الضعيف ويقبل الاعتذار ، أما الذين يُصرِّون على المعاصى ويستهترون بالقِيَم ويعبثون بالمقدَّسات ويَغْمطون الحقوق ، فلهم تربية أُخرى وأُسلوب آخر : الحدود والعقوبات والعذاب المضاعَف يوم المعاد : ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (١) .

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم . . . . . إلى آخر الدعاء .

* *

(١) سورة الفرقان : ٦٨ - ٧٠

بسم الله الرحمن الرحيم

اتصال الخطيب بخطيبته قبل الخطبة محرم

(الخطبة الثانية)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١) ، طيِّبٌ يُحب الطيبين .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، يُحب الطاهرين المتطهرين .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فقد ورد إلينا بضائع أخلاقية جاء بها أبناء الإسلام إلى بلاد الإسلام وهى بضائع فاسدة خربانة لا رواج لها فى بلادنا ، ولله الحمد فهى كاسدة ممقوتة ، ولكن قد تصادف صاحب هوىً فاجراً غادراً ، أو مخدوعاً مغروراً . من هذه البضائع التى صنعها أعداء الإسلام وروَّجوها لتحطيم القِيَم والشِيَم والأخلاق ، ألا وهى اتصال الخطيب بخطيبته والخلوةُ بها ، بل والسفر بها ، بدعوى معرفة السلوك والأخلاق قبل الارتباط بعقدة النكاح ، إنَّ الخاطب لا زال أجنبياً من المرأة قبل العقد ، وليس بمَحْرَم لها ، وقد حرَّم الإسلام خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية فضلاً عن السفر بها ، وما خلا رجل بالمرأة الأجنبية إلا كان الشيطان ثالثهما (٢) ، ويجب أن يُعلم أن الإسلام لا يتهم المرأة كما يقول بعض دعاة

---

(١) سورة الفاتحة : ٢

(٢) هذا مستنبط من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن رسول الله ﷺ أخرجه الإمام أحمد فى المسند فى هذا المعنى : ٢/١٨٦ ، وإسناده حسن ، والله أعلم .

التحلل وإسقاط الأخلاق ، وإنما يحافظ على كرامة المرأة وعزَّتها وسيمتها وأنوثتها وحياتها وشهامتها .

وكم من قصة حصلت بغدر الخاطب بخطيبته حتى إذا أخذ شرفها وفتك بسِلْعتها تخلَّى عنها ، وقد تكون الخطبة من أجل ذلك ، فحرام على المرأة أن تخلو بخطيبها ، وحرام أن تخرج معه إلى النزهة ، وحرام أن تسافر معه ، وحرام على الخاطب كذلك ، وحرام على ولى أمرها أن يهملها وأن يتركها ورغبتها ، وحرام على المجتمع المسلم أن يترك نظام الإسلام وتوجيهاته ويأخذ بدسائس أعدائه .

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾

(اقرأوا الآية) (١) .

واتقوا الله أيها المسلمون ، وصَلُّوا على البشير النذير .....

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٢) .

* * *

(١) سورة النور : ٣٠ - ٣١

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٥٤ - إفشاء السلام [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٢] . . هو السلام ومنه السلام .

اللَّهُمَّ حَيِّنَا ربَّنا بالسلام [٣] ، وأدخلنا الجنَّة دار السلام .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، هو الملك القدوس السلام [٤] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله نبى الرحمة ورسول السلام .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد . .

فإن للإسلام آداباً وفضائل ، وللمسلم على أخيه المسلم حقوقاً وواجبات ، وإنَّ من أهم آداب الإسلام ترابط الأُخوة وتآلف القلوب وتبادل المودَّة بين المؤمنين .

ومن أهم الحقوق ما يُقوِّى الصلة بين المسلمين ويحث على المحبة والمودَّة ، وهو إفشاء السلام .

---

(١) ألقيت يوم ١٠/ ١٠/ ١٤٠٢ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى حديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ : مسلم فى الصحيح ، المساجد ، حديث رقم (١٣٥) خاص وعام (٥٩١) .

(٤) إشارة إلى الآية ٢٣ من سورة الممتحنة .

روى مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تدخلوا الجنَّة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تُحابُوا ، ألا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم : أفشوا السلام بينكم » (١) .

إنَّ إفشاء السلام بين المسلمين من أسباب التآلف والتآخى والتعاون ، وهو مفتاح المودَّة والتعاطف ، ففيه تكمن الأُلفة ، وفيه إظهارُ لشعار المسلمين الذى يميزهم عن غيرهم ، وفيه ترويض للنفس على محبة الناس ، والتواضع ، وإكرام الأُخوة فى الله ، وهو من شُعَب الإيمان .

روى البخارى فى صحيحه عن عمار بن ياسر رضى الله عنه أنه قال : « ثلاثٌ مَن جمعهن جمع الإيمان : الإنصاف من نفسك ، وبذل السلام للعالَم ، والإنفاق من الإقتار » (٢) .

ولا يختص السلام بالأقربين والأصدقاء والمعارف ، بل لكل مسلم سواء عرفته - أخى المسلم - أو لم تعرفه ، لأن الأُخوة الإسلامية هى أقوى الروابط وهى أوثق الصِّلاة .

روى البخارى فى صحيحه عن عبد الله بن عمرو : أنَّ النبى ﷺ قال له : « تقرأ السلام على مَن عرفت ومَن لم تعرف » (٣) .

---

(١) أخرجه مسلم فى الصحيح ، كتاب الإيمان ، حديث رقم (٩٣) خاص وعام (٥٤) ، وهو من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

(٢) أخرجه البخارى معلقاً من حديث عمَّار بن ياسر رضى الله عنه : الإيمان ، باب (٢٠) ، وبه عقد العنوان ، ثم ذكر اتصال هذا التعليق فى الفتح : ١/ ١٨٢ ، إذ قال : أخرجه الإمام أحمد فى كتاب الإيمان ، ومن طريق سفيان الثورى ، ورواه يعقوب بن شيبة فى مسنده ، ثم ذكره وذكر الفوائد على إسناده فأجاد وأفاد رحمه الله تعالى .

(٣) أخرجه البخارى : الإيمان ، حديث رقم (٢٨) ، وهو من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه تحت هذا الباب - أى العشرين - من الإيمان .

فما معنى السلام ؟ وما هو أكمل التحية ؟ وما حكم الابتداء بها ؟ وما حكم الرد ؟ وما هى آداب السلام ؟

أما السلام . . فهو اسم من أسماء الله تعالى كما فى آخر سورة الحشر [١] ، فهو سبحانه ينشر الأمن والسِّلم والاستقرار فى أرجاء الوجود ، وفى قلب المؤمن ، فمَن آمن به وتوكَّل عليه وعمل بشرائعه ، أنزل عليه السلم والأمن والراحة والسكون والاطمئنان النفسى .

روى البزَّار وغيره عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « السلام اسم من أسماء الله وضعه فى الأرض فأفشوه بينكم » [٢] ، فإن الرجل المسلم إذا مَرَّ بقوم فسلَّم عليهم ، فردوا عليه كان له عليهم فضل بتذكيره إياهم السلام ، فإن لم يردوا عليه رَدَّ عليه مَن هو خير منهم ، وفيه دعاء بهذا الاسم المبارك .

أما صيغة السلام فأكمله : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته بالجمع ، وإن كان المسلَّمُ عليه مفرداً ، وفيه ثلاثون حسنة بكل كلمة عشر حسنات [٣] ، فإن اقتصر على بعضها كفى ونقص الثواب .

وأما الابتداء بالسلام فهو سُنَّة مؤكدة ، وهو من حقوق المسلم على أخيه المسلم ، والبادى له الفضل والأجر ، والقُرْب من الله والقرب من الناس ، ويُشرع عند اللِّقاء والافتراق من المجلس .

---

(١) إشارة إلى الآية ٢٣ من سورة الحشر .

(٢) أورده العلامة أبو بكر الهيثمى فى مجمع الزوائد : ٨/ ٢٩ ، ثم علَّق عليه قائلاً : رواه البزار بإسنادين والطبرانى بأسانيد وأحدهما رجاله رجال الصحيح عند البزار والطبرانى ، وهو من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه .

(٣) إشارة إلى حديث أبى طلحة رضى الله عنه : مسلم فى الصحيح ، والإمام أحمد فى المسند : ٤/ ٢٩ ، وإسناده صحيح ، ونحوه من حديث عقبة بن عامر : أخرجه أحمد فى المسند : ٤/ ١٥٧

وأما رد السلام فهو واجب على الفور ما لم يكن عذر كصلاة أو فى خلاء فيرد إذا انتهى ، فيقول : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾ (١) .

ومن آداب السلام الابتداء به قبل الكلام ، ويُسَلِّم الصغير على الكبير ، والمار على القاعد ، والراكب على الماشى ، والقليل على الكثيرين (٢) ، ويُسَلِّم الرجل على أهل بيته : ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ﴾ (٣) .

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال لى رسول الله ﷺ : « يا بُنىّ ؛ إذا دخلتَ على أهلك فسَلِّم يكن بركة عليك وعلى أهل بيتك » (رواه الترمذى بإسناد صحيح) (٤) .

والسلام على الصبيان إذا مَرَّ بهم ، فعله النبى ﷺ (٥) ، وهذا من عظيم الخُلُق وكمال التواضع .

---

(١) سورة النساء : ٨٦

(٢) إشارة إلى حديث فضالة بن عبيد رضى الله عنه : أخرجه الدارمى فى سننه برقم (٢٦٣٧) ، وإسناده صحيح ، وقال المعلق : رواه أيضاً أحمد والنسائى والترمذى ، وصحَّحه ابن حبان والبخارى فى الأدب المفرد .

قلت : أخرجه الترمذى فى جامعه برقم (٢٧٠٥) من هذا الوجه واللفظ وقال : حديث حسن صحيح .

(٣) سورة النور : ٦١

(٤) أخرجه الترمذى فى جامعه برقم (٢٦٩٨) : الاستئذان ، وهو من حديث أنس ابن مالك رضى الله عنه ، وقال الترمذى : هذا حديث حسن غريب .

قلت : فى إسناده علىّ بن زيد بن جدعان وفيه ضعف ولكنه يُحتمل ضعفه ، وله شواهد كثيرة من الكتاب والسُّنَّة .

(٥) إشارة إلى حديث أنس بن مالك رضى الله عنه : الترمذى فى جامعه برقم (٢٦٩٦) : الاستئذان ، باب رقم (٨) ، وعنوانه : ما جاء فى التسليم على الصبيان ، وقال الترمذى : حديث حسن صحيح .

وأما سلام الرجل على النساء فإذا أُمِنتَ الفتنة جاز ، فيُسَلِّم على محارمه وعلى كبيرة فى السن ، والكلام بالهاتف كاللِّقاء والدخول ؛ يُسلِّم الطالب على المطلوب .

عباد الله ؛ ما أجمل تحية الإسلام : « السلام عليكم ورحمة الله وبركاته » لم يبق خير فى الدنيا والآخرة إلا اشتملت عليه ، فأى شىء أكمل وأجمل منها : سلام ، ورحمة ، وبركة .

فاتقوا الله عباد الله ، تأدَّبوا بآداب إسلامكم وتحلوا بأخلاق دينكم ، واعتزوا وافخروا بإسلامكم فإنكم أقرب الناس إلى ربكم بإيمانكم وتراحمكم .

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم وسُنَّة سيد الأوَّلين والآخرين ، واغفر لنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

بسم الله الرحمن الرحيم

المصافحة فى السلام من السُّنَّة

(الخطبة الثانية)

الحمد لله على نعمة الإسلام .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ نبينا محمداً عبده ورسوله سيدُ الأنام .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد . .

فإن مصافحة الرجال فيما بينهم فى السلام من تمام التحية وتوثيق الأُخوة وجلب المودَّة .

روى البخارى والترمذى عن قتادة قال : قلت لأنس بن مالك رضى الله عنه : أكانت المصافحة فى أصحاب رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم (١) .

والمعانقة عند قدوم أحدهما من سفر أو مناسبة من الصفات الحميدة والأخلاق الحسنة وزيادة فى التحية والإكرام .

والمعانقة هى مقابلة صفحة العُنُق بصفحة العُنُق ، وأما التقبيل فإن

---

(١) أخرجه البخارى فى الصحيح : الاستئذان ، باب رقم (٢٧) وعنوانه : المصافحة وحديث رقم (٦٢٦٣) ، وهو من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه ، وهذا لفظ البخارى ، وللترمذى عن أنس رضى الله عنه بغير هذا اللفظ بمعناه ، وأورده الحافظ فى الفتح : ١١/ ٥٥ وقال : أخرجه الترمذى وقال : حسن .

الولد يُقَبِّل يد أبويه والرأس ، وكذلك الطالب يُقَبِّل يد ورأس شيخه ونحو ذلك (١) .

والتقبيل فى غير الفم ، أما الفم فإنه للزوج ، ويجوز تقبيل القادم من السفر بين عينيه أو مع رأسه وملازمته ، والقيام للاستقبال جائز لإظهار المحبَّة والمودَّة ، لا للتعظيم والتفخيم .. هذه من آداب التحية ، وإظهار المحبة والرحمة .

فاتقوا الله أيها المؤمنون ، واعلموا أنَّ الله أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه ، فقال جَلَّ شأنه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (٢) ..... إلى آخر الدعاء .

* * *

(١) انظر كتاب الإمام أبى داود السجستانى رحمه الله ، كتاب : تقبيل اليد والرجل ..... وفيه نصوص كثيرة .

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٥٥ - التواصل بين الناس [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ ﴾ [٢] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

لا شريك له فى ملكه ، ولا فى ألوهيته ، ولا فى ربوبيته ، ولا فى أسمائه وصفاته .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الصادقُ الأمين ، بلَّغ رسالة ربه ، وأدَّى أمانته ، ونصح لأُمَّته ، وجاهد فى الله حق جهاده .

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه الذين اختارهم الله لصُحبة نبيه ، وطهَّرهم لحمل دعوته وتبليغها ، ومَن تبعهم بإحسان .

أما بعد . .

فإنَّ الله تعالى أنزل القرآن الكريم فيه هُدَىً ونورٌ [٣] وموعظةٌ وشفاءٌ لما فى الصدور [٤] ، ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ

---

(١) ألقيت يوم ١٣/ ١/ ١٤٠٠ هـ .

(٢) سورة الكهف : ١

(٣) إشارة إلى الآية ٤٤ من سورة المائدة ، وفيها : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ ، ونحو هذه الآية فى المائدة آية (١٤٦) ، أيضاً يؤخذ هذا المعنى بالنسبة للقرآن العظيم .

(٤) إشارة إلى الآية ٥٧ من سورة يونس .

﴿ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (١) ، ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ (٢) .

بُشْرَى للمؤمنين ، ورحمةٌ للمحسنين ، وحسرةٌ على الكافرين . .

ذكرٌ للمتقين ، وإنذارٌ للمعاندين ، وإعذارٌ للخلق أجمعين . .

فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحُكم ما بينكم . .

هو الفصل ليس بالهزل (٣) ، مَن تركه من جبار قصمه الله ، ومَن ابتغى الهُدَى من غيره أضلَّه الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذِّكر الحكيم ، والصراط المستقيم ، لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسُن ، ولا تنقضى عجائبه ، ولا تشبعُ منه العلماء ، ولا يخلَق مع كثرة الترداد (٤) . .

راحة للنفس ، وأنيسٌ فى الوَحشة ، وجليسٌ فى الوحدة ، ورفيقٌ فى السَّفَر ، وصديقٌ فى الحَضَر ، ونور فى الطريق .

حِصنٌ من الأعداء ، وقوة فى الميدان ، ونظام لجميع مرافق الحياة .

مَن قال به صدق ، ومَن عمل به أُجِر ، ومَن حكم به عدل ، ومَن خاصم به غلب ، ومَن دعا إليه هُدِىَ إلى صراط مستقيم (٥) .

تكفَّلَ الله لمن قرأهُ وعمل به ألا يَضِلَّ فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة (٦) .

---

(١) سورة المائدة : ١٦

(٢) سورة الإسراء : ٩

(٣) إشارة إلى حديث علىّ رضى الله عنه : الدارمى فى سننه : فضائل القرآن برقم (٣٣٣٥) عن طريق الحارث الأعور عن علىّ رضى الله عنه .

(٤) إشارة إلى حديث علىّ رضى الله عنه : الدارمى فى سننه ، فضائل القرآن برقم (٣٣٣٤) من طريق الحارث الأعور عن علىّ رضى الله عنه .

(٥) هو نفس هذا الحديث عن الدارمى فى سننه برقم (٣٣٣٤) ، (٣٣٣٥) .

(٦) إشارة إلى الآية ١٢٣ من سورة طه .

أما مَن أعرض عنه ، وعن أحكامه ، وعن هَدْيه ونوره ، فحياته فى هذه الدنيا حياةُ بؤس ، وقلقٌ واضطراب ، لا يقَر له قرار ولا يهدأ له بال : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ (١) .

معيشة ضيق ونكد ، وإن كان عنده من المال كنوزُ الدنيا ، وإن كان عنده من الجاه والشرف ما بلغ ، وإن كان عنده من الحَرَس والسُّلْطة ما أُعطى ؛ فحياته بؤسٌ وعيشته ضنكٌ ، فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يهلث أو تتركه يلهث (٢) ، دائماً فى بؤس ودائماً فى ضنك ، ضنك الحَيْرة وضنك الحِرص والحذر ، الحرص على ما فى يده ، والحذر من فوات شىء مما فيها ، ضنكِ السعى دائماً فى الليل والنهار وراء المطامع والمصالح ، والحسرةِ على ما يفوت منها .

ولا تكون الراحة والطمأنينة والاستقرار إلا فى رحاب قَيُّوم السموات والأرض ، ولا يحس بالراحة والثقة والقناعة إلا من تمسَّك بالعُرْوة الوثقى لا انفصام لها (٣) ولا زوال . . أما باقى العُرَى وباقى الصِّلات فإنها لا ثبات لها ولا ترابط .

إنَّ طُمأنينةَ الإيمانِ وتعلقَ القلب بالله : يُباركُ فى الحياة ، ويُضاعفها طولاً وعَرْضاً وعمقاً .

والحرمان من طمأنينة الإيمان شقوة لا تُطْفِيها سعةُ المال ولا تعدلها شقوة أُخرى .

وضنك الكفر والضلال لا يوسِّعها كثرة المال والجاه والسُّلْطة ، فكلُ حياة مقطوعةٌ صلتها بالله وبرحمة الله ضنكٌ وحسرةٌ مهما كانت ، وكل حياة موصولةٌ بالله وبرحمتِه سعةٌ وراحة مهما كانت .

---

(١) سورة طه : ١٢٤

(٢) إشارة إلى الآية ١٧٦ من سورة الأعراف .

(٣) إشارة إلى الآية ٢٥٦ من سورة البقرة .

هذه حال مَن أعرض عن ذكر الله ، عن القرآن العظيم ، فى الدنيا .

أما حاله فى الآخرة ، فكما قال سبحانه : ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴾ (١) .

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ (٢) .

جزاءً وفاقاً ، نسيان بنسيان ، وعمىً بعمى ، وضلال بضلال .

فاتقوا الله أيها الناس ، آمنوا بالله وبرسول الله ، وبما أَنْزَل على رسوله ، والإيمان يوجب العملَ والاتباعَ ، فليس بعد الإيمان إلا الكفر ، وليس بعد الهُدَى إلا الضلال (٣) .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٤) .

اللَّهُمَّ ارحمنا برحمتك ، وعاملنا بعفوك ، وأعطنا من فضلك ، واهدنا إلى صراطك ، وثبتنا على طاعتك ، واحفظنا برعايتك ، وشفِّعْ فينا نبيَّك محمداً صلى الله عليه وسلم (٥) ، وأحينا مسلمين وتوفنا مسلمين غير خزايا ولا مفتونين ، وقنا عذاب الجحيم ، واغفر لنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرَّحيم .

* *

---

(١) سورة طه : ٩٩ - ١٠١

(٢) سورة طه : ١٢٤ - ١٢٦

(٣) إشارة إلى الآية ٣٢ من سورة يونس .

(٤) سورة الحديد : ٢٨

(٥) إشارة إلى حديث جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنهما : البخارى مع الفتح : ٢/ ٩٤ برقم (٦١٤) الأذان ، باب : الدعاء عند النداء .

بسم الله الرحمن الرحيم

مشاهد يوم القيامة

(الخطبة الثانية)

الحمد لله ﴿ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ (١) . . ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ (٢) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، منه المبتدى وإليه المنتهى .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، وخليلُه المصطفى وكليمُه المجتبى .

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان واتَّقَى .

أما بعد . .

فإنَّ المجرمين الذين يُعْرِضون عن كتاب الله ، ولا يؤمنون بالله ، يأتون يوم القيامة يحملون آثامهم فى ذلك المشهد المُخيفِ المروِّع ، وكأنهم لم يلبثوا فى الدنيا إلا عشرة أيام ، أو يوماً واحداً (٣) ، فليس لهم رصيد إلا السرف والتكذيب ، والظلم والجور ، ولم يُقَدِّموا لآخرتهم إلا الأوزارَ فهم يحملونها كما يحمل المسافر مَتَاعه ، يأتى أُولئك المجرمون فى أقبح حال وأسوأ مآل ، هَمٌ وغَمٌ ونكدٌ وخوفٌ وفزعٌ ، فاسوَدّت وجوههم من شدة الهول والخوف ، وعميت أبصارهم (٤) .

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٥

(٢) سورة الرحمن : ٢٦ - ٢٧

(٣) إشارة إلى الآية ٤٥ من سورة يونس .

(٤) إشارة إلى الآية ٦٠ من سورة الزمر ، وإلى الآية ٩٧ من سورة الإسراء .

فياله من مشهد رهيب ويومٌ عسير على الكافرين غير يسير [١] ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ ۖ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [٢]

فتأمل أيها المسلم هذه المشاهد من مشاهد يوم القيامة ، تأمل حال المجرمين ، وصفة الجبال والأرض ، اتباع الداعى ، خشوع الأصوات للرحمن ، لا تنفع الشفاعة إلا بإذن الله ورضاه .

تذكر علم الله بما قدَّم الخلائق وما هم فيه ، خضوعَ جميع الناس وخوفهم وقلقهم - بما فيهم الذين يملكون حق الفيتو فى الدنيا - فلا تسمع إلا همساً .

تأمل صفة المؤمنين الذين يعملون الصالحات : ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ [٣] .

فاتقوا الله أيها المؤمنون . . اتقوا الله أيها الناس .

---

(١) إشارة إلى الآيتين ٩ ، ١٠ من سورة المدثر .

(٢) سورة طه : ١٠٢ - ١١٣

(٣) سورة الأنبياء : ١٠٣

هذا كتاب ربكم ينطق عليكم بالحق [١] ، فامشوا به واتبعوه لعلكم تهتدون ، قفوا عند حدوده واحكموا بأحكامه لعلكم تعلمون ، اتخذوه دستوراً ونظاماً لعلكم تُرْشَدون .

وصلُّوا على البشير النذير .....

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [٢] .

* * *

(١) إشارة إلى الآية ٦٢ من سورة المؤمنون ، وإلى الآية ٢٩ من سورة الجاثية .

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٥٦ - الزُّهد فى الدنيا [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله على جزيل النِعَم ، وأشكره على فضله والكرم .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له . . خلقنا من العدم وربَّانا بالنِعَم .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله سيد العرب والعجم . . عرف الدنيا فوصفها بظل شجرة ، وعرف الآخرة فآثرها .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن أحسن الاقتداء بهم وأصلح من أتباعهم .

أما بعد . .

فإن الدنيا قد آذنت بصُرم وولت حَذَّاء ، ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء يتصابها صاحبها ، وإنكم ستُنتقلون من هذه الدار إلى دار لا زوال لها ، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم ، من عمل صالح وقول صدق وحُسْن خُلُق ، تمتعوا بما آتاكم الله من الطيبات بدون إسراف ، وأنفقوا منه دون تبذير ، وتنعَّموا بنِعَم الله دون ترف ، واشكروا الله واحمدوه على كل نعمة تذوقونها أو تَمُرُ بكم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [٢] .

---

(١) ألقيت يوم ٢١/ ٢/ ١٤٠٤ هـ .

(٢) سورة البقرة : ١٧٢

تأملوا ما أنتم فيه من النِعَم والأمن والرخاء ، وتنوع المآكل والمشارب ، مبذولةً لكل طالب ، ومهيأة لكل مستهلك وكاسب ، تُجْبَى إليكم ثمرات كل شيء رزقاً من ربكم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ﴾ (١) ، واعلموا أنَّ الأموال إما إنعام وإما استدراج ، فمَن اكتسبها من طريق حلال ، وصرفها فى مصرف حلال ، وأدَّى حق الله فيها ، واستعان بها على طاعة الله فهى له إنعام ، وأما مَن اكتسبها من طرق مُحَرِّمة ، وصرفها فى مصارف مُحَرَّمة ، ولم يعرف حق الله فيها ، واستعان بها على معصية الله ، فهى له استدراج : « إن لكل أُمة فتنة ، وفتنة هذه الأُمة المال » (٢) ، والناس يتفاوتون فى الأرزاق كما يتفاوتون فى الأبدان ، فعلى الإنسان أن ينظر إلى مَن دونه لكى يقتنع بما هو فيه ، ولا يزدرى نعمة الله عليه .

الدنيا والآخرة ضرَّتان (٣) ، إن أرضيت إحداهما أغضبت الأخرى ، ﴿ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ (٤) ، ومَن عرف الدنيا ومآلها ، وعرف الآخرة ودوامها ، أعطى كل واحدة حقها ، فليس للمرء من هذه الدنيا إلا ما أكل وأفنى ، ولبس وأبلى ، وتَصدَّق وأمضى (٥) .

---

(١) سورة المؤمنون : ٥١

(٢) إشارة إلى الحديث الذى رواه الترمذى والحاكم عن كعب بن عياض رضى الله عنه ، ونصه : « إن لكل أُمة فتنة ، وإن فتنة أُمتى المال » .

(٣) حديث صحيح أخرجه أحمد : ٤/ ١٦٠ ، والترمذى (٢٤٣٩) ، والحاكم : ٤/ ٣١٨

(٤) سورة الضحى : ٤

(٥) إشارة إلى الحديث الذى رواه مسلم عن عبد الله بن الشخير رضى الله عنه ، ونصه : « يقول ابن آدم : مالى مالى ، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدَّقت فأمضيت » .

لا تلذذ للمرء من نعيم دنياه إلا بمسكن يظله ، وبكساء يستره ، وبطعام يتقوَّى به على أداء مهمته فى هذه الحياة وهى عبادة الله وحده حتى يبلغ منتهاه (١) .

وما زاد عن ذلك فإنما هو لمن بعده ، للوارث غُنمه وعلى المورِّث حسابه وغُرمه ، فأيكم مال وارثه أحب إليه من ماله ؟ (٢) .

فى الصحيحين عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « يتبع الميت ثلاثةٌ : أهله وماله وعمله ، فيرجع اثنان ويبقى واحد ، يرجع أهله وماله ويبقى عمله » (٣) .

وفى صحيح مسلم : إنَّ الدنيا حُلوة خضرة ، وإنَّ الله تعالى مستخلفكم فيها ، فينظرُ كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء » (٤) .

إنَّ أعرف الخلق بالدنيا نبينا محمدٌ بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، فما ترك بعد موته درهماً ولا ديناراً ولا عبداً ولا أُمَّة ، ولا شيئاً إلا بغلته التى كان يركبها وسلاحه وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة (٥) .

ولما رقد - صلى الله عليه وسلم - على الحصير أثَّرَ فى جنبه ، فقال له

---

(١) إشارة إلى الحديث الصحيح الذى رواه الترمذى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ونصه : « ليس لابن آدم حق فى سوى هذه الخصال : بيت يسكنه ، وثوب يوارى عَوْرته ، وجلف الخبز ، والماء » .

(٢) إشارة إلى الحديث الذى رواه البخارى عن ابن مسعود رضى الله عنه ، ونصه : « أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله » ؟ قالوا : يا رسول الله ، ما منا أحد إلا ماله أحب إليه ، قال : « فإن ماله ما قدَّم ، ومال وارثه ما أخَّر » .

(٣) صحيح البخارى ، كتاب الرقاق ، باب : سكرات الموت ، ومسلم : ٤/٢٢٧٣ ، حديث (٢٩٦٠) .

(٤) صحيح مسلم : ٤/٢٠٩٨ ، حديث (٢٧٤٢) .

(٥) صحيح البخارى : ٥/٣٥٦ ، كتاب الوصايا ، باب الوصايا .

أصحابه : لو اتخذنا لك وِطاء ، فقال : « مالى وللدنيا ؟ ما أنا فى الدنيا إلا كراكب استظلَّ تحت شجرة ثم راح وتركها » (١) . وقال صلى الله عليه وسلم : « لو كان لى مثل أُحُد ذهباً لسرَّنى أن لا تمر علىَّ ثلاثُ ليال وعندى منه شىء ، إلا شىء أرصُدُه لدَيْن » (متفق عليه) (٢) .

وكان قُوْته - صلى الله عليه وسلم - خشناً لم يأكل خبزاً مرققاً حتى مات (٣) ، وما شبع من خيز الشعير حتى مات (٤) ، وما رأى النقى من الحَبِّ منذ بعثه الله حتى قبضه الله تعالى ، قالت أُم المؤمنين عائشة رضى الله عنها لعُروة بن الزبير رضى الله عنهم : يا ابن أُختى ؛ إنَّا كنا ننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال - ثلاثةِ أهلَّةٍ فى شهرين - وما أُوقد فى أبيات رسول الله ﷺ نار ، قال عروة : قلت : يا خالة ؛ فما كان عيشكم ؟ قالت : الأسودانِ : التمر والماء (٥) .

وهل التمر متواجدٌ فى أبيات رسول الله ﷺ ؟

---

(١) أحمد : ٣/ ٣٩ - ٤٠ ، وفى كتاب الزهد (٣٩٩) ، والبخارى فى الأدب المفرد (٣٩٨) وهو صحيح .

(٢) صحيح البخارى ، كتاب الاستئذان ، باب (٣) ، ومسلم : ٢/ ٦٨٧ ، حديث رقم (٩٤) .

(٣) إشارة إلى حديث أنس بن مالك الذى رواه البخارى فى كتاب « الرقائق » ، باب : « كيف كان عَيْش النبى ﷺ وأصحابه » ، وفيه أن أنساً قال وخبَّازه قائم : « كُلُوا ، فما أعلم النبى ﷺ رأى رغيفاً مرققاً حتى لحق بالله ، ولا رأى شاة سميطاً بعينه قَطُّ » .

(٤) صحيح مسلم : ٤/ ٢٢٨٢ ، والبخارى مع الفتح : ٩/ ٥٤٩

(٥) البخارى مع الفتح : ٥/ ١٧٩ ، حديث (٢٥٦٧) ، كتاب « الهبة » .

روى مسلم عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : لقد رأيت نبيكم ﷺ وما يجد من الدُّقل ما يملأ بطنه (١) .

وتوفى - عليه الصلاة والسلام - ودرعه مرهون عند يهودى فى ثلاثين صاعاً من شعير (٢) .

وخرج عليه الصلاة والسلام يوماً - أو ليلة - من بيته ، فرأى أبا بكر وعمر ، فقال : « ما أخرجكما هذه الساعة » ؟ قالا : الجوع ، قال : « وأنا - والذى نفسى بيده - ما أخرجنى إلا الذى أخرجكما ، قُوما » ، فأتيا رجلاً من الأنصار فجاءهم بعذق فيه بُسْرٍ وتمرٍ ورطب ، فقال : « كُلُوا » ، ثم ذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العِذْق وشربوا ، فلما أن شبعوا ورُووا قال رسول الله ﷺ لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما : « والذى نفسى بيده لتُسألنّ عن هذا النعيم يوم القيامة » (٣) .

فأين هذا مما نحن فيه الآن ؟ فاتقوا الله أيها المسلمون .

اللَّهُمَّ آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه المقام المحمود الذى وعدته (٤) .

اللَّهُمَّ ارزقنا شكر نعمك وأعِنَّا على أداء حقها ورعايتها ، ولا تجعل الدنيا

---

(١) صحيح مسلم : ٤/ ٢٢٨٥ ، حديث (٢٩٧٨) .

(٢) إشارة إلى الحديث الذى رواه البخارى عن عائشة رضى الله عنها فى كتاب « الرهن » ، باب : من رهن درعه ، وفيه : « أن النبى ﷺ اشترى من يهودى طعاماً إلى أجل ورهنه درعه » .

(٣) صحيح مسلم : ٣/ ١٦٠٩ ، حديث (٢٠٣٨) .

(٤) صحيح البخارى (٦١٤) ، وأبو داود (٥٢٩) ، والترمذى (٢١١) ، والنسائى : ٢/ ٢٧

أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ، ولا إلى النار مصيرنا ، ولا تُسَلِّط علينا بذنوبنا مَن لا يرحمنا .

اللَّهُمَّ اجعل محيانا فى طاعتك ، ومماتنا تحت رحمتك ، وأعذنا من فتنة المحيا والممات ، ومن فتنة المسيح الدجَّال ، واجعل ما أعطيتنا فضلاً وإنعاماً ، ولا تجعله محنة واستدراجاً .

اللَّهُمَّ اغفر لنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المترف يعمل ما يشاء

(الخطبة الثانية)

الحمد لله كما أمر ، وأشكره وقد تأذَّن بالزيادة لمن شكر [١] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله سيد البَشر .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وأصحابه السادة الغرر ، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم المستقر .

أما بعد . .

فإن الترف بريد الفسق ، والفرح بريد الغفلة ، وما رأيت الترف مُدح ، لا فى آية ولا فى حديث ولا حكمة ، بل هو مذموم : ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ [٢] .

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [٣] .

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [٤] .

---

(١) إشارة إلى الآية ٧ من سورة إبراهيم .

(٢) سورة الإسراء : ١٦

(٣) سورة الزخرف : ٢٣

(٤) سورة سبأ : ٣٤

والمُتْرَف هو الذى لا يرد نفسه عن شهواتها المُحَرَّمة ، ويلعب بالأموال فى معصية الله ، وإفساد الأخلاق واستعباد الأحرار .

والمُتْرَفون فى كل زمان ومكان هم أداة الفساد ، ووسيلة انتشار الفواحش ، والخروج عن طاعة الله ، وسُنَّة الله التى لا تتبدل : كلما أهملت أُمَّة واجباتها وتخلَّت عن نظام ربها ، ولم تأمر بالمعروف ولم تنه عن المنكر ، حتى تترك المترفين يفسقون فيها ويزعموا أن تركهم حق اجتماعى باسم الحرية والانطلاق والتقدم والديمقراطية والعدالة الاجتماعية . . . وما إلى ذلك من العناوين التى تلعب الماسونية بها فى عقول الناس .

وما أهملت أُمَّة مُتْرَفيها وتركتهم يعيثون فى الأرض فساداً ، يستهترون بالقِيَم ويلعبون بالفضائل والكرامات ، إلا أصابها الترهل فى النفوس والجمود فى الغيرة ، وإذاً ترخص عندها القِيَم العليا ، التى لا تعيش الأُمَّة إلا بها ، ولا بقاء لها إلا بها ، فتهلك وتُطوى صحيفتها ، وتكون عاقبة أمرها خُسْراً ، ذليلة فى الدنيا ، حقيرة عند الآخرين ، مُهَانة عند الله .

فاتقوا الله عباد الله ، خذوا على أيدى السفهاء وأطروهم على الحق أطراً :

﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ (١) .

وصلُّوا على النذير البشير . . . . . .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (٢) .

* * *

(١) سورة النساء : ٥

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٥٧ - التحذير من الاغترار [١]

(الخطبة الأولى)

الحمد لله . . أحمده وأستعينه وأستغفره وأتوب إليه .

وأعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئآت أعمالنا [٢] ، ومن نزغات الشيطان وتضليله .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

صَلَّى الله عليه وسَلَّم وعلى آله وأصحابه وأتباعهم بإحسان إلى يوم القيامة .

أما بعد . .

فإنَّ الله تعالى قد حذَّرنا فى آيات كثيرة من كتابه العزيز من عدونا اللَّدود الذى هو شر الأعداء وأخطرَهم ، عدوٌ متأصل فى العداوة ولا ينفك عنها أبداً ، عدوٌ متمردٌ يريد أن يُفسد علينا ديننا [٣] ودنيانا وأخلاقنا ، وأن يُفرِّق جمعنا ووحدتنا ، وأن يوقع بيننا العداوة والبغضاء . . إنه عدو ماكر لا يندفع بمال ولا جاه ، ولا ينافسنا فى هذه الحياة الدنيا فنعطيه منها ما يدفعه عنا

---

(١) ألقيت يوم ٧/٨/١٣٩٢ هـ .

(٢) إشارة إلى حديث عبد الله بن عباس رضى الله عنهما بسياق طويل فيه هذا الثناء والدعاء : مسلم فى الصحيح : الجمعة ، حديث رقم (٤٦) خاص وعام (٨٦٨) .

(٣) إشارة إلى الآيتين ١٦٨ ، ٢٠٨ من سورة البقرة .

ويكفينا شره ، ولكنه ينافسنا فى دار الخلود ، فى جنَّات النعيم ، تلك الدارُ التى أُخرج منها وأُبعد عنها مذءوماً مدحوراً [١] ، بسببك أيها الإنسان ، ذلكم العدو المبين هو الشيطان الرجيم : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [٢] .

﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [٣] .

كان إبليس فى الجنَّة يتقلَّب فى نعيمها ، فلما خلق الله أبانا آدم عليه السلام بيده ، وعلَّمه الأسماء وأمر الملائكة بالسجود له ، وخلق له زوجه ليسكن إليها ، حسده إبليس على هذه الخصائص وهذه الفضائل ، فاستكبر عن أمر ربه وامتنع من السجود ، فأخرجه الله من الجنَّة مذءوماً مدحوراً ، وبقى آدم فى الجنَّة يتقلَّب فيها كيف يشاء ، إلا شجرة واحدة مُنعَ آدم وزوجه من الأكل منها ، ابتلاءً وامتحاناً من الله لهما ، ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ۖ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [٤] ، فازداد حقد إبليس على آدم وزوجه ، فأخذ يكيد لهما المكائد ويدس عليهما الدسائس ، ويوسوس إليهما ويخادعهما ، ويتظاهر لهما أنه ناصح وهو ماكر مخادع ، يحاول إخراجهما من الجنة ، وإيقاعهما فى معصية الله : ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ [٥] ، ﴿ وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا

---

(١) إشارة إلى الآية ١٨ من سورة الأعراف .

(٢) سورة فاطر : ٦

(٣) سورة الأعراف : ٢٧

(٤) سورة البقرة : ٣٥

(٥) سورة طه : ١٢٠

رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ۖ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ (١) .

ومن رحمة الله تعالى ولطفه وكرمه ألهم آدم عليه السلام كلمات التوبة والإنابة وأسباب الرحمة والغفران : ﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢) ، ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (٣) .

أما إبليس . . فإنه بقى متكبراً معانداً طائشاً مطروداً من رحمة الله ، وتحت سخط الله وغضبه ، فلما رأى أن الله قد غفر لآدم وزوجه ، وأنه نجى من مكيدته ، اشتد غضبه وحقده وطلب الإنظار إلى يوم البعث ، فأنظره الله لمشيئة قاهرة وحكمة بالغة ، فأقسم إبليس بالله قَسَماً أن يضل بنى آدم وأن يحتنك ذُرِّيته ، وأن يصدهم عن طريق الحق وسبيل النجاة ، وأن يضلهم عن صراط الله المستقيم ، لئلا يعبدوا الله ويُوحِّدوه ، وأن يشككهم فى آخرتهم ، وأن يُرَغِّبهم فى الدنيا ، وأن يُشَبِّه عليهم أمر دينهم ، وأن يُزَين لهم فى المعاصى ، وأن يعمل على إحباط حسناتهم ، وتكثير سيئآتهم ، وأن يصدهم عن طريق الخير ، وأن يدعوهم إلى طريق الشر والضلال : ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ (٤) .

---

(١) سورة الأعراف : ٢٠ - ٢٢

(٢) سورة البقرة : ٣٧

(٣) سورة الأعراف : ٢٣

(٤) سورة الأعراف : ١٦ - ١٧

وذلك ظنٌ من إبليس وطمعٌ فى نيل مراده ، فردَّ الله عليه ظنه وكيده ، ولم يجعل له سلطاناً على عباد الله المؤمنين : ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ (١) ، ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (٢) .

ومن رحمة الله ببنى آدم فتح لهم أبواب الخير وكَثَّرَ حسناتها وأعطاهم أسباب النجاة من مكائد الشيطان : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ﴾ (٣) ، ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ (٤) وفى الحديث القدسى : « وعِزَّتى وجلالى لأغفرن لهم ما استغفرونى » (٥) .

عباد الله ؛ إنَّ الشيطان دائماً على استعداد ، يتحين بالإنسان الفُرَص لتضليله وإهلاكه وحرمانه من دخول الجنَّة ، وإيقاعه فى معصية الله وغضبه ، وإنه ليستعين فى دعوته وخداعه ومكره بالنفس الأمَّارة بالسوء وشهواتها ورغباتها ، وبدُعاة الشر ، وأسباب الخلاعة والفساد والبدع والخرافات ، التى لا مسند لها من الشريعة ، وما أنزل الله بها من سلطان .

إنَّ عدونا يتحرَّى من كل إنسان مواطن الضعف ، فيأتيه من جهتها وينصب شراكهُ عليها ليصطاده ، فيأتى الإنسان من جهة الإهمال والكسل والخمول وترك القيام بما أوجب الله ورسوله عليه ويدعوه للتخلى عن تعاليم دين الإسلام والتحلل فى الأخلاق الفاضلة والشِيَم الكريمة ، حتى يكون كالحيوان مع أفعاله فيُبعده من رحمة الله ، ويوقعه فى سخط الله ، فإذا لم ينجح فى

---

(١) سورة الحجر : ٤٢

(٢) سورة النساء : ٨١ ، ١٣٢ ، ١٧١ ، وسورة الأحزاب : ٣ ، ٤٨

(٣) سورة الأنعام : ١٦٠

(٤) سورة هود : ١١٤

(٥) أخرجه أحمد فى المسند بهذا اللفظ : ٣/٢٩ من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، وإسناده صحيح .

ذلك أتاه من طريق التنطع فى الدين ، والغلو فى الصالحين ، والزيادة فى شرع الله بما لم يأذن به الله ورسوله ﷺ ، فيجب علينا أيها المسلمون أن نتحصن من عدونا بربنا الذى خلقنا وإليه معادنا ، وأن نحترز من مكامن عدونا بالتمسك بكتاب الله العزيز وسُنَّة نبيه ﷺ ، وعلى الإنسان العاقل أن يحاسب نفسه إذا أمسى على ما فعله فى نهاره ، وإذا أصبح على ما فعله فى ليله .

فإذا وجد نفسه قد وقع فى معصية الله بترك مأمور به أو فعل منهى عنه ، فإن ذلك من مكر عدوه وخداعه ووسوسته ، فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ، ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١) ، وليعلم أن له رباً كريماً ، رؤوفاً رحيماً ، يغفر ذنوب المذنبين ويتوب على التائبين ، ويجب عليه أن يتوجَّه إلى الله أرحم الراحمين بقلب سليم ، وبنية صادقة وتوبة نصوح ، فيُقلع عن معصيته ويندم على ما مضى منها ، ويعزم ألا يعود إليها أبداً .

﴿ ۞ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢) .

وأن يتقرَّب إلى الله بالأعمال الصالحة التى شرعها الله لرسوله ﷺ : ﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴾ (٣) .

وإذا صدق العبد فى توبته خوفاً من الله وطمعاً فيما عند الله وعمل صالحاً ، ﴿ فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (٤) .

---

(١) سورة الأعراف : ٢٠٠ ، وفى فصلت (٣٦) : ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ .

(٢) سورة الزمر : ٥٣

(٣) سورة الفرقان : ٧١

(٤) سورة الفرقان : ٧٠

اللَّهُمَّ أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واحفظنا من أمامنا ومن خلفنا ، وعن أيماننا وعن شمائلنا ، ونعوذ بك أن نغتال من تحتنا ، ونعوذ بك من الشيطان الرجيم .

بارك الله لى ولكم فى القرآن العظيم ، ونفعنى وإياكم بما فيه من الآيات والذِكْر الحكيم ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

* *

بسم الله الرحمن الرحيم

الإسلام دين العدل

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

صَلَّى الله وعليه وآله وصحبه وأتباعهم وسَلَّم تسليماً كثيراً .

أما بعد . .

فيا أيها الناس ؛ اتقوا الله تعالى وتمسَّكوا بتعاليم دين الإسلام ، فإنه هو الدين الحق الذى لا يقبل الله من أحد سواه (٢) ، هو خير الأديان وأفضلها ، مهيمن علينا وناسخ لها ، يهدف لإصلاح الإنسانية ، وإسعاد الأُمَّة الإسلامية ، فيه العدالة والمساواة ، قد رسم صلة المخلوق بالخالق ، وصلة المخلوق بالمخلوق ، إنه دين كامل شامل ، قد أتم الله علينا به النعَم (٣) ، وفضَّلَنا به على سائر الأُمم (٤) ، مَن تمسك به فاز ونجا وعَزَّ وبَزَّ ، ومَن أعرض عنه فمآله إلى الذل والهوان والهلاك .

وصَلُّوا على النبى المصطفى ، فقد أمرنا الله بذلك فى كتابه العزيز ، فقال

---

(١) سورة الفاتحة : ٢ - ٤

(٢) إشارة إلى الآية ٨٥ من سورة آل عمران .

(٣) إشارة إلى الآية ٣ من سورة المائدة .

(٤) إشارة إلى الآية ١١٠ من سورة آل عمران .

تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك وخليلك ، نبينا محمد .

وارض اللَّهُمَّ عن الأربعة الخلفاء : أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلىّ ، وعن بقية الصحابة أجمعين ، وأهل بيته الطيبين الطاهرين ، وعن التابعين ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وعنا معهم بمَنِّك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلام والمسلمين ، وأذلَّ الشِّرك والمشركين ، ودَمِّر أعداء الدين ، وانصر عبادك المؤمنين .

اللَّهُمَّ اغفر للمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات ، ونَوِّر على أهل القبور قبورهم ، وأصلح الأحياء ويَسِّر أُمورهم .

عباد الله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢) .

فاذكروا الله يذكركم ، واشكروه يزدكم ، ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (٣) .

* * *

(١) سورة الأحزاب : ٥٦

(٢) سورة النحل : ٩٠

(٣) سورة العنكبوت : ٤٥

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٨ - التحذير من الأفلام الخليعة (١)

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ (٢) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له . . ﴿ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ (٣) .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله . . أرسله بالهُدَى ودين الحق (٤) ، ﴿ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ (٥) والمرجع والمآل إلى الحساب والمقاصة : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ (٦) ، ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ (٧) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، صفوة الخلق أجمعين ، وقائد الغُرّ المحجلين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

---

(١) ألقيت يوم ١٦/٣/١٤٠١ هـ .

(٢) سورة الأنعام : ١

(٣) سورة الأنعام : ٣

(٤) إشارة إلى الآية ٣٣ من سورة التوبة ، ٢٨ من سورة الفتح ، ٩ من سورة الصف .

(٥) سورة يونس : ١٠٨

(٦) سورة الأنعام : ١٦٤

(٧) سورة الكهف : ٤٩

أما بعد . .

فأُوصيكم وإياى بتقوى الله . . اجعلوا بينكم وبين سخط الله وقايةً من الأعمال الصالحة ، تدفع عنكم البلاء وترفع العقوبة . . اجعلوا بينكم وبين عذاب الله سِتْراً من طاعة الله وطاعة رسوله . . اجعلوا بينكم وبين النار حجاباً يقيكم حرَّها وزمهريرها .

لو قال قائل : إنَّ إنساناً يوزع نقوداً من الذهب والفضة لاشرأبت الأعناق ولتفتحت الأسماع وكثرت التساؤلات : متى وأين يكون ؟

وكذلك لو أخبرْ مُخْبِر عن مسلسل خيالى تمثيلى مضحك لأسرع أكثر الناس إليه ، فتجد العيون محدِّقة والآذان مصغية والقلوب حاضرة ، لا يخفى شىء من القول ولا من الحَرَكة ، مع أن النتيجة أصغرُ وأحقر من دم الذباب ، لكن المهم عندهم التسلية وتضييعُ الوقت ، أما عَلِمَ ذلك المسكين أنَّ الوقت محسوب عليه وسيُناقَش عنه ، نسى ذلك المسكين أنَّ هذا الزمن الذى يقضيه فيما لا فائدة فيه : أنه جزء من عمره ، وهبوط فى حياته ، ونقص فى دينه ودنياه ، وخسارة فادحة عليه .

وبعض الناس لو قال له أخ ناصح أمين : اتَّق الله ، أخذته العِزَّة بالإثم ، لو قال له : أنت مسلم وفى بلد إسلامى وعضو فى دولة مسلمة ومن سلالة مسلمة ، أدِّ الصلاة فى وقتها . . . . لسخر منه وقال : هذه عادة قديمة ، وخَلْفِياتُ بالية .

لو قرأت آيةٌ من كتاب الله تحمل التوجيه والتربية والإصلاح ، فلربما أن يقول قائل : قد سمعناها وعرفناها .

إنه ليس المهم السماع ، وليست الغاية العلم وحده ، وإنما المهم والغاية هو العمل والتطبيق ، وإنما العلم للعمل .

أمَّا عبادُ الله المخلصون الذين يتوهج فى قلوبهم نور الإيمان وتُسيطر على مشاعرهم وجوارحهم تقوى الله وخشيته ، فهم الذين يُدركون مقاييس الأمور ونتائجها ، وهم الذين يحرصون على صلاح أنفسهم وأمتهم ونجاتها : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (١) .

بعض الناس يظن أن الإسلام بطاقةٌ شخصيةٌ يحملها فى جيبه لإثبات شخصيته ، وليس الأمر كذلك .

الإسلام نظام وسلوك وعقيدة . قال تبارك وتعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٢) .

المسلم يلتزم بنظام الإسلام ، والمؤمن تظهر أشعةُ النور من قلبه إلى جوارحه ، فتعمل لمقتضيات الإيمان : أمراً ونهياً ، عملاً وتركاً ، طاعة لله وانقياداً . فالذى لا يعمل بشرائع الإسلام ليس بمسلم وإن قال ما قال ، والذى لا تظهر آثار الإيمان على جوارحه ليس بمؤمن حقيقة ، والإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، يزيد بالطاعة ، فيجعله كاشفاً قوياً يُنير الطريق ،

---

(١) سورة الأنفال : ٢ - ٤

(٢) سورة المؤمنون : ١ - ١١

ويُرهب اللصوص ، وينقص بالمعصية حتى لا يرى له بصيصاً ، فلا يُنير طريقاً ولا يُخيف عدواً .

قال صلى الله عليه وسلم : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » . (رواه البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه) .

وزاد النسائى : « فإذا فعل ذلك خَلَعَ رِبْقة الإسلام من عنقه ، فإن تاب تاب الله عليه » (١) .

وعند البزَّار : « لا يسرق السارق وهو مؤمن ، ولا يزنى الزانى وهو مؤمن ، الإيمان أكرمُ على الله من ذلك » (٢) .

وفى رواية للبيهقى : « إن الإيمان سِرْبال يُسَرْبله الله مَن يشاء ، فإذا زنى العبدِ نُزِع منه سِرْبال الإيمان ، فإن تاب رُدَّ عليه » (٣) .

فاتقوا الله أيها المسلمون . . استحيوا من ربكم ، ألا تستحيون من الذى خلقكم ورزقكم وأنعم عليكم وأعطاكم الصحة والأمن والرخاء ؟

كيف تصرفون نعمه فى معصية ؟

---

(١) صحيح البخارى : ٧/ ١٣٥ - ١٣٦ ، ومسلم : ١/ ٧٦ ، حديث (٥٧) ، والنسائى : ٨/ ٦٤ - ٦٥

(٢) قال الهيثمى فى مجمع الزوائد (١/ ١٠١) : هو فى الصحيح خلا قوله : « الإيمان أكرم على الله من ذلك » رواه البزار ، وفيه إسرائيل الملائى وثقه يحيى بن معين فى رواية وضعَّفه الناس .

(٣) أخرجه البيهقى فى شُعَب الإيمان ، وابن مردويه ، وابن الجوزى فى ذم الهوى (ص ١٩٠) ، وهو ضعيف جداً ، لأنه فيه عمرو بن عبد الغفار وهو متروك الحديث .

ألا تستحيون من الله وهو معكم يسمع ويرى ، وهو مستوٍ على عرشه والكون كله فى قبضته ؟

أما يستحى الذى يبيع الأفلام الخليعة والفضائح الشنيعة ؟

أما يخشى من سخط الله وعقابه العاجل ؟

أما يستحى الذى يشترى لأبنائه قصص الغرام والحب الفاجر ولهو الحديث ويُشغلهم عن ذكر الله ؟

أما يستحى الذى يعرض أفلام الجنس السافر على النساء والرجال ؟

هذا إما أن يكون عدو للإسلام يلبس ثياب الإسلام ليخدع المسلمين ، أو هو ديوث ماكر يريد أن يكون الناس كالكلاب والخنازير يتنازى بعضها على بعض .

إنه ليس من الدين أن نسوس دنيانا على حساب إسلامنا وعقيدتنا ، إنه ليس من العقل أن ننظر فى عاجل الأُمور ونغفل عن عواقبها .

إنه ليس من النُصح للمسلمين أن نرضيهم بسخط الله ، بل هو من الغش والخديعة ، ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ (١) .

اللَّهُمَّ أصلح شأن المسلمين ، واهد ضالهم ، واقمع فاجرهم ، وافضح الدخلاء بينهم ، وطَهِّر قلوبهم ، ووفِّق مجتمعهم ، وقَوِّم سلوكهم ، واجعل ولايتهم فيمن يؤمن بك ويخافك ويرجوك ، واغفر لنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

(١) سورة الشعراء : ٢٢٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الذى أسرف على نفسه لا يقنط من رحمة الله

(الخطبة الثانية)

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝٢ ﴾ (١) .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له ، له المُلك وله الحمد وهو على شىء قدير .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، بلَّغ الرسالة وأدَّى الأمانة ونصح للأُمة .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . .

فكثيراً ما يُعْلَن فى الصحف عن بشائر متنوعة ، بُشْرَى بتخفيض أسعار ، وبُشْرَى ببيع أراضى بالتقسيط ، وبُشْرَى باستقدام طبيب ماهر .

ولو أننى قلت لكم : عندى بُشْرَى ، لذهب كل واحد فى التفكير مذهباً .

ولكنها بشارةٌ أعظمُ مما يهتم به بعض الناس ، إنها بشارة رسول الهُدَى ونبى الرحمة صلى الله عليه وسلم ، جاء بها من عند ربه ، وحياً مُنزَّلاً ، إنها آية محكمة من سورة الزُّمَر : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝٥٣ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝٥٤ ﴾ (٢) هذه هى البشرى الحقيقية التى تبعث الفرح الدائم والفوز الأبدى .

---

(١) سورة الفاتحة : ٢ - ٣

(٢) سورة الزمر : ٥٣ - ٥٤

إنها الرحمة الواسعة التى تسع كل معصية كائنةً ما كانت .

إنها دعوة إلى التوبة والرجوع إلى الصراط المستقيم الموصل إلى الله تعالى وإلى جنَّات النعيم ، دعوة إلى الأمل والرجاء والثقة بالرؤوف الرحيم .

إنها تفتح الأبواب الواسعة أمام الشاردين عن نظام الإسلام للعودة إليه .

إنها صلة بين العبد وربه مباشرة ، ومحاسبة بين العبد وربه ، فإذا اعترف المذنب العاصى بجميع بيانات الديون لربه وطلب العفو والمسامحة عفا وصفح ومحاها كلها وجعل صفحته بيضاء ليعمل فيها لحساب نفسه عملاً صالحاً .

فليست التوبة بالقلب وحدها كافية ، بل لا بد معها من العمل الصالح ، لا بد من ندم مُشاهَد تظهر آثاره على الأعمال المميزة التى يُغَيِّر بها العاصى اتجاهه ، ويُغيِّر بها معاملته مع ربه .

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (١) .

الأمر ليس فيه مَجَالٌ للمغالطة والمخادعة ، فليس هناك إهمال ولا محاباة ، بل المآل إلى عَالِم الغيب والشهادة عالم ما فى الصدور ، والعملُ والقولُ مرصود مسجَّل يُعرض على صاحبه يوم العرض والحساب ، فيجازى كل عامل بعمله : ﴿ من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ، وما ربك بظلام للعبيد ﴾ (٢) ، فاتقوا الله وتوبوا إليه .

وصلُّوا على البشير النذير .....

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (٣) .

* * *

(١) سورة التوبة : ١٠٥

(٢) سورة فصلت : ٤٦

(٣) سورة الأحزاب : ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

٥٩ - وصية للمسلمين [١]

(الخطبة الأولى)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [٢] . . له ميراث السموات والأرض [٣] .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له . . ﴿ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ ﴾ [٤] .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صفوته من خلقه ، وخاتِمُ أنبيائه .

صَلَّى الله وسَلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومَن اتبع سبيله ودعا بدعوته .

أما بعد . .

فخير وصية المسلم لأخيه المسلم هى التقوى ، فهى أساس العمل الصالح ، وهى أساس الحق والصبر ، فأُوصيكم بتقوى الله تعالى ، والتواصى بها فهى خير ما يتزوَّد به المؤمن فى هذه الحياة المضطربة ، وفى آخرته المستقبلة القريبة ، فاتقوا الله أيها المسلمون .

اتقوا الله فى أنفسكم ، وفى أولادكم وفى أُمتكم وفى إسلامكم ، اتَّخِذوا

---

(١) ألقيت يوم ١٤/ ٣/ ١٤٠٠ هـ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢

(٣) إشارة إلى الآية ١٨٠ من سورة آل عمران ، و١٠ من سورة الحديد .

(٤) سورة الحديد : ٢

من طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ حجاباً عن سخط الله وعقابه ، اتَّخذوا من كتاب الله تعالى حصناً يحفظكم من أعدائكم ، أخلصوا العقيدة والإيمان لله تعالى ، وحَقِّقوا معنى : « لا إلَه إلا الله محمد رسول الله » .

لا تصرفوا شيئاً من حق الله لغير الله كائناً مَن كان ، اطلبوا المدد من الله وحده ، واستغيثوا بالله وحده ، ولا تُقَرِّبوا القرابين إلا لله وحده ، ولا تلوذوا فى الشدائد إلا بالله وحده .

أعطوا خالقكم حقه من الربوبية ، والأُلوهية ، والعبادة والطاعة والانقياد ، وأعطوا نبينا محمداً ﷺ حقه من المحبة الذاتية ، ومحبة الرسالة ، والتصديق والاتباع ، وأكثروا من الصلاة والتسليم عليه ، واسألوا الله له الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود .

أعطوا الصالحين حقهم من الفضل وحُسْن الاقتداء والدعاء والترضِّى عنهم والترحم عليهم ، اعرفوا حق الله تعالى وحق رُسُله وأنبيائه وعباده الصالحين ، وأعطوا الخالق حقه وأعطوا المخلوقين حقوقهم ، ولا تصرفوا لأحد حق أحد ، فإن ذلك وضع للشىء فى غير موضعه ، وهو الظلم بعينه .

أقيموا الصلوات فى أوقاتها ، وأدُّوها تامة كاملة بجميع أركانها وواجباتها ، يؤديها الرجال مع جماعة المسلمين فى بيوت الله المساجد ، ويؤديها النساء فى بيوتهن خير لهن ، وإذا حضرت جماعة المسجد أجزأتها .

اقرؤوا كتاب الله فى كل يوم ولو قليلاً ، ولا تكونوا من الغافلين ، لا تكونوا من الذين اتخذوا القرآن مهجوراً (١) ، ولا تكونوا من الذين نبذوه وراءهم ظِهْرياً (٢) ، اقرؤوا القرآن فإنه دستور إسلامكم ونظام حياتكم ، وفيه عِزَّتكم

---

(١) إشارة إلى الآية ٣٠ من سورة الفرقان .

(٢) إشارة إلى الآية ١٨٧ من سورة آل عمران فى هذا المعنى .

وكرامتكم ، وفيه سعادتكم ونجاتكم ، لا تشتغلوا عنه بلهو الحديث والقصص الخاسرة والمسلسلات الماجنة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ (١) ، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٦﴾ (٢) .

أحسنوا تربية أولادكم وعلِّموهم أمور دينهم ووجهوهم إلى صراط الله المستقيم ، ولا تتركوهم لأهل التشكيك والأهواء ، فتخسرونهم ، ويخسرون أنفسهم : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ (٣) ، و﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (٤) .

تعاونوا فيما بينكم ، وتآلفوا ، وكونوا عباد الله إخواناً .

المسلم أخ المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يُسلمه (٥) .

كل المسلم على المسلم حرامٌ : دمه ، وماله ، وعِرضه (٦) ، تعاطفوا وتراحموا ، وأدوا زكاة أموالكم ، وأحسنوا إلى الفقراء والبائسين ، وأجيبوا نداء المستنصرين ، فقد وجب عليكم نصرهم وإعانتهم .

---

(١) سورة المنافقون : ٩

(٢) سورة لقمان : ٦

(٣) سورة التحريم : ٦

(٤) سورة طه : ١٣٢

(٥) البخارى : ٥/ ٧١ ، فى المظالم ، من حديث ابن عمر رضى الله عنه ، ومسلم برقم (٢٥٨٠) باب : تحريم الظلم .

(٦) مسلم فى الصحيح : ٤/ ١٩٨٦ ، فى البر والصلة برقم (٣٢) خاص وعام (٢٥٦٤) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

كونوا على حذر واستعداد : فإن الشر محدق بجميع المسلمين من كل مكان ، وأعداؤهم يتربصون بهم الدوائر ، ويتحينون فيهم الفرص ، فخذوا حذركم أيها المؤمنون ولا تغفلوا ولا تهاونوا ، فـ « لا يُلدغ مؤمن فى جُحْرٍ مرتين » (١) .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (٢) .

اللَّهُمَّ بارك لنا فى القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

اللَّهُمَّ حَبِّب إلينا الإيمان وزَيِّنه فى قلوبنا ، وكَرِّه إلينا الكفر والفسوق واجعلنا من الراشدين .

اللَّهُمَّ أبرم لهذه الأُمَّة أمر رشد يُعَزّ فيه أهل طاعتك ، ويُذَلّ فيه أهل معصيتك ، ويُؤمر فيه بالمعروف ، ويُنهى فيه عن المنكر ، إنك على كل شىء قدير .

اللَّهُمَّ اغفر لنا وتب علينا إنك أنت الغفور الرحيم .

* *

(١) البخارى مع الفتح : ١٠/ ٥٢٩ ، برقم (٦١٣٣) فى الأدب ، باب (٨٣) ، من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، ومسلم ، كتاب الزهد من هذا الوجه واللفظ ، حديث رقم (٦٣) خاص .

(٢) سورة آل عمران : ١٠٢ - ١٠٣

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الشريعة الإسلامية للجميع

(الخطبة الثانية)

الحمد الله على نعمه التى لا تُحصَى .

وأشهد أنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله .

صَلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسَلَّم تسليماً كثيراً .

أما بعد .

فيقول الله تبارك وتعالى فى محكم التنزيل : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ (١) .

إنَّ رسالة نبينا محمد ﷺ هى أكبر النعَم وأعظمها على العالمين ، وعلى أهل الأرض أجمعين : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٢) .

فهذه الشريعة المحمدية هى الشريعة المتكاملة الشاملة المستوفية لجميع متطلبات الحياة ، ولما بعد هذه الحياة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ﴾ (٣) .

يا أيها الناس : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ

---

(١) سورة آل عمران : ١٦٤ ، وبهذا المعنى فى الآية ٢ من سورة الجمعة .

(٢) سورة الأنبياء : ١٠٧

(٣) سورة النساء : ١٧٠

إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (١) ، ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾ (٢) .

إنَّ شريعة محمد ﷺ لا تَخُص جماعةً دون جماعة ، ولا وقتاً دون وقت ، ولا قوماً دون قوم ، ولا جيلاً دون جيل ، ولا أُمَّة دون أُمَّة ، ولا حكومة دون حكومة ، وإنما أُنزلت للناس كافة : عربهم وعجمهم ، شرقيين وغربيين ، على اختلاف عاداتهم وتباين تقاليدهم وتفاوت تاريخهم : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (٣) .

إنها شريعة لجميع الثَّقَلين الجن والإنس ، إنها نظام شامل متكامل واضح وجلى لا يحتاج إلى ترتيب ولا إلى تنسيق ولا إلى تصفية ، إنها صافية نقية ، بيضاء جلية ، ليلها كنهارها (٤) ، وإنما بعدت عنها الأفهام ، وشطحت عنها الرغبات ، وغَشت عنها العيون ، وانصرفت عنها القلوب بسبب وسوسة الشيطان ، وآراء أعداء الرحمن ، وبسبب الإهمال والتقصير ، والاشتغال عن دراسة الإسلام وتعاليمه ، بدراسة الرياضيات ، واتباع الشهوات ، وقصور الهمم ، وضعف النفوس .

إنَّ دين الإسلام نظام صالح لكل زمان ومكان ، يحكم كلَّ حال ، ويُنظم

---

(١) سورة المائدة : ١٥ - ١٦

(٢) سورة يونس : ١٠٨

(٣) سورة الأعراف : ١٥٨

(٤) إشارة إلى حديث العرباض بن سارية رضى الله عنه : أخرجه أحمد فى المسند : ١٢٦/٤ وإسناده صحيح ، وابن ماجه فى السنن : المقدمة ، باب (٦) .

جميع الأُمور ، قد صاغه رب الناس وحماه بحيث لا يؤثر عليها مرور الزمن ، ولا تُبلى جِدَّته ولا يخلق جماله .

إنَّ الناس غير المسلمين اليوم يتخيلون معانى الشريعة الإسلامية ونظامها ، ولكنهم لا يستطيعون أن يوجدوها ، ولا تتركهم شهواتهم وعنادهم وشيطانهم إلى القول بالإسلام واتباعه ، فيجب على المسلمين إزالة الستار الذى وضعه الشيطان وأعداء الإسلام بين الناس وبين شريعة الله : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (١) .

ولكن الأمر انعكس وانقلبت الأوضاع ، فصار ينفر من كل فرقة طائفة يتعلَّمون الزندقة والكفر والإلحاد والتشكيك والتقليل من قيمة الإسلام ، ثم يرجعون ليُفسدوا الباقين ، فكانت النتيجة ما ترون من واقع المسلمين فى كل مكان : تحلل الأخلاق ، وانهيار القِيَم ، واختلافٌ وشقاق ، وسهر على الرذائل والمنكرات ، ونوم عن العمل الجاد والطاعات ، أما العلوم النافعة ، والصناعات المثمرة ، والقوة والمنعة ، فليس لهم منها نصيب .

أخذ أعداؤنا ما ينفعهم فى دنياهم ، وأعطوْنا ما يضرنا فى ديننا ودنيانا ، فكانت النتيجة ما نرى : موالاة اليهود ، أعداء الله وأعداء الإسلام ، موالاة أعداء الإنسانية ، أعداء محمد ﷺ وأعداء الرسالات والأنبياء جميعاً ، كيف نواليهم وندخلهم فى أرضنا ، أرض الإيمان ، أرض العروبة ، أرض القرآن والأحكام .

فاتقوا الله أيها المسلمون . . اتقوا الله أيها الناس . . الرجوع إلى الحق أحق من التمادى فى الباطل ، اتقوا الله فى أنفسكم ، واتقوا الله فى أُمَّتكم ،

---

(١) سورة التوبة : ١٢٢

اتقوا الله فى إسلامكم ، اتقوا الله فى بلادكم ، استعيذوا بالله من الشيطان الرجيم .

﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله ، إنه سميع عليم ﴾ (١) .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم :

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (٢) .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم على صاحب الرسالة الصادق الأمين ، نبينا محمد ، الطاهر الكريم .

اللَّهُمَّ آته الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه المقام المحمود الذى وعدته .

---

(١) سورة الأعراف : ٢٠٠

(٢) سورة المائدة : ٥١ - ٥٦

اللَّهُمَّ ارض عن الخلفاء الراشدين : أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلىّ وعن بقية أصحاب نبيك أجمعين ، وزوجاته أُمهات المؤمنين ، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، وعنا معهم بإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللَّهُمَّ أعِزَّ الإسلام والمسلمين ، وأذِلَّ الشِّرك والمشركين ، ودَمِّر أعداء الدين ، وانصر عبادك المؤمنين .

اللَّهُمَّ انصر عبادك المجاهدين ، وأنْزِل السكينة عليهم ، وقَوِ شوكتهم ، وثبت أقدامهم وانصرهم على القوم الكافرين .

اللَّهُمَّ آمنا فى أوطاننا واحفظ إمامنا وولاة أُمورنا ووفقهم لما فيه الخير والصلاح والسعادة والفلاح .

﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (١) .

* * *

(١) سورة العنكبوت : ٤٥

قائمـــــة المراجع

١ - القرآن الكريم .

٢ - جامع البيان فى تفسير القرآن : للإمام أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى - دار المعرفة - بيروت .

٣ - الجامع لأحكام القرآن : للإمام الشيخ أبى عبد الله محمد بن أحمد القرطبى - دار إحياء التراث .

٤ - أضواء البيان : للعلامة سماحة الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكى الشنقيطى - مطبعة المدنى .

٥ - أحكام القرآن : للإمام الشيخ عماد الدين بن محمد الطبرى - مطبعة حسان - القاهرة .

٦ - تفسير القرآن العظيم : للإمام الحافظ الشيخ عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن كثير - دار الكتب المصرية .

٧ - زاد المسير : لابن الجوزى - طبعة المكتب الإسلامى .

٨ - فتح القدير : للإمام الشوكانى - مطبعة مصطفى الحلبى - القاهرة .

٩ - تفسير القاسمى : للشيخ محمد جمال الدين القاسمى - دار الفكر - بيروت .

١٠ - تفسير التحرير والتنوير : للإمام الشيخ محمد الطاهر عاشور - الدار التونسية للنشر

١١ - الكشاف عن حقائق التنزيل : للإمام محمود بن عمر الزمخشرى - مطبعة مصطفى محمد .

١٢ - صحيح البخارى : للإمام أبى عبد الله محمد بن إسماعيل بن بردزبه البخارى - مطبعة مصطفى الحلبى - مصر .

١٣ - فتح البارى : للشيخ أحمد بن على بن حجر العسقلانى - المطبعة السَّلَفية - مصر .

١٤ - عمدة القارئ : للإمام بدر الدين أبى محمد محمود بن أحمد العينى - مطبعة مصطفى الحلبى - مصر .

١٥ - شرح السُّنَّة : للإمام الحافظ أبى محمد الحسين بن مسعود البغوى - المكتب الإسلامى .

١٦ - جامع الأُصول : للإمام أبى السعادات مبارك بن محمد بن الأثير الجزرى - مطبعة السُّنَّة المحمدية .

١٧ - مشكاة المصابيح : للشيخ ولى الدين محمد بن عبد الله الخطيب العمرى - المكتب الإسلامى - دمشق .

١٨ - الترغيب والترهيب : للإمام زكى الدين عبد العظيم المنذرى - دار إحياء التراث - بيروت .

١٩ - جامع العلوم : لزين الدين أبى الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلى البغدادى - مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت .

٢٠ - رياض الصالحين : للإمام الشيخ زكريا بن يحيى النووى - دار العهد الجديد .

٢١ - السنن الكبرى : للإمام أبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى - مطبعة مجلس دائرة المعارف - الهند .

٢٢ - سنن أبى داود : للإمام سليمان بن الأشعث - طبعة دار الحديث .

٢٣ - شرح مختصر سنن أبى داود : لابن قيم الجوزية - مطبعة السُّنَّة المحمدية .

٢٤ - بذل المجهود : للشيخ خليل أحمد الهارنفورى - دار الكتب العلمية .

٢٥ - مسند الإمام أحمد : للإمام أحمد بن محمد بن حنبل - دار صادر - بيروت .

٢٦ - الفتح الربانى : للشيخ أحمد عبد الرحمن البنا (الساعاتى) - دار الحديث - القاهرة .

٢٧ - المنتقى : لسليمان بن خلف بن وارث - مطبعة السعادة - القاهرة .

٢٨ - الموطأ : للإمام مالك بن أنس ، تحقيق : فاروق سعد - دار الآفاق الجديدة - بيروت .

٢٩ - التمهيد : للإمام الحافظ أبى عمر يوسف بن عبد الله القرطبى - مطبعة فضالة - المغرب .

٣٠ - صحيح الإمام مسلم : للإمام أبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى - دار إحياء التراث العربى .

٣١ - شرح النووى : للإمام النووى - المطبعة المصرية .

٣٢ - المغنى : للإمام أبى محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسى - دار المناخ .

٣٣ - زاد المعاد : للإمام شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أبى بكر الذرعى (ابن القيم) - دار المعاد - بيروت .

٣٤ - إعلام الموقعين : للإمام محمد بن أبى بكر المعروف بابن القيم - مطبعة السعادة .

٣٥ - الإنصاف : للشيخ علاء الدين بن الحسن علىّ بن سليمان المرداوى - مطبعة السُّنَّة المحمدية - غزة .

٣٦ - تصحيح الفروع : لعلى بن سليمان المقدسى - مطبعة المنار - مصر .

٣٧ - كشاف القناع عن متن الإقناع : للشيخ منصور بن يونس بن إدريس البهوتى - مطبعة الحكومة - مكة .

٣٨ - فتاوى الشيخ ابن تيمية - جمع : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمى النجدى الحنبلى - مطابع الرياض .

٣٩ - فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم - جمع : محمد بن عبد الرحمن ابن قاسم - مطبعة الحكومة - مكة .

٤٠ - الرسائل والمسائل : علماء نجد - مطبعة المنار - القاهرة .

٤١ - البحر الرائق شرح كنوز الرقائق : لزين الدين بن نجيم الحنفى - دار المعرفة - بيروت .

٤٢ - شرح فتح القدير : للإمام كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسى - مطبعة مصطفى الحلبى - مصر .

٤٣ - البناية فى شرح الهداية : لأبى محمد محمود بن أحمد العينى - دار الفكر .

٤٤ - بدائع الصنائع : للفقيه إمام الدين أبى بكر بن مسعود الكاسانى الحنفى - مطبعة الإمام - القاهرة .

٤٥ - المدونة الكبرى : للإمام مالك بن أنس - دار صادر - بيروت .

٤٦ - روض الطالب : للإمام أبى يحيى زكريا الأنصارى الشافعى - المكتبة الإسلامية .

٤٧ - شرح منح الجليل : للشيخ محمد عليش - مؤسسة عبد الحفيظ البساط .

٤٨ - الخرشى على مختصر سيدى الخليل - دار صادر - بيروت .

٤٩ - حاشية الدسوقى : للشيخ شمس الدين محمد بن عرفة الدسوقى - دار إحياء الكتب .

٥٠ - روضة الطالبين : للإمام أبى زكريا يحيى بن شرف النووى - المكتب الإسلامى .

٥١ - المبدع فى شرح المقنع : لإبراهيم بن محمد بن عبد الله بن مفلح - المكتب الإسلامى - بيروت .

* * *

محتويات الكتاب

الصفحة

التعريف والترجمة لسماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن زاحم ، بقلم الأستاذ عبد القادر بن حبيب الله السندى ٥

مقدمة الجزء الرابع من الخطب ، بقلم المؤلف ١٧

الباب الأول : الحج

(١٩ - ٢٢٠)

١ - فضل عشر ذى الحجة (ألقيت يوم ٣/١٢/١٣٩٨ هـ) ٢١

الخطبة الثانية ٢٦

٢ - بنيت الكعبة من أجل التوحيد (ألقيت يوم ١١/١١/١٤٠٦ هـ) ٢٨

الخطبة الثانية ٣٢

٣ - الحج ركن من أركان الإسلام لمن استطاع إليه سبيلاً (ألقيت يوم ٢/١٠/١٣٩٨ هـ) ٣٤

الخطبة الثانية ٣٩

٤ - إخلاص النية فى الحج لله (ألقيت يوم ٢١/١١/١٤٠٧ هـ) ٤١

الخطبة الثانية ٤٧

٥ - الحاج فى إطاعة الله (ألقيت يوم ١٦/١١/١٣٩٧ هـ) ٤٩

الخطبة الثانية ٥٤

الصفحة

٦ - خذوا عنى مناسككم (ألقيت يوم ١٤٠٢/١١/٢٢ هـ) ... ٥٧
الخطبة الثانية ٦٢
٧ - أساس الحج توحيد الله (ألقيت يوم ١٤٠٢/١١/٢٩ هـ) . ٦٤
الخطبة الثانية ٧٠
٨ - فوائد الحج لا تُحصى (ألقيت يوم ١٣٩٩/١٠/٣٠ هـ) .. ٧٢
الخطبة الثانية ٧٧
٩ - الأنساك ثلاثة .. كلها جائزة إن شاء الله (ألقيت يوم ١٤٠٢/١١/٥ هـ) ٨٠
الخطبة الثانية ٨٤
١٠ - مشاعر المسلم تتحرك شوقاً إلى بيت الله الحرام (ألقيت يوم ١٤١٥/١٠/١٦ هـ) ٨٦
الخطبة الثانية ٩١
١١ - اختيار النفقة الحلال فى الحج (ألقيت يوم ١٤٠٣/١١/٤ هـ) ٩٣
الخطبة الثانية ٩٦
١٢ - الاشتراط عند الإحرام (ألقيت يوم ١٤٠١/١١/١٣ هـ) . ٩٨
الخطبة الثانية ١٠٣
١٣ - أعمال الحج ومحظورات الإحرام (ألقيت يوم ١٤٠٨/١١/٢٤ هـ) ١٠٥
الخطبة الثانية ١١٠

الصفحة

١٤ - عند بيت الله تُحَط الآثام (ألقيت يوم ١١/١١/١٣٩٨ هـ) ١١٢
الخطبة الثانية ١١٦
١٥ - اجتناب الرَّفَث فى الحَج (ألقيت يوم ٢٩/١١/ ١٤١٠ هـ) ١١٩
الخطبة الثانية ١٢٤
١٦ - تشوق المسلم لمعرفة حَجَّة النبى ﷺ (ألقيت يوم ٦/١١/١٣٩٦ هـ) ١٢٦
الخطبة الثانية ١٣١
١٧ - صفة التمتع فى الحَج (ألقيت يوم ٢٣/١١/١٤٠٥ هـ) . ١٣٣
الخطبة الثانية ١٣٧
١٨ - من أحكام الحَج (ألقيت يوم ٦/١١/١٤٠١ هـ) ١٣٩
الخطبة الثانية ١٤٤
١٩ - آثار الحَج فى نفس الحاج (ألقيت يوم ٢٤/١١/ ١٤١٠ هـ) ١٤٦
الخطبة الثانية ١٥٠
٢٠ - الاستقامة على التوبة ووصية الحجاج بعد الحَج (ألقيت يوم
٢١/١٢/ ١٣٩٧ هـ) ١٥٢
الخطبة الثانية ١٥٨
٢١ - إيذاء المسلمين فى الحَج من الفسوق (ألقيت يوم ١٤/١١/١٤٠٧ هـ) ١٦٠
الخطبة الثانية ١٦٦
٢٢ - استنكار ما خرج عن أعمال الحَج (ألقيت يوم ٢/١٢/١٤٠٨ هـ) ١٦٩
الخطبة الثانية ١٧٥

الصفحة

٢٣ - الأدب مع الله ورسوله ﷺ خاصة فى الحَج (ألقيت يوم ١٤٠٧/١١/٢٩ هـ) ١٧٧

الخطبة الثانية ١٨٤

٢٤ - التوفيق للحج نعمة يجب شكرها (ألقيت يوم ١٤٠٨/١٢/١٢ هـ) ١٨٨

الخطبة الثانية ١٩٤

٢٥ - وصية للحجاج (ألقيت يوم ١٤٠٨/١٢/١٩ هـ) ١٩٦

الخطبة الثانية ٢٠١

٢٦ - تذكير الحاج بالأحوال أولاً ، والمقارنة بينها وبين الوقت الحاضر (ألقيت يوم ١٤٠٧/١٢/١٣ هـ) ٢٠٤

الخطبة الثانية ٢٠٩

٢٧ - الاقتداء بالنبى ﷺ فى الحَج (ألقيت يوم ١٣٩٨/١١/١٨ هـ) ٢١٢

الخطبة الثانية ٢١٧

الباب الثانى : البيوع

(٢٢١ - ٣١٠)

٢٨ - الحلال بَيِّنٌ والحرام بَيِّنٌ (ألقيت يوم ١٤١٠/١١/٢ هـ) .. ٢٢٣

الخطبة الثانية ٢٣٠

٢٩ - المعاملات المنهى عنها (ألقيت يوم ١٤١٠/١١/٩ هـ) ... ٢٣٣

الخطبة الثانية ٢٤٠

الصفحة

٣٠ - الحث على الكسب الحلال (ألقيت يوم ٢١/٣/١٤١٠ هـ) ٢٥٤
الخطبة الثانية ٢٥٢
٣١ - التحذير من الكذب فى البيع والشراء (ألقيت يوم ٢١/٤/١٣٩٥ هـ) ٢٥٤
الخطبة الثانية ٢٦٠
٣٢ - التحذير من اليمين الكاذبة (ألقيت يوم ١٦/٨/١٣٩٨ هـ) ٢٦٣
الخطبة الثانية ٢٦٨
٣٣ - السماحة فى البيع (ألقيت يوم ٢٦/٥/١٤٠٣ هـ) ٢٧١
الخطبة الثانية ٢٧٨
٣٤ - التحذير من البيوع المنهى عنها (ألقيت يوم ١١/٤/١٤٠٧ هـ) ٢٨٠
الخطبة الثانية ٢٨٦
٣٥ - الربا ضد البيع والشراء (ألقيت يوم ٢٤/١/١٤٠٠ هـ) .. ٢٨٨
الخطبة الثانية ٢٩٤
٣٦ - مقارنة بين الصدقة والربا (ألقيت يوم ١٨/٤/١٤٠٧ هـ) . ٢٩٧
الخطبة الثانية ٣٠٣
٣٧ - عقوبة آكل الربا (ألقيت يوم ١٩/٧/١٣٩٣ هـ) ٣٠٥
الخطبة الثانية ٣٠٩

الصفحة

الباب الثالث : الأطعمة

(٣١١ - ٣٨٤)

٣٨ - تفاوت الأرزاق دليل على تفاوت منازل الآخرة (ألقيت يوم ١٣/ ١٠/ ١٣٩٨ هـ) ٣١٣

الخطبة الثانية ٣١٩

٣٩ - النهى عن أكل الحرام (ألقيت يوم ١/ ٦/ ١٤٠٢ هـ) ٣٢٤

الخطبة الثانية ٣٣٠

٤٠ - النهى عن المكاسب المحرَّمة (ألقيت يوم ٢٥/ ٦/ ١٣٩٥ هـ) ٣٣٣

الخطبة الثانية ٣٣٨

٤١ - رزق الحيوان على الله (ألقيت يوم ٢٦/ ٤/ ١٤١٠ هـ) ... ٣٤١

الخطبة الثانية ٣٤٧

٤٢ - تحريم أكل الأموال بالباطل (ألقيت يوم ١٢/ ٨/ ١٤٠٢ هـ) ٣٤٩

الخطبة الثانية ٣٥٣

٤٣ - أسباب وجود المتناقضات (ألقيت يوم ١٠/ ١/ ١٤٠١ هـ) ٣٥٥

الخطبة الثانية ٣٥٩

٤٤ - تحريم لُبْس الذهب والفضة على الرجال (ألقيت يوم ٢٢/ ١٠/ ١٣٩٩ هـ) ٣٦١

الخطبة الثانية ٣٦٦

الصفحة

٤٥ - جواز الانتفاع بصناعات الأعداء غير المحرَّمة (ألقيت يوم ١٧/١/١٤١٠ هـ) ٣٦٨
الخطبة الثانية ٣٧٤
٤٦ - أكل الرِّشوة حرام (ألقيت يوم ١٧/٨/١٣٦٦ هـ) ٣٧٦
الخطبة الثانية ٣٨١

الباب الرابع : مُنوَّعات

(٣٨٥ - ٤٩٠)

٤٧ - فى الوصية (ألقيت يوم ٣/٨/١٤١٢ هـ) ٣٨٧
الخطبة الثانية ٣٩٢
٤٨ - خُلِق الإنسان للعبادة (ألقيت يوم ١١/٨/١٤١٢ هـ) ٣٩٦
الخطبة الثانية ٤٠٣
٤٩ - راحة البال (ألقيت يوم ٢٧/٥/١٤١٣ هـ) ٤٠٥
الخطبة الثانية ٤١١
٥٠ - صفة قبض الروح (ألقيت يوم ١٢/٧/١٣٩٣ هـ) ٤١٣
الخطبة الثانية ٤١٩
٥١ - الجنائز (ألقيت يوم ١٨/٧/١٤٠١ هـ) ٤٢٠
الخطبة الثانية ٤٢٥
٥٢ - الاستعداد للاختبار الأكبر (ألقيت يوم ٦/٦/١٣٩٦ هـ) ٤٢٧
الخطبة الثانية ٤٣٢

الصفحة

٥٣ - صفات المتقين (ألقيت يوم ٨/٦/١٤٠٧ هـ) ٤٣٥
الخطبة الثانية ٤٤٢
٥٤ - إفشاء السلام (ألقيت يوم ١٠/١٠/١٤٠٢ هـ) ٤٤٤
الخطبة الثانية ٤٤٩
٥٥ - التواصل بين الناس (ألقيت يوم ١٣/١/١٤٠٠ هـ) ٤٥١
الخطبة الثانية ٤٥٥
٥٦ - الزهد فى الدنيا (ألقيت يوم ٢١/٢/١٤٠٢ هـ) ٤٥٨
الخطبة الثانية ٤٦٤
٥٧ - التحذير من الاغترار (ألقيت يوم ٧/٨/١٣٩٢ هـ) ٤٦٦
الخطبة الثانية ٤٧٢
٥٨ - التحذير من الأفلام الخليعة (ألقيت يوم ١٦/٣/١٤٠١ هـ) ٤٧٤
الخطبة الثانية ٤٧٩
٥٩ - وصية للمسلمين (ألقيت يوم ١٤/٣/١٤٠٠ هـ) ٤٨١
الخطبة الثانية ٤٨٥
قائمة المراجع ٤٩١
محتويات الكتاب ٤٩٧

رقم الإيداع ٥٧١٤ / ٩٣
I. S. B. N
977 - 06 - 5254 - 41 - 8

شركة الأمل للطباعة والنشر
ت : ٣٩٠٤٠٩٦